

وزارة الثقافة

المخار من التراث العربي

(٧٢)

مِنْ

تَشْرِيدُ الدَّيْمِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَسَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَبِيِّ

المتوفى سنة ٤٤١ هـ

السنن الثاني

اختار له قصص وقدم لها وعلق عليها

منظر راجحي



Bibliotheca Alexandrina

السيد الفني : زهير الكمو

من نشر الدر - السفر الثاني

الهيئة العامة للحفاظ على التراث العربي	رقم المذكرة
رقم المذكرة	رقم المذكرة

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
اَلْخُتَارِ مِنَ التَّرَاثِ اَلْعَرَبِيِّ
٧٢

مِنْ

تَنْتِخَاتُ اَلدِّرِّيِّ

لِلْوَزِيرِ اَلكَاتِبِ اَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ مُحْسِنِ اَلْاَبِيِّ

اَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٩١ هـ



اَلسَّفَرُ اَلثَّانِي

اِخْتَارَ لِنُصُوصٍ وَقَدَّمَ لَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا

مَنْظَرُ اَلْحَاجِّي

Digitization of the Arabic Manuscripts of the National Library of the Syrian Arab Republic



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي ، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجبي . - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٧ . - ٤ ج ٤ ؛ ٢٠ سم . -
(المختار من التراث العربي ؛ ٧١ - ٧٤) .

١ - ٨١٨٠٠٢ س ع د م ٢ - العنوان ٣ - أبو سعد الأبي
٤ - المحي ٥ - السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الأول

كلام معاوية بن أبي سفيان وولده

قال الهيثم (١) : خرج معاوية يريد مكة ،
حتى إذا كان بالأبواء (٢) اطلع في بئر عادية (٣) ؛
فأصابته القوة (٤) . فأتى مكة ، فلما قضى نسكه ،
وصار إلى منزله ، دعا بثوب ، فلفه على رأسه ، وعلى
جانبيه وجهه الذي أصابه فيه ما أصابه ، ثم أذن للناس
فدخلوا عليه ، وعنده مروان ، فقال :

إن أكن قد ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي ،

(١) هو الهيثم بن علي أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ ،
توفي سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) الأبواء . قرية بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، بها
قبر والدة الرسول عليه السلام .

(٣) بئر عادية : قديمة نسة إلى عاد

(٤) القوة . داء يصيب الوجه فيعوج الفم أو جانب منه .

وأرجو أن أكونَ منهم وإنْ عُوْهِتْ فقدْ عُوْقبَ الظالمونَ
قبلي، وما آمَنُ أنْ أكونَ منهم ، وقد ابْتُسِلْتُ في أحسنِّي (١)
وما يَبْدُو مِنِّي . وما أَحْصِي صحيجي . وما كان لي
على رَبِّي إلَّا ما أعطاني . واللهِ إِنْ كانَ عَتَبَ بعضُ
خاصَّتِكُم لقد كنتُ حادِباً على عَامَّتِكُم ؛ فرحمَ اللهُ
امرءاً دعا لي بالعافية .

دخلَ المسوَر على معاويةَ ، فقال له : كيف تركتَ
قريشاً ؟ قال : أفتَ سيِّدُها يا أميرَ المؤمنين ، أعلاها
كعباً ، وأسودُّها (٢) أباً ، وأرفعُها ذِكرًا وأجلُّها
قدراً . قال : كيف تركتَ سعيداً (٣) ؟ قال : عليلاً .
قال : لليدينِ وليلِئِمَ (٤) :

(١) المعنى : في أحسن عضو . والظاهر لكل إنسان وهو وجهه .

(٢) أسودها . من السيادة .

(٣) يريد سعيد بن العاص كما سنبين من الكلام بعد .

(٤) هذا من أقوال العرب في الدعاء على الإنسان : أي : أسقطه الله

لليدين وللمم

بِهِ لَا يَظْبِي بِالصَّرِيْمَةِ (١) أَعْفَرًا (٢)

قال : وعمرو بن سعيدٍ صبيٌّ يسمعُ قوله من وراءِهِ .
فقال : إِذَا وَاللَّهِ لَا يَسُدُّ جُفُوتَكَ (٣) ، وَلَا بَزِيدٌ فِي
رِزْقِكَ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتُفًا عَنْكَ ، بَلْ يَفْتُ فِي عَضْدِكَ ،
وَيَهِيضُ ظَهْرَكَ ، وَيَنْشُرُ أَمْرَكَ ، فَتَدْعُو فَلَا تُجَابُ ،
وَتَتَوَعَّدُ فَلَا تُهَابُ .

فقال معاوية : أَبَا أُمِيَّةَ ؛ أَرَأَيْكَ هَا هُنَا . إِنَّ أَبَاكَ
جَارَانَا إِلَى غَايَةِ الشَّرَفِ ، فَلَمْ تَعْلُقْ بَأَثَارِهِ ، وَلَمْ نَقْسِمْ
لِمَحْفَارِهِ (٤) ، وَلَمْ نَلْحَقْ بِمَضْمَارِهِ ، وَلَمْ نَدْنُ مِنْ
غُبَارِهِ ، هَذَا مَعَ قُوَّةِ مَكَانٍ ، وَعِزَّةِ سُلْطَانٍ . وَإِنَّ

(١) الصرِيمة : القطعة المنفردة من الرمل

(٢) عجز بيت صدره

أقول له لما أتاني نعيه

والبيت للفرزدق .

(٣) الحفرة : مجمع البطن والصدر .

(٤) المحفار . الفرس الشديد العدو .

أثقل قومنا علينا من سبقنا إلى غاية شرفٍ ؛ فأخذ أبوك
علينا القصبة (١) ، وملك دوننا الغلبة .

رُوي أن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - قدم
الشمّ . ومعه عبد الرحمن بن عوف أو أبو عبيدة ، وهما
على حمارين قريبين من الأرض ، فتلقاهما ، معاوية
في كوكبة (٢) خشناء ؛ فشئى وركه ، فنزل ،
وسلم بالخلافة : فلم يردّ عليه ، فقال له عبد الرحمن أو
أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أحضرت الفتى (٣) فلو كانته .
فقال : إنك لصاحب الجيش الذي أرى ؟ قال : نعم .
قال : مع شدة احتجاجك ، ووقوف ذوي الحوائج
ببابك ؟ قال : أجل . قال : لم ؟ ويلك ! قال : لأننا
ببلاد يكشّر بها جواسيس العدو ، فإن نحن لم نستخذ
العدّة والعدد استخف بنا . وهجم على عورتنا . وأنا

-
- (١) المراد : سبق إلى المعالي يقال للمراهن في السباق : أحرز
القصبة ، لأنهم كانوا يركزون فصبا عند غاية المصمار .
(٢) الكوكبة : الجماعة ، والخشنة : الكثيرة السلاح .
(٣) معنى حُب به أو دعونه .

— بعدُ — عامُلك ؛ فإن وقفتني وقفتُ ، وإن استزدتني
زدتُ ، وإن استتقصصتني نقصتُ .

قال : والله لئن كنتَ كاذباً لئن لرأيُ أريبٍ .
ولئن كنتَ صادقاً لئن لتدبيرُ أديبٍ . ما سألتُك قطُّ عن
شيءٍ إلا تركتني فيه أضيقَ من رواجبِ الضرس (١) .
لا آمرُك ولا أنهاك .

فلما انصرف قال له صاحبه : لقد أحسنَ الفتى في
إصدارِ ما أوردتَ عليه . قال : بحسنِ إصدارِه وإبرادِه
جشمَناه (٢) ما جشمَناه .

قال معاويةُ : معروفُ زماننا هذا منكرُ زمانٍ قد
مضى ، ومنكرُ زماننا هذا معروفُ زمانٍ لم يأتِ .
ومن كلامه : الفرصةُ خائبةٌ ، والحياةُ يمنعُ الرزقَ .
والهَيبةُ خيبةٌ ، والحكمةُ ضلالةُ المؤمن .

(١) الرواجب . أصول الأصابع ، والفرس : الرجل الداهية
والمراد تركتني في أمر يصعب علي الخروج منه .
(٢) جشمه : كلفه أمراً فيه مشقة .

وقال ذات يوم لابنه يزيد : يا بُنيَّ ؛ لا تستفسد
الحر فساداً لا تصلحهُ أبداً . قال : بماذا ؟ قال : لا
تشتمنَّ له عريضاً ، ولا تصرِبنَّ له ظهرأً ، فإن الحرَّ
لا يرى الدُّنْيا عِوضاً مِن هذين . ولكن خذ ماله ،
ومتى شئت أن تصلحَه فمالٌ بمالٍ .

وقال له عمرو بن العاص : قد أعياني أن أعلم
شُجاعٌ أنت أم جَبَان ؟ فقال :

شجاعٌ إذا ما أمكنتني فرصة
وإن لم تكن لي فرصة فجبَانٌ

وقال لعاملٍ له : كُلْ قليلاً تعملْ طويلاً ، الزم
العفاف يازمك العملُ ، وإيَّاكَ والرُّشَا يشتد ظهرك عند
الخصام .

ورفع يوماً ثُنْثُوته (١) بيديه ، ثم قال : لقد علمَ
الناسُ أن الخليلَ لا تجري بمثلي ، فكيف قال النجاشي : (٢)

(١) الثنوة : عند الرجل تقابل الثدي عند المرأة . أراد معاوية
أن يدل على بدائته وثقل ورثه .

(٢) النجاشي هو قيس بن عمر بن مالك شاعر إسلامي .

ونجى ابن حرب سابح^(١) ذو علالة^(٢)
 أبحش^(٣) هزيم^(٤) والرماسح دوان
 وقال : إني لأكره النكارة^(٥) في السيد ، وأحب
 أن يكون غافلاً أو متغافلاً^(٥) .
 وقال لأبي الجهم العدوي : أنا أكبر أم أنت يا أبا
 الجهم ؟ فقال : لقد أكلت من عرس أمك . فقال :
 عند أي أزواجها ؟ قال : في عرس حفص بن مغيرة
 فقال : يا أبا الجهم ؛ إيتاك والسلطان ، فإنه يغضب
 غضب الصبي ، ويعاقب عقوبة الأسد ، فإن قلباه
 يغالب كثير الناس .
 وقال يوماً : أنا أعرف أرخص ما في السوق وأغلاه ،

(١) السابح : الفرس . وتسمى الخيل السوابح ؛ لأنها تسمح في
 سيرها .

(٢) العلالة : بقية جري الفرس .
 (٣) الأبحش . الغلبط الصوت ، أو الذي جهد صهيله ، والهزيم
 من الخيل : الشديد الصوت .
 (٤) النكارة : الغطنة والدعاء .
 (٥) المتغافل : الذي يظهر الغفلة ولبست فيه .

فقيل : وكيف ذاك ؟ فقال : أعلمُ أن الجيّد رخيصٌ
والرديء غالٍ .

ولما مات زياد وفد عليه عبيدُ الله ابنُه . فقال له :
من استخلفَ أخِي عليَ عميلَه بالكوفة ؟ قال : عبدُ الله
ابنَ خالدٍ أَسيدُ (١) قال : فعلى البصرة ؟ قال : سمرةُ
ابنَ جندبٍ (٢) . فقال له معاوية : لو استعملك أبوك
استعملتُك ! . فقال له عبيدُ الله : أنشدك الله أن يقولها
لي أحمدٌ بعدك : لو ولّك أبوك ، وعمك وليتُك .
فولاه خراسانَ .

وأوصاهُ فقال : اتَّقِ اللهَ ولا تُؤثِّرَنَّ على تقواه
شيئاً ، وقِ عرضك (٣) من أن تُدَنِّسَهُ وإذا أعطيتَ

(١) عبد الله بن خالد بن أسيد اشترك في كونه مخزومياً أو أموياً .
ولي فارس من قبل معاوية واستخلفه زياد على البصرة .

(٢) سمرة بن جندب بن هلال كان على شرطة زياد ، وكان من
الحفاظ المكثرين . مات سنة ٥٨ هـ .

(٣) ق عرضك : احفظه وصنه ، فعل أمر من وقى . ف : فعل أمر
من وفى .

عهداً فَنَفَّ به . ولا تَتَّبِعَنَّ كَثِيراً بَقْلِيل ، وَخَذْ لِنَفْسِكَ
 مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا يُخْرِجَنَّ مِنْكَ أَمْرٌ حَتَّى تُبْرِمَهُ ،
 فَإِذَا خَرَجَ فَلَا يُرَدَّنْ عَلَيْكَ . وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَعَلِّمَكَ
 عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَغْلِبَنَّكَ عَلَى بَطْنِهَا ، وَإِنْ اِحْتِاجَ
 أَصْحَابُكَ أَنْ تُوَاسِيَهُمْ يَنْفَقْ سِلَكَ فَوَاسِيَهُمْ ، وَلَا تُطْمِئِنَّ
 أَحَدًا فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا تُؤَيِّسَنَّ أَحَدًا مِنْ حَقِّهِ هُوَ لَنَّهُ .
 وَخَطَبَ مَرَّةً فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا
 فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ ، يَصْبِحُ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسْتَمًا ،
 وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُوًّا ، لَا نَسْتَفْعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ
 عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَسْتَخَوُّ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا ،
 فَالْنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْفُسَادِ
 إِلَّا مَهَانَتُهُ نَفْسَهُ ، وَكَلَالُ حَدِّهِ ، وَنَضْضُ (١) وَهَرْدِ
 وَمِنْهُمْ الْمُصْلِحُ (٢) لِسَيِّفِهِ ، الْمُجْلِبُ بِرَجَائِهِ .
 الْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ (٣) ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ (٤)

(١) النضض وهو في الأصل الماء الفلذل ، والوفر المال
 المدخر .

- (٢) أصابت سيفه : جرده من غمده . وأحلب برجله : جاء برحاله
 (٣) أشرط نفسه . أعلمها وأعدّها .
 (٤) أوبق دينه . أهلكه .

لُحْطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، وَمِيقَاتٍ (١) يَقُودُهُ أَوْ مُنْبِرٍ يَقْرَعُهُ (٢) ،
وَلِبَاسٍ الْمُتَجَرُّ أَنْ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمَمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ
عَوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا
يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ،
وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ نَفْسَهُ
لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِرَّ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ الْمَالِ نَفْسُهُ ، وَانْقَطَعَ سَبَبُهُ ،
فَقَصَرَ بِهِ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ ،
وَتَزَيَّنَ بِاسْمِ الزَّهَادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَفْذَى .

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ،
وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ؛ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ (٣)
وِخَائِفٍ مُنْتَمِعٍ (٤) وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ (٥) ، وَدَاعٍ

(١) المِقْبَط : جَمَاعَةُ الْخَيْلِ وَالْفِرْسَانِ بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ .

(٢) فَرْعُ الْمُنْبِرِ : عِلَاقُهُ .

(٣) النَّادِ : الشَّرِيدُ النَّافِرُ .

(٤) الْمُنْتَمِعُ : الذَّلِيلُ ، وَانْقِمَاعُ الرَّجُلِ : ذُلُّهُ .

(٥) مَكْعُومٌ : مَنْ كَعَمَهُ : سَدَّ فَمَهُ .

مُخلص ومُوجعٍ ثكلانَ ، قد أحمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ، وشملتْهم
الذَّلَّةُ ؛ فهم في بَسَجٍ أُجاجٍ ، أفواهُهُمْ ضامرةٌ ،
وقلوبُهُمْ قَرِيحةٌ . وَعَظُّوا حتى مَلُّوا ، وقُهِرُوا حتى
ذَلُّوا ، وقَتَلُوا حتى قَلَّوا ؛ فلتكنِ الدنيا أَقلَّ في
أعينكم من حِثَالَةِ الْقَرْظِ (١) وقَرَاظَةِ (٢) الْجَلَسِ
واتَّعِظُوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يَتَّعِظَ . بكم من
بعدكم .

قدم رجلٌ من مصر عليه ، فإنه ليحادثُهُ إذ حَبَقَ (٣) ؛
فانقبض وترك الكلام ، فقال معاوية : خذْ فيما كنتَ
فيه . فما سمعَتْهَا من أحدٍ أَكْثَرَ مما سمعَتْهَا من نَفْسِي .
ودخل عليه رجلٌ مرتفعُ العطاء فرأى في عَيْنَيْهِ
رَمَصاً (٤) ؛ فحطَّ عطاءه وقال : بعجزُ أحدِكُم إذا
أصبح أن يتعهدَ أديمَ وجهِهِ .

(١) حِثَالَةُ الْقَرْظِ : نفايته ، والقَرْظُ : ورق شجر السلم .

(٢) الْقَرَاظَةُ : ما يتساقط من الثوب عند قصه . والجلَم : المقص .

(٣) حَبَقَ : ضرب .

(٤) الرَمَصُ : قذى العين .

وقال لقريش في خلافته : إني أقعُ إذا طرتم ، وأطير إذا وقعتُم ، ولو وافق طيراني طيرانكم لاختلفتنا .

وقال : العيال أَرْضَةٌ (١) المال .

وقيل له : ما بَسَّغَ من عقلك ؟ قال : لم أثقُ بأحدٍ .
ونظر إلى يزيدَ وهو يضربُ غُلَاماً له ؛ فقال له :
لا تُفسِدْ أدَبَكَ بتأديبه ، ولكن وكِّلْ به من يؤدبه .

رُوي عن بعضهم أنه قال : قدم معاوية المدينة .
فدنوتُ من المنبر لأحفظَ عنه ؛ فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

أما بعد ، فإِنَّا قدمنا على صديق مستبشر ، وعلى عدو
مُستبَسِّر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ؛
فإن أُعطُوا منها رضُوا ، وإن لم يُعطُوا منها سخطوا .
ولسنا نسعُ الناسَ كلَّهم ، فإن تكن شمسةٌ فلا بدَّ من
لائمةٍ ، ليكونَ لوماً هوناً ، إذا ذكر غفَر ، وإيّاكم

(١) الأرضة : دويبة قارضة ، والمراد : تفني المال كما تفني الأرضة ما تقرضه .

وَالْعُظْمَى الَّتِي إِنْ ظَهَرَتْ أُوبِقَتْ ، وَإِنْ خَفِيََتْ
أُوتِغَتْ (١) .

وبلغه أَنَّ ابنته امتنعت على ابن عامرٍ في الافتضاص ،
فمَشَى إليها يَتَوَذَّفُ (٢) فِي مِشْيَتِهِ ، وَفِي يَدِهِ مَخْصَرَةٌ ،
فَجَلَسَ ، وَجَعَلَ يَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ :

مِنْ الْخِيفَرَاتِ الْبَيْضِ ، أُمَّتًا حَرَامُهَا
فَصَعْبٌ ، وَأَمَّا حُلَّتُهَا فَذَكَوْلُ

وَنُخْرَجَ ، وَدَخَلَ ابْنُ عَامِرٍ فَلَمْ تَمْنَعْ عَلَيْهِ .

وَسُئِلَ : مَا الذُّبُلُ ؟ . فَقَالَ : الْحَلَمُ عِنْدَ الْغَضَبِ ،
وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ .

وَقَالَ : الدُّنْيَا بِحَذَائِفِرِهَا (٣) الْخَفِضُ وَالِدَّاعَةُ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَايَعْتُكَ وَأَنَا كَارِهٌِ .

فَقَالَ : قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا .

(١) أوتنت : أهلك . وأوبقت : أهلك .

(٢) يتوذف : يسرع الخطا ويقاربها .

(٣) حذافيرها : جمع حذفور وهو الجانب والمراد : كل ما تشتمل

عليه .

وكان يَأْذَنُ لِلْأَحْنَفِ فِي أَوَّلِ مَنْ يَأْذَنُ لَهُ ،
فَأَذَنَ لَهُ يَوْمًا ، ثُمَّ أَذِنَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فجاء
مُحَمَّدٌ فَجَلَسَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الْأَحْنَفِ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ :
لَقَدْ أَحْسَسْتَ فِي نَفْسِكَ ذُلًّا ، إِنْ لَمْ أَذِنْ لَهُ قَبْلَكَ لَيَكُونَ
فِي الْمَجْلِسِ دُونَكَ ، وَإِنَّا كَمَا نَمْلِكُ أُمُورَكُمْ نَمْلِكُ
تَسَادُّبِكُمْ ، فَأَرِيدُوا مَا يَرَادُ بِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِنِعْمَتِكُمْ ،
وَأَحْسَنُ لِأَدَبِكُمْ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ فِي النِّسَاءِ : إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ .
وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّثَامُ .

وَفَخَّرَ عَنْدهُ سُلَيْمٌ مَوْلَى زِيَادٍ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ :
اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا بِسَيْفِهِ إِلَّا وَقَدْ
أَدْرَكَتْ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِي .

* * *

يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَوَلَدُهُ

كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ : أَمَّا بَعْدُ ، فـ «(إِنَّ اللَّهَ لَا
يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا

أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَآلٍ « (١) وَإِنِّي وَاللَّهِ لَيَسْتَكُنُّكُمْ
فَأَخْلَقْتُكُمْ (٢) . وَرَفَقْتُ بِكُمْ فَأَخْرَقْتُكُمْ (٣) . ثُمَّ
وَضَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى فَمِي ،
ثُمَّ عَلَى بَطْنِي . وَابْتَدَأَ اللَّهُ أَنْ يَضَعَكُمْ تَحْتَ قَدَمِي
لَأَطِئَاكُمْ وَطَاةً أَقِيلُ بِهَا عَذَابَكُمْ ، وَأَذِلُّ غَابِرَكُمْ ،
وَأَتْرَكُكُمْ أَحَادِيثَ تَنْسَخُ فِيهَا أَنْبَارُكُمْ مَعَ أَنْبَارِ عَادٍ
وَنُوحٍ .

لَعَلَّ الْحِلْمَ دَلٌّ (٤) عَلَى قَوْمِي
وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ (٥)
تَكَلَّمُوا يَوْمًا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ الْخَطِيبِ فَأَحْسَنُوا وَأَكْثَرُوا ؛
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَرْمِيَنَّهُمْ بِالْخَطِيبِ الْأَشْدَقِ (٦) ، قُمْ
يَا يَزِيدُ فَتَكَلَّمْ .

-
- (١) سورة الرعد : ١١ .
 - (٢) أخلقتكم : ألبيتكم .
 - (٣) أخرقكم : سببت لكم الخرق وهو الحق .
 - (٤) دل : جراً ، من الدلال .
 - (٥) البت لقيس بن زهير العبسي .
 - (٦) الأشدق : الواسع الشديق .

ذكر أن الحجاج لما أكره عبادة الله بن جعفر على أن يزوجه ابنته (١) استأجله في نكاحها سنة ، ففكر عبده الله في الانفكاك منه ؛ فألقى في روعه خالد بن يزيد ابن معاوية ، فكتب إليه يعلمه ذلك . وكان الحجاج تزوجه بإذن عبد الملك ، فورد على خالد كتابه ليلاً ؛ فاستأذن من ساعته على عبد الملك ؛ فقبل : أفي هذا الوقت ؟ فقال : إنه أمر لا يؤخر ، فأعلم عبد الملك بذلك ، فأذن له ، فلما دخل إليه قال عبد الملك : فيم السري (٢) يا أباهاشم ؟ قال : أمر جليل ، لم آمن أن أؤخره ؛ فتحدث عليّ حادثة ، فلا أكون قضيت حق بيعتكت . قال : ما هو ؟ قال : تعلم أنه كان بين حيين من العداوة والبغضاء ، ما كان بين آل الزبير وبيننا ؟ قال : لا . قال : فإن تزوجني إلى آل (٣) الزبير حللت لهم ما كان

(١) هي أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأمها زيب بنت علي ابن أبي طالب .

(٢) السري : السبر لبلا .

(٣) تزوج خالد بن يزيد رة بنت الزبير بن العوام وله فيها شعر .

في قلبي ، فما أهل بيت أحب إليّ منهم . قال : إن ذلك ليكون ؟ قال : فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج من بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم ، والحجاج من سلاطانيك بحيث عامت . قال : فجزاهُ خيراً . وكتب إلى الحجاج يعزمُ عليه أن يُطْلَقَها . فطَلَّقَها . فغدا الناس يُعزّزونه عنها .

وكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان (١) ، فأوقع الحجاجُ بخالد . فقال : كان الأمرُ لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه . فقال له عمرو : لا تقل ذلك أيها الأمير ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ، وحديثاً لن يُغلبَ عليه ، فلو طَلَبَ الأمرَ لطلبهُ بِعجاءٍ وجَدَّ ، ولكن علم علماً فسلم العلم إلى أهليه . فقال الحجاجُ ؛ يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تحبّون أن تحاسموا ، ولا يكون الحلمُ إلا عن غمضٍ ، فنحن نغضبُكم في العاجل ابتغاءَ مرضاتكم في الآجل .

(١) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ابن عم خالد بن يزيد ، قتل مع ابن الأشعث .

ثم قال الحمّاج : والله لأتزوجنّ من هو أمس
به رحماً ، ثم لا يمكنه فيه شيء : فتزوج أمّ الخلاس
بنت عبد الله بن خالد بن أسيد .

تهدّد عبد الملك بن خالد بالجرّمان : فقال خالد :
أهدّدني ، ويهدّ الله فوقك مانعة ، وعلماء الله دونك
مبول ؟ .

قال رجل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقرب شيء ؟
قال : الآجل . قيل : فما أبعد شيء ؟ قال : الآمل .
قيل : فما آنس شيء ؟ قال : الصاحب الموّاتي (١) .
قيل : فما أوحش شيء ؟ قال : المنيّة .

دخل عبد الملك بن مروان على يزيد بن معاوية .
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لك أرضاً بوادي القرى (٢)
ليست لها غلّة ، فإن رأيت أن تأمر لي بها فقال له يزيد :
إننا لا نخذع عن الصغير ، ولا نبتخلّ بالكبير ، وهي لك .

(١) الصاحب الموافق . الموافق .

(٢) وادي القرى : وهو واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة
سعي كذلك لكثرة القرى فيه .

فلما ولى قال يزيد: إن أهل الكتب يدعون أن هذا يرث ما نحن فيه ، فإن كان كما قالوا فقد صانعناه ، وإن لم يكن فقد وصانناه .

قال معاوية ليزيد : إن كنت بعدي - وكنهه فابدأ بالخير ، فإنه يُعَقِّي (١) على الشر . وما صنعت من شيءٍ فاجعل بينك وبين الله ستراً ترجوه له ، وتأمله به . وإيّاك والقتل فإن الله قاتلُ القاتلين .

وصف معاوية الوليد بن عتبة (٢) فقال : إنه لبعيدُ الغور ، ساكنُ الفُور (٣) ، نبتةٌ أصلٌ لا يخلف ، وسليلٌ فحل لا يُقْرِف (٤) .

ودخل خالد بن يزيد دار عبد الملك ، وكان يسحبُ

(١) يعني على الشر : يزيله ويفنيه .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سميان ، ابن أخي معاوية ، اشتهر بالفصاحة والحلم والكرم .

(٣) الفور : مصدر فار والمراد قليل الفضب .

(٤) أقرف الفرس : صار هجيناً وأقرف الرجل إذا كان أحد

أبويه غير عربي

ثيابه ؛ فقام إليه عبد الرحمن بن الضحاك (١) يتلقاه معظماً له ؛ فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم تُطعم الأرض فضول ثيابك ؟ فقال : إني أكره أن أكون كما قال الشاعر :

قصير الثياب فاحش عند بيته
وشر قريش في قريش مَرَكَبًا (١)
وهذا البيت هُجِّي به الضحاك . قال الجاحظ : لو لم يتكافأ مالا يعنيه لم يسمع هذا الجواب .

قال بعضهم : كنتُ عند معاوية إذ دخل عبدُ الملك ، فحدث ونمض ، فقال معاوية : إنَّ لهذا الغلام همةً ، وخلقُ أن تبلغَ به هِمَّتَهُ ، وإنه مع ما ذكرتُ تاركُ ثلاثٍ أخذَ ثلاثَ ؛ تاركُ مَسَاعَةِ الجَلِيسِ جِدَّ آوَهَزَلًا ، تاركُ لما يعتذرُ منه ، تاركُ لما لا يَعْنِيهِ ؛ أخذَ بِأَحْسَنِ الحديثِ إذا حَدَّثَ ، وبأَحْسَنِ الاستماعِ إذا حَدَّثَ ، وبأَهْوَنِ الأمرينِ عليه إذا خولفَ .

(٥) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، قتل أبوه في موقعة مرج راهط ، واستعمله يزيد بن عبد الملك والياً على المدينة .
(١) المركب . الطبع .

وقال لعبيد الله بن زياد : يا بن أخي ؛ احفظ عني ،
لا يكونَنَّ في عسكرك أميرٌ غيرُك . ولا تقولَنَّ على
منبر قولاً يخالفه فعلُك . ومهما غلبت فلا تغلبَنَّ على
مِيتةٍ كريمة .

وقال معاوية : آفةُ المروءةِ الكبرُ وإخوانُ السوء .
وآفةُ العلمِ النسيانُ ، وآفةُ الحلمِ اللذ . وآفةُ الجودِ
السرفُ ، وآفةُ القصدِ البخلُ ، وآفةُ المنطقِ الفحشُ .
وآفةُ الجلدِ الكسلُ ، وآفةُ الرراةِ الكِبَرُ . وآفةُ
الصمتِ العبيُّ ، وآفةُ اللبِّ العُجبُ . وآفةُ الظرفِ
الصلفُ ، وآفةُ الحياءِ الضعفُ .

وقال : لا جَدَّ إلا ما أقصَصَ عنك ما تكره (١) .

وقال : لا تَعِدَنَّ شيئاً ، وحسبكُ جوداً أن تُعطيَ
إذا سُئِلْتَ .

وقال لابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : إذا ابتليتَ
صبرت ، وإذا أُعطيتَ شكرت ، وإذا وعدتَ أنجزت .

(١) الجَد : الحظ . أقصص الرجل : قتله قتلا سريعاً .

قال : أنتَ مني ، وأنا منك يا يزيد ،
وقال معاوية : المروعة مؤاخنةُ الأَكفَاءِ
ومُداجنةُ (١) الأعداء .

وقال : ما وجدتُ لَدَّةَ شيءٍ أَلَدَّ عِنْدِي غِبًّا (٣)
من غِيظٍ أَتَجَرَّعُهُ ، ومن سَفَقَهُ بِالْحَلَمِ أَفْجَعُهُ .

وأغلظَ له رجلٌ فاحتَمَلَهُ ، وأفرطَ عليه فحلَمَ
عنه ؛ فقليلٌ له في ذلك . فقال : لا نَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ
وَالسُّنَنِهِمْ مالمَ يَحْوُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَاكُنَّا .

وقال لابنه : يا بُنَيَّ ، اتَّخِذِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ ذَوِي
الْأَحْسَابِ تَسْتَسِيلُ بِهِ قُلُوبَهُمْ ، وَتَعْظُمُ بِهِ فِي أَعْيُنِهِمْ .
وَتَكْفُفَ بِهِ عَنْكَ عَادِيَتُهُمْ .

* * *

(١) المداجنة : المداراة ، وعليم لإظهار العداوة

(٢) الغب : العاقبة .

الباب الثاني

كلام مروان بن الحكم^(١) وولده في الخلفاء

كتب مروان إلى النعمان (١) بن بشير بخطب إليه
ابنته أم أبان لابنه عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من مروان بن الحكم إلى النعمان بن بشير .
سلامٌ عليك ، فإنني أحضدُ إليك الله الذي لا إله
إلا هو .

أما بعد ؛ فإن الله ذَا المنِّ والبرهان ، والعظيمة
والسلطان ؛ قد خصَّكم — معاشرَ الأنصار — بنُصرةٍ

(١) مروان بن الحكم ولد سنة ٢ هـ استكتبه عثمان بن عفان وولاه
معاوية المدينة ومكة والطائف ، تولى الخلافة واستمر بها أشهراً ، ومات
سنة ٦٥ هـ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، ولد قبل وفاة الرسول
بثمان سنين .

دينه ، وإعزاز نبيته محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد جعلك منهم في البيت العميم ، والفرع القديم وقد دعاني إلى إحياء مضايرتك وإيثار لك على الأكفاء من ولد أبيي . وقد أحببت أن تزوج ابني عبد الملك بن مروان ابنتك أم أبان بنت النعمان ، وقد جعلت صداقها ما نطق به لسانك وتروى به شفقتك ، وبلغه منك . وحكمت به في بيت المال قبلك .

وقال مروان لابنه : آثر الحق ، وحصن مملكته بالعدل ، فإنه سورها المنيع الذي لا يغرقه ماء ، ولا تحرقه نار . ولا يهدمه سنجيق (١) .

وذكر أبو هريرة معاوية في مجلس فيه مروان فاعتابه ، ثم خاف أن يبلغ معاوية ذلك ؛ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه قال : « الميجالس بالأمانة » ، وسأل مروان أن يكتسب عليه .

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

فقال مروانُ : واللهِ . لَمَّا رَكِبْتَ مِنِّي فِي ظَنِّكَ
بِي أَنِّي أَتَقَلُّ حَدِيثَكَ أَعْظَمُ مِثْمًا رَكِبْتَ مِنْ مُعَاوِيَةِ .

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

خطب فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، اْعْمَلُوا لِلَّهِ رَغْبَةً أَوْ
رَهْبَةً ، فَإِنَّكُمْ بَنَاتُ نِعْمَتِهِ ، وَحَصِيدُ نِقَمَتِهِ ، وَلَا
تَغْرَسُوا لَكُمْ الْأُمَالَ مَا تَسْجَتُنِيهِ الْأَجَالُ . وَأَقِلُّوا
الرَّغْبَةَ فِيمَا يورِثُ الْعَطْبُ ، فَكُلُّ مَا تَزْرَعُهُ الْعَاجِلَةُ
تَقْلَعُهُ الْأَجَلَةُ . واحذَرُوا الْجُلَيْدَيْنِ ؛ فَهُمَا يَسْكُرَانِ
عَلَيْكُمْ بِاقْتِسَامِ النَّفُوسِ ، وَهَدْمِ الْمَأْسُوسِ . كَفَانَا
اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ سَطْوَةَ الْقَدَرِ ، وَأَعَانَنَا بِطَاعَتِهِ عَنِ الْحَذَرِ
مِنْ شَرِّ الزَّمَنِ ، وَمُعْضِلَاتِ الْفِتَنِ .

استأذن رجلٌ عليه ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَوَعَّظَهُ ؛ فقال عَبْدُ الْمَلِكِ لِرَجُلٍ : قُلْ لِلْحَاجِبِ ،
إِذَا جَاءَ هَذَا فَلَا تَسْتَمْنِعْهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُ الْحَاجِبُ
فَلَا يَأْذُنَ لَهُ .

وقال : إِنِّي لَا عَرِفُ عِزَّةَ الرَّجُلِ مِنْ ذُلَّتِهِ بِجِلْسَتِهِ .

وقال له ابنه الوليد : ما السياسة ؟ قال : هيبة
الخاصة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة
بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

ودخل الشعبي عليه ، فخطأه في مجلس واحد في
ثلاث ، سمع الشعبي منه حديثاً ، فقال : أكتبنيه .
فقال : نحن معاشر الخلفاء لا نُكْتَبُ أحداً شيئاً . وذكر
رجلاً فكسّاه فقال : نحن معاشر الخلفاء لا يُكْتَبُ الرجال
في مجالسنا ، ودخل إليه الأخطل ، فدعا له بكرسي .
فقال : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الخلفاء لا تُسأل ،
فأنجله في أول مقام .

وقال لأخيه عبد العزيز (١) حين وجهه إلى مصر :
تَفَقَّدَ كاتبك وحاجبتك وجليستك ؛ فإن الغائب يخبره
عنك كاتبك ، والمتوسم (٢) يعرفك بحاجبتك والخارج
من عندك يعرفك بجليستك .

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن عبد العزيز ،
ولد في المدينة ، وولاه مروان مصر ، فكانت إقامته بجلوان . توفي
سنة ٨٥ هـ .

(٢) المتوسم : المتفرس المتخيل .

وقال : أفضلُ الرجالِ مَنْ تواضعَ عن رفعة ،
وزهدَ عن قُدرةٍ ، وأنصفَ عن قوة .
وقال : الهديةُ السَّحَرُ الطَّاهِرُ .

وقال لِمُسْعَلَمٍ ولدهِ : رَوِّ بَنِيَّ الشَّعْرَ يَعْرِفُوا
به مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا تَرَوْهُمْ شَعْرَ هُدَيْلٍ (١)
فَتَرِيْنَ لَهُمُ الْفِرَارَ ، وَلَا شِعْرَ أَحْيَةَ بْنِ الْجُلَاحِ (٢)
فَتُحَسِّنَ لَهُمُ الْبُخْلَ ؛ وَأُطْعِمَهُمُ اللَّحْمَ تَشْتَدُّ قُلُوبُهُمْ ،
وَجُزُّ أَسْعَارِهِمْ تَغْلُظُ رِقَابُهُمْ .

وقال : اطلبوا معيشةً لا يقدرُ سلطانٌ جائِرٌ على
غصبِها . فقيل : وما هو ؟ قال : الأدب .

دخل إليه أعرابيٌّ فبرك بين يديه ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ، إن الناقة إذا منعتِ الحلبَ قومتها العَصا ؛
فقال عبد الملك : إذا تكفيت الإناء ، وتكسرُ أنف
الحالب .

(١) هذيل الأشجعي شاعر أموي ، عمي في أواخر أيامه .

(٢) أحيحة بن الجلاح بن الحريش : شاعر جاهلي .

وقال زُفر بن الحارث (١) : ما ظنك بي ؟ قال :
ظني بك أنك تقتلني ؛ فقال : قد أكذب الله ظنك ،
وقد عفوتُ عنك .

ونازعه عبدُ الرحمن بنُ خالدِ بن الوليدِ (٢) ،
فأرَبَى عليه ، فقيل له : لو شكوتَه إلى عمِّه لا تنتقم لك
منه ؛ فقال : مِثلي لا شكُّو ، ولا أعدُّ — أنا — انتقام
غيري لي انتقاماً ؛ فلما استخلف قيل له في ذلك ؛ فقال :
حِقْدُ السُّلطان عجز .

قال عمرو بن عبيد (٣) : كتب عبدُ الملك وصيةً
بيده ، وأمر الناس بتدبُّر ما فيها وهي :

(١) كان زفر بن الحارث الكلبي قد خرج على عبد الملك ، مع
الضحاك بن قيس ، ولما قتل الضحاك في مرج راهط تحصن زفر بقرقيسها
على نهر الفرات إلى أن مات سنة ٧٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، قائد شديد البأس
من التابعين ، شهد صفين مع معاوية ، كما شهد فتوح الشام ومات سنة ٤٦ هـ .

(٣) عمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة ، كان أئوهُ شرطياً للحجاج وهو
فارسي الأصل . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢ هـ .

إن الله جعل لعباده عَقُولاً عاقبهم بها على معصيته ،
 وأثابهم على طاعته ؛ فالناسُ بين مُحْسِنٍ بنعمة الله عليه ،
 ومُسيءٍ بخُلْدان الله إِيَّاه ، والله النعمة على المحسن والحجةُ
 على المسيء ، فما أولى بمن تَمَسَّت عليه النعمةُ في نفسه ،
 ورأى العِبرةَ في غيره ، بأن يضع الدنيا حيث وضعها الله ،
 فيعطي ما عليه منها ولا يكثرُ بما ليس له فيها ، فإنَّ
 الدنيا دارُ فناءٍ ولا سبيل إلى بقائِها . ولا بد من لقاء الله ،
 فأحذركم الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل
 ما أخرته العَجْزةُ قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا
 إليها ، فلا تقدرون فيها على توبةٍ . وليست لكم منها
 أوبةٌ ، وأنا استخلفُ الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

وأذن يوماً لخاصَّته ، فأخذوا مجالسهم ، وأقبل
 رجلٌ منهم على عَيْبٍ مُصْعَبٍ بعد قتله ؛ فنظر إليه
 عبدُ الملكَ نظرَ كراهيةٍ ، لِمَا قال ، ثم قال : أمسِكْ .
 أما عِلِمْتَ أن مَنْ صَغَّرَ مقتولاً فقد أزرى بقاتله .

* * *

الوليدُ بنُ عبدِ الملِكِ (١)

جاء إليه رجلٌ فقال : إنَّ فلاناً نالَ منك . قال :
أتريدُ أنْ تَقْتَصَّ أوتسارك من الناسِ بى ؟ .

وهرب من الطاعون ، فقال له رجل : يا أميرَ
المؤمنين إن الله تعالى يقول : «لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ
إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا» (٢) فقال الوليد : إنما نريدُ ذلك القليل .

وقال له رجلٌ : إن فلاناً شَتَمَكَ ، فأكبَّ ،
ثم قال : أراه شَتَمَكَ .

وكان الوليدُ لَحْنَاناً ، فدخل عليه يوماً رجلٌ من
العربِ ؛ فقال له الوليدُ : ما شأنُكَ ؟ قال : أودُّ (٣)
في أنفسي وأعوجاجي . فقال له رجلٌ من أصحابه : إنَّ
أميرَ المؤمنين يقولُ لك : ما شَأْنُكَ ؟ فقال : كذا وكذا .

(١) ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة
أبيه ، وافتتح في عهده الهند والترك والأندلس وهو باني الجامع الأموي
بدمشق . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) سورة الأحزاب ١٦٠ .

(٣) الأود : العوج .

ولما مات عبدُ الملكِ صعيدُ الوليدُ المنبر ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : لم أرَ مثلَها مُصيبة ولم أرَ مثله
ثواباً : موتُ أمير المؤمنين ، والخلافةُ ؛ فإنَّ الله وإنا إليه
راجعون على المصيبةِ ، والحمدُ لله رب العالمين على النعمةِ
انهمضوا فبايعُوا على بركة الله .

مات لعبدِ الملكِ ابنٌ ، فجاء الوليدُ فعرَّاه ؛ فقال :
يا بني ؛ مُصِيبَتِي فيكَ أعظمُ من مُصِيبَتِي بأخيكَ ، متى
رأيتَ ابناً عزَّى أباه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أُمِّي أُمِرْفِي
بذلك . قال : هو من مشورة النساء .

وروي أنَّ الوليدَ قام على المنبر بعد موت عبد الملك ؛
فقال :

يا لها مصيبةٌ ما أفجعها وأعظمها ، وأشدّها وأوجعها
وأغمها موتُ أمير المؤمنين ! يا لها نعمةً ما أعظم المنَّةَ
من الله تعالى عليَّ فيها ، وأوجب للشكر له بها ، خلافتُهُ
التي سرَّبلْتُها (١) .

فكان أولَ من عزَّى نفسه وهنَّأها بالخلافة .

(١) سرَّبلْتُها : ألبستها كالسريال . وفي الكلام استعارة .

فأقبل غيلان بنُ مَسَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ (١) ؛ فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال : أصبحت يا أمير المؤمنين ورثت خير الآباء ، وسُميت خيراً الأسماء ، وأُعفيت أفضل الأشياء ، فعزّم الله لك على الرّزِيّةِ بالصبر ، وأعطاك في ذلك نوافلَ الأجر ، وأعانك في حسن ثوابه على الشكر ، ثم قضى لعبدِ الملك بـخير القَضِيّةِ ، وأنزله المنازلَ الرَضِيّةَ . فأعجبه كلامه وقال : أثقفي أنت ؟ قال : نعم وأحدُ بني مُعْتَب . فسأله : كم هو من العطاء ؟ فقال : في مائة دينار . فألحقه بشرفِ العطاء ، فكان أول من ألحق بشرفِ العطاء .

* * *

سَلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٢)

تَكَاسَمَ وفدُ بَنِي يَدِي سَلَيْمَانَ فَأَخْطَوْا ، وَتَكَاسَمَ بَعْدَهُمْ

(١) غيلان بن مسleme الثقفي شاعر جاهلي أدرك الإسلام وتوفي سنة

٢٣ هـ .

(٢) سليمان بن عبد الملك ، الخليفة التالي بعد الوليد ، ولد بدمشق

سنة ٥٤ هـ ، وولي الخلافة سنة ٩٦ هـ . فتح في عهده جرجان وطبرستان ،

وتوفي سنة ٩٩ هـ .

رجلٌ فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامكم
سجادةً لبُدت عجاجة (١) .

وقال : عجبتُ لهذه الأعاجيم ، ملكتُ طول الدهر ،
فلم تحتاج إلى العرب ، وملكك العرب فلم تستغن عنهم .

وتغدي سليمان بن عبد الملك عند يزيد بن
المُهَلَّب (٢) ، فقيل له : صيف اما أحسن ما كان في
منزله . قال : رأيتُ غلمانهم يخدمونه بالإشارة دون القول .
وقال : قد أكلنا الطيب ، وليسنا السَّيِّئ ، وركبنا
وامتنطينا القاره العذراء ، فلم يبق من الدَّيِّ إلا صديقٌ
أطرحُ بيني وبينه مؤونة السَّحْفُظ .

سمع سليمان رجلاً من الأعراب في سنةٍ جدبةٍ يقول :

ربُّ العبادِ مالنا ومالكنا ؟

قد كنت تسقيننا فما بدا لكَا

أنزل علينا الغيث ، لا أبَا لكَا (٣)

(١) العجاجة : ما ثار من الفجار .

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد شجاع ولد سنة ٥٣ هـ .

(٣) إن لا أبالك تذكر عند المدح ، أي لا مثال لأبيك .

فقال سليمان : أشهد أنه لأبنا له ، ولا ولد له ولا صاحب . قال المُبَرَّد : فأخرجهُ أحسنَ مخرج .

قال سليمان ليزيد بن المهلب : ثلاثٌ أنكرهُنَّ منك ؛ خُفُّكَ أبيضٌ مثلُ ثوبِكَ ، ولا يكونُ خفُّ الرجلِ مثلَ ثوبه ؛ وطيبُك ظاهرٌ ، وطيبُ الرجلِ يُشَمُّ ، ولا يرى أثرُهُ ؛ وتكثرُ منْ مَسِّ لِحيتِكَ . قال : فغيرَ خُفِّه وطيبه .

وقال : ما رأيتُ عاقلاً يَهْمُ بأمْرِ إلا كان مُعوَّله على لحيته .

وخطب فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء رفع ، ومن شاء وضع ، ومن شاء أعطى ، ومن شاء منع . إن الدنيا دارُ غرورٍ ، ومنزلٌ باطلٌ وزينةٌ ، تَقَلِّبُ بِأهلِها ، تُضْحِكُ بِأَكْيَا ، وتُبْكِي بِضاحِكَا ، وتُخِفُ آمِنَا ، وتُؤْمِنُ خَائِفَا ، تُفْقِرُ مُثْرِيهَا ، وتُقَرِّبُ مُقْصِيهَا ، مِيَالَةً لَاعِبَةً بِأهلِها . عبادَ الله ؛ اتَّخِذُوا كتابَ اللهِ إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لِمَا كان قبلَه ، ولن ينسخه كتابٌ بعده . اعلموا — عبادَ الله — أنْ هَذَا القرآنُ يَجْلُو

كيد الشيطان وضغائنه (١) ، كما يجلبو ضوءُ الصبح إذا
تنفّس أدبار الليل إذا عسعس (٢) .

* * *

يَزِيدُ بنُ عبدِ المَلِكِ (٣)

كتب إليه عبدُ الرحمن بن الضَّحَّاك بن قيس يستأذنه
في غلام يهديه إليه ، فكتب إليه يزيدُ : إن كنتَ لابد
فاعلاً فليكن جميلاً ظريفاً ليلاً أديباً كاتباً ، فقيهاً
حلواً ، عاقلاً أميناً سرّياً ، يقولُ فيحسِن ، ويحضرُ
فيزين ، ويغيب فيؤمنُ .

فكتب إليه : قد التمسْتُ صِفَةَ أميرِ المؤمنين ،
فلم أجدها إلا في القاسمِ بن محمد ، وقد أبى أهلُه بيعهُ .

* * *

(١) الضغائن : الأحقاد .

(٢) عسعس : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ظلامه أو أدبر .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٧١ هـ ، وتولى الخلافة

بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (١)

ذَكَرَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ (٢) خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ عِنْدَ هَشَامٍ ، فَقَالَ هَشَامُ : إِنَّ خَالِدًا أَدَلَّ فَأَمَلَّ (٣) ، وَأَوْجَفَ فَأَعْجَفَ (٤) ، وَلَمْ يَتْرِكْ لِأُوبَةِ مَرْجَعًا ، وَلَا لِلصَّالِحِ مَوْضِعًا ، وَإِنِّي لَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (٥) :
إِذَا انصَرَفْتَ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ

إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبَلُ

نَهَضَ هَشَامٌ عَنْ مَجْلِسِهِ مَرَّةً ، فَسَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ ، فَتَنَاولَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ؛ لِيُردَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَمَجَذَبَهُ هَشَامٌ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : مَهْلًا ، إِنَّا لَا نَتَّخِذُ جُلَسَاءَنَا خَوَلًا (٦) .

-
- (١) هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ وَلِدَ سَنَةَ ٣١ هـ ، وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ سَنَةَ ١٠٥ هـ ، بَنَى الرِّصَافَةَ وَكَانَ يَسْكُنُهَا صَيْفًا ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٥ هـ .
(٢) خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُنْتَرِي ، مِنْ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ .
(٣) أَدَلَّ بِالْمَحَبَّةِ فَأَفْرَطَ ، وَأَدَلَّ فَأَمَلَّ مِثْلَ يَضْرِبُ لِلذَّكَاءِ .
(٤) أَوْجَفَ الدَّابَّةَ : حَثَّهَا ، وَأَعْجَفَهَا : أَهْزَلَهَا .
(٥) قَائِلُ الْبَيْتِ مَعَنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُزَنِّي .
(٦) الْخَوَلُ : الْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ وَالْحَاشِيَةُ وَنَحْوُهَا . يَسْتَوِي فِي لَفْظِهِ الْمُؤَنَّثُ وَالْمَذَكَّرُ وَالْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ .

عُدَّتْ لهشام - مع دهائه - سقطتان إحداهما :
أن الحاديّ حدا به ؛ فقال :

إِنَّ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبُخْتِيُّ (١)
أَكْرَمَ مَنْ تَمْشِي بِهِ الْمَطْيِيُّ
فقال هشام : صدق .

والأخرى : أنه ذُكِرَ عنده سليمانُ بن عبد الملك ؛
فقال : واللّه لأشكوّنّه يوم القيامة إلى أمير المؤمنين
عبد الملك .

وقال له مَسْلَمَةُ أخوه : كيف تطمعُ في الخلافةِ
وأنتَ بخيلٌ . وأنتَ جبانٌ ؟ قال لأنّي حلِيمٌ وأنّي
عَفِيفٌ .

* * *

الوليدُ بنُ يَزِيدَ (٢)

أنّي هشام بَعُودٍ ؛ فقال للوليد : ما هذا ؟ قال :
خَشَبٌ يُشَقِّقُ ثُمَّ يَرْقِّقُ ، ثُمَّ يُلْصَقُ ثُمَّ تَعَلَّقُ عَلَيْهِ

-
- (١) الجمال البخّية : الخراسانية ، والبخّية صفة للجمال منها .
(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولد سنة ٨٤ هـ وولي الخلافة
سنة ١٢٥ هـ .

أوتارُ فينطق فتضرب الكرامُ رؤوسَها بالحيطانِ سروراً
به . وما في المجلس أحدٌ إلا وهو يعلمُ منه ما أعلمهُ ،
وأنت أولهُمُ يا أمير المؤمنين . .

وقد قيل : إنَّ هذا الكلامَ هو للوليد بن مسعدة
الفرزاري مع عبد الملك بن مروان .

وحكى بعضهم قال : رأيتُ هشامَ بن عبد الملك
يوم تُوفي مسلمةُ بن عبد الملك إذ طلع الوليد وهو
نشوانٌ يجرُ مطرفَ خنزٍ ، فوقف على هشام ، فقال :

يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ عُقبى من بقي لحوقُ بمن
مضى ، وقد أفقرَ بعدَ مسلمةَ الصَّيدُ (١) لمن رُمى ،
واختل الثغرُ (٢) فوهى ، وعلى إثر من سلفَ يمضي من
نخلف ؛ فتزودوا ، فإن خيرَ الزَّادِ التَّقوى . قال :
فأعرض هشامٌ ولم يحرجوا بآ ووجم الناس .

(١) أنقر الصيد : أمكن الصيد من فقاره لراميه والمعنى أن مسامة
كان يغزو العدو ويرده ، فحين مات اختل بلد الاسلام وأمكن لمن يتعرض
إليه .

(٢) الثغر : الخد مع العدو .

وقيل : كان عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله عنه - يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى (١) ثم يجمع جراميزه (٢) ويشبُّ ؛ فكأنما خلّقَ على ظَهْر فرسه ، فكان الوليدُ ابنُ يزيد يفعلُ مثل ذلك ، وفعلهُ مرةً وهو ولي عهده ، ثم أقبل على مسلمة بن هشام (٣) : فقال له : أبوك يُحسنُ مثل هذا ؟ فقال مسلمةُ : لأبي مائةُ عبد يحسنون هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب .

* * *

يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبّادِ المَلِكِ (٤)
لما قُتِل الوليدُ بنُ يزيدَ قام يزيدُ خطيباً ؛ فحمد
الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
أيُّها الناس ؛ والله ما خرّجتُ أشراً ولا بطراً ،

(١) المراد « بأذنه اليسرى » أذن الفرس .

(٢) جراميزه : مجموع بدنه .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك من القواد ، مات في خلافة أبيه .

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الملقب بالناقص ، ولد سنة

٨٦ هـ ، وثار على ابن عمه الوليد بن يزيد وقتله ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ ولم يمكث بها غير خمسة أشهر ، وتوفي في السنة نفسها .

ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في الملكِ ، وما بي
إطراء نفسي ، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربِّي ؛
ولكنني خرجتُ غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله ،
وإلى سنةِ نبيه ، لما هُديمت معالمُ الهدى ، وأطفئني
نورُ أهلِ التقوى ، وظهر الجبارُ العنيد ، المستحلُّ لكلِّ
حرمة ، والراكبُ لكلِّ بيدةٍ ، مع أنه والله ما كانَ
يؤمنُ بيوم الحساب ، وإنه لابنُ عمي في النسب ،
وكفُني في الحسب .

فلما رأيت ذلك استخرتُ الله في أمري ، وسألتُهُ
ألا يَكِلَني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك من أجنبي من
أهل ولايتي ، حتى أراحَ اللهُ منه العبادَ ، وطهرَ منه
البلادَ بحولِ الله وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ؛ إن لكم عليّ ألا أضَعَ حجراً على حجر ،
ولا لبنَةً على لبنة . ولا أَكْرِِي (١) نهراً ، ولا أَكْنِزَ
مالاً ، ولا أعطيَه زوجةً ولا ولداً ، ولا أنقلَ مالاً
من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ فقرَ ذلك البلدِ وخصاصةَ

(٢) كرى النهر، يكره ويكرهه : حفره .

أهليه (١) ، بما يُغنيهم . فإنَّ فضلَ نقلته إلى البلدِ الذي يليه من هوَ أحوجُّ إليه منه ، ولا أجمركم (٢) في بعوثكم فأفتنكم ، وأفتنَ أهليكم ، ولا أغلقَ بابي دونكم فيأكل قوتكم ضعيفكم ، ولا أحملَ على أهل جزييتكم ما أجلبهم به من بلادهم ، وأقطعَ نسلهم ، ولكنَّ عندي أعطيائكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهرٍ ، حتى تستدِرَّ (٣) المعيشةُ بين المسلمين ، فيكونَ أقصاهم كأدناهم .

فإنَّ أنا وفيتُ لكم فعليكمُ السمعُ والطاعةُ ، وحسنُ المؤازرةِ والمكانفةِ (٤) ، وإنَّ أنا لم أوفِ لكم فلکم أن تخاعوني إلا أن تستبيبوني ؛ فإنَّ تُبَّتْ قبائسُ مني . وإن عرفتُم أحداً يقومُ مقامِي مَسَّنَ يُعرفُ بالصلاح ، يعطيكم من نفسه مثلَ ما أعطيتكم ، فأردتُم أن تبايعوه ، فأنا أولُ من بَايعه ، ودخلَ في طاعته .

* * *

(١) الخصاصة . وكذلك الحصاص ، الفقر وسوء الحال والحاجة .

(٢) جبر الجند حبسهم في الثغور عند أرض العدو .

(٣) استدر . كثر .

(٤) المكانفة . المعاونة .

مسلمة (١)

قال : عجبت لمن أحفى شعره (٢) ثم أعفاه ،
وقصر شاربه ثم أطاله ، أو كان صاحب سراري (٣) ؛
فاتخذ المهيرات (٤) .

ولما حضرته الوفاة أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ،
وقال : صناعة مجفو أهلها .

وكان إذا كثر عليه أصحاب الخوايج وخشي
الضجر أمر أن يحضر ندماؤه من أهل الأدب ؛ فيتذاكرون
مكارم الناس وجميل طرائقهم ومروءاتهم فيطرب ،
ويهيج ، ثم يقول : ائذنوا لأصحاب الحاجة ؛ فلا يدخل
أحد إلا قضى حاجته .

وقال له هشام : يا أبا سعيد ؛ هل دخلك دُعرٌ

-
- (١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أبطال بني أمية ، وله
فتوحات شهيرة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ تقريباً .
(٢) أحفى الشعر : قصره وخفف منه .
(٣) السراي : جمع سرية وهي الأمة .
(٤) المهيرات : ذوات المهر .

قطُّ لحربٍ شهدتها أو لعدوٍّ ؟ قال : ما سلمتُ في ذلك
من دُعرٍ ينْبَه عليَّ حيلةً ، ولم يَغشَّني فيها ذعرٌ
يسلبُني رأيي . قال هشام : هذه البَسالة .

ودخل على عُمرَ بنِ عبد العزيز في مرضه الذي مات
فيه ؛ فقال : ألا توصيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : بسمِ
أوصي ؟ فوالله إن لي من مالٍ (١) . فقال : هذه مائةُ
ألفٍ ، مرُ فيها بما أحببت . قال : أو تقبَلُ ؟ قال :
نعم . قال : ترُدُّها علي من أخذتها منه ظلماً . فبكى
مسلمةُ ثم قال : يرحمك الله ، لقد أَلَنْتَ مِنَّا قلوباً
قاسيةً ، وأنقيتَ لنا في الصالحين ذكراً .

واستبطأ عبدُ الملك ابنه مسامةً في مسيره إلى الروم ؛
فكتب إليه :

لِمَنْ الظَّاعِنُ سِيرُهُنَّ تَزَحَّضُفُ؟
سَيَرَّ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ يُجْدَفُ (٢)

(١) إن نافية بمعنى ليس ومن زائدة

(٢) البيت لأعني همدان ، مطلع قصيدة قالها وهو أسير ببلاد الروم

فلما قرأ مسلمات الكتاب ، كتب في جوابه :
 ومستعجب ميمًا يرى من أناتنا
 ولو زبنته (١) الحرب لم يترمرم (٢)

* * *

مروان بن محمد (٣)

دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مروان بن محمد ، فاستأذنه في تقبيل يده فأعرض عنه ، ثم قال له :
 قد عرف أمير المؤمنين موضعك في قومك ، وفضلك في نفسك ، وتقبيل اليد من المسلم ذلة ، ومن الذمي خديعة ولا خير لك في أن تنزل بين هاتين .

قالوا : كان يأخذ مروان بن محمد كل سنة من الخزانة قباءين (٤) ، فإذا أحسنتهما ردهما إلى الخزانة وأخذ جديدين .

(١) زبنته الحرب : دفعته وصدته

(٢) يترمرم : يحرك فاه بالكلام . والبيت لأوس بن حجر .

(٣) مروان بن محمد بن مروان ، وهو ابن أخى عبد الملك بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين ، ولد سنة ٧٣ هـ استولى على الملك سنة

١٢٧ هـ ، هزم في موقعة الزاب ، وقتل بمصر سنة ١٣٣ هـ

(٤) قباءين : مئتي قباء ، وهو نوع من الثياب

كتب إلى بعض الخوارج : إني وإيّاك كالزجاجة والحجر ، إن ودّعَ عليها رَضَّها ، وإن وقعت عليه فَصَّها .

قال الأصمعي : ما ولي مروانُ الخلافةَ أرسلَ إلى ابنِ رغبان (١) — الذي نُسبَ إليه بعد ذلك مسجدُ ابنِ رَغْبَان — ليوليَّه ، فرأى له سُجَّادَةً مثل رُكبةِ البعير ، فقال : يا هذا ؛ إن كان مابك من عبادةٍ فما يحلُّ لنا أن نُسَخِّلَكَ . وإن كان من رياءٍ فما يحلُّ لنا أن نستعبدَكَ .

قال (٢) عماد الحميد : تعلَّمتُ البلاغةَ من مروان ، أمرني أن أكتبَ في حاجةٍ فكتبْتُ على قدرِ الموسع ؛ فقال لي : اكتب ما أقول لك :

بسم الله الرحمن الرحيم
أما آنَ للحُرمةِ أن تُرعى ، وللدِّينِ أن يُقضى ،
وللموافقةِ أن تُتَوَخَّى !

(١) هو مولى حبيب بن مسلمة من فريش .

(٢) هو عماد الحميد بن يحيى بن سعيد المشهور بعبد الحميد الكاتب أول من طول الرسائل ، وافق فيها . اخص بمروان بن محمد ، وقتله العباسيون معه سنة ١٣٢ هـ .

ووقع إلى عاملٍ بالكوفة : حَابٍ عِلِيَّةَ النَّاسِ فِي
كَلَامِكَ ، وَسَوْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلْطَةِ فِي أَحْكَامِكَ .

قالوا : وَلِنَمَّا لُقِّبَ بِالْحِمَارِ لِأَن أَصْحَابَ أَبِي
مُسْلِمٍ لَمَّا خَرَجُوا كَانُوا حَمَّارَةً ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا
اسْتَعَجَلَ حِمَارَهُ يَقُولُ : هَرْمَرَوَان . هَيْسُ ، مَرَوَان (١)
فَلَمَّا ظَفَرُوا بِهِ اسْتَمَرَّ بِهِ اللَّقْبُ .

قال عمر بن مروان : عرض أبي بظهر الكوفة
ثَمَانِينَ أَلْفَ عَرَبِيٍّ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ وَثِقَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ
الْعَدَدِ وَالْعُدْدِ : إِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ لَمْ تُعْخَنِ الْعِدَّةُ
وَلَا الْعُدَّةُ (٢) .

قال بعض القرشيين : وفد على مروان بن محمد —
وقد تولَّى الخلافة — ونزل حرَّانَ (٣) قال : فتوالت على
بابه الوفودُ ؛ فخرج إلينا آذِنُهُ ، فَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

- (١) هَر . هرهت بالفهم دسوتها ، والهر ضرب من زجر الإبل
وهس . بكسر الهاء وضمها : زجر الشاة
(٢) أي لا ينفع الرجال ولا السلاح .
(٣) حران . مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام .

يُغسلُ تِبابَه . فمن أراد أن يُقِيمَ فليقيم . ومن أراد أن
ينصرفَ فليَنصرف . فجعل الناس يعجبون من ذلك .
ولم يبرح أحدٌ .

وكان يُقال : لو ذهبت دولةُ بني مروانَ على يد
غير مروانَ لقال الناسُ : لو كان لها مروانٌ ما ذهبت .

* * *

الباب الثالث

كلام الخلفاء من بني هاشم السفاح^١

رفع بعضُ السُّعَاةِ إليه قِصَّةً بِسِيعَايةٍ على بعضِ
عماله ، فَوَقَّحَ فيها :

هذه نصيحةٌ لم يُرَدَّ بها ما عندَ الله ، ونحن فلا نقبلُ
قولَ من آثرنا على الله .

ومن كلامه : إنَّ من أدنياء الناسِ ووُضَعائِهِمْ مَنْ
عَدَّ البُخْلَ حِزْماً ، والحِلْمَ ذُلًّا .

ومنه : إذا عَظُمَتِ المَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ ، وَقَلَّ
تَبَرُّعُ^٢ إِلَّا وَمَعَهُ حَقٌّ مُضَاع .

ومنه : إذا كان الحِلْمُ مَتَفَسِّدَةً كان العَفْوُ مَعْرِجَةً ،
والصَّبْرُ حَسَنٌ إِلَّا عَلَى مَا أَوْتَعَ الدِّينَ (٢) ، وأَوْهَنُ

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أول خلفاء
العباسيين ، ولد سنة ١٠٤ هـ ولقب بالسفاح ، لقوله في إحدى خطبه .
« فأنا السفاح الهائج » توفي سنة ١٣٦ هـ .

(٢) أوتغ . أهلك .

السلطان . والآناةُ محمودةٌ إلا عند إمكانِ الفرصة .

قالوا : كأنهم المنصورُ أبا العباس في محمد بن عبد
الله بن حسن وأهله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنيسهم
بالإحسان ، فإن استوحشوا فالشرُّ يُصلح ما عجز عنه
الخير . ولاتدعُ محمدًا يمرحُ في أعينَةِ العقوق .

فقال : يا أبا جعفر ، إننا كذلك . ومن شدّد نفّر ،
ومن تآلف . والتغافلُ من سجايا الكرام ،
وما أحسن ما قال أعشى وائل (١) :

يُخْضِي عَنِ الْعَوْرَاءِ (٢) ، او
لا الحِلْمُ غَيْرَهَا انتصارُهُ

وكان يقول : إنّ المقدرةَ تُصْغِرُ الأُمْنِيَّةَ ، لقد كنّا
نستكثرُ أمورا ، أصبحنا نستقلها لأخسَّ من صَحْبِنَا ،
ثم نسجد شكرا .

* * *

(١) هو الشاعر أعشى بى فيس المشهور .

(٢) العوراء . الكلمة أو الفعلة القبيحة

الْمَنْصُورُ (١)

ذَكَرَ يَوْمًا مَلُوكَ بَنِي مَرْوَانَ ، فَقَالَ : كَانَ عَبْدُ
الْمَلِكِ جَبَّارًا لَا بُدَّ لِي مَصْنَعٍ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ لِحَافًا مَجْنُونًا ،
وَكَانَ سَلِيمَانُ هَمَّتْهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، وَكَانَ عَمْرُو أَعْوَرَ
بَيْنَ عَمِيَانٍ ، وَكَانَ هِنَسَامُ رَجُلَ الْقَوْمِ .

لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ خُرُوجُ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ (٢) - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا - سَنَّ (٣) عَلَيْهِ دِرْعًا ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَصَعَدَ
الْمَنْبَرَ . فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ .

مَالِي أَكْفَكِفُ عَنْ سَعْدٍ وَتَشْتُمْنِي
لَوْ شَتَمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدَّ سَكَنُوا
جَهَنَّمَ عَلَيْنَا ، وَجُبْنًا عَنْ عَدُوِّهِمْ
لَبِثْتُ الْخَلِيفَتَانِ : الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ (٤)

-
- (١) ثَانِي خُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ ، وَلَدَ سَنَةِ ٩٥ هـ ، وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ سَنَةَ ١٣٦ هـ .
نَشَأَ بِبَغْدَادَ وَقَوَّيْتُ بِتَشْجِيعِهِ حَرَكَةَ التَّرْجَمَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٨ هـ .
(٢) مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيِّ : خَرَجَا أَوَّلَهُمَا
سَنَةَ ١٠٤ هـ بِالْمَدِينَةِ ، وَتَبِعَهُ الثَّانِي فِي السَّنَةِ نَفْسَهَا بِالْبَصْرَةِ .
(٣) سُنَّ دِرْعَهُ . أَسْبَغَهُ عَلَيْهِ .
(٤) الْبَيَانُ لِقَعْنَبِ بْنِ أُمِّ صَاحِبِ سَاعِرٍ لِإِسْلَامِي كَانَ فِي عَهْدِ الْوَلِيدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ .

أما والله لقد عَجَزُوا عما قُمنَا به ، فما عضدُوا
المكافئَ ، ولا شكروا المنيعم .

فماذا حاولُوا ؟ أَأشرب رنقاً (١) على غَصص ،
وأبيتُ منهم على مَضَض ؟ كلاًّ والله أصل ذَا رحمٍ
حاولَ قَطِيعَتَهَا ، ولئن لم يرضَ بالعفو ليطْلُبَنَّ مالا
يوجدُ عندي ، فليُبقِ ذُو نفسٍ على نفسه ، قبل أن
تمضيَ عنه ، ثم لا يُبَكِّي عليه ، ولا تذهبُ نفسٌ
مَسْرَّةٌ لما أتاه .

وخطب بعد قَتْلِهِ أبا مسلم (٢) ، فحمد الله ، ثم أثنى
عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، أيها الناسُ ، فإنه من نازَعَنَا
عُرُوةَ هذا القميصِ أوطأناه خبيء (٣) هذا الغِمْدِ —
وأوماً إلى سيفه — وإنَّ عبدَ الرحمن بايَعَنَا ، وباعَ
أَنَا على أَنه مَنْ نكثَ بنا فقد حَلَّ دَمُهُ ، ثم نكثَ بنا ،
فحكَمْنَا فيه لأنفسِنَا حُكْمَهُ على غيرِهِ لَنَا ، ولم تَمْنَهُ
رِعايةُ الحقِّ لَهُ من إقامة الحدِّ عليه .

(١) الرنق : الماء المختلط بالطين .

(٢) قتل المنصور أبا مسلم سنة ١٣٧ هـ .

(٣) خبيء الغمد : ما استتر فيه والمراد السيف .

أهوى (١) هشام (٢) بن عروة إلى يده ليقبّلها ،
فقال له : يا أبا المنذر ، إننا نكرمك عنها . ونكرمها
عن غيرك .

استأذن سوار (٣) قاضي البصرة على المنصور .
فأذن له ، فدخل وسلم ، فقال المنصور : وعليك السلام .
ادنُ أبا عبد الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، آأدثو على
مامضى عليه الناس أم على ماأحدثوا ؟ (٤) فقال : بل على
مامضى عليه الناس . فدنا فصافحه تم جلس ، فقال
المنصور : يا أبا عبد الله ، قد عزمتُ على أن أدعو أهل
البصرة بسجالاتهم ، وأشريتهم (٥) ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، نشدتُك الله ألا تعرض لأهل البصرة . فقال :
ياسوار ، أبأهل البصرة تهددني ؟ والله لهممتُ أن أوجه

(١) أهوى : انحط من قرب .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير ، ولد سنة ٦١ هـ ، من علماء الحديث ،
توفي ببغداد سنة ١٤٦ هـ .

(٣) سوار بن عبد الله قاضي البصرة ، تولى قضاءها سبع عشرة سنة .

(٤) يريد بما مضى عليه الناس : المصافحه ، وبما أحدثوا : تقبيل اليد .

(٥) الأشرية : جمع شرى أو سراء .

إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم ، ويضعُ السيف فيهم فلا يرفعه عنهم حتى يفنيهم . فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت إلى غير ما ذهبتُ إليه ، إنما كرهتُ لك أن تتعرض للدعاءِ الأرملةِ واليتيمِ ، والشيخِ الكبيرِ الفاني ، والحدثِ الضعيفِ . فقال : يا أبا عبدِ الله ، أنا للأرملةِ بعلٌ ، ولليتيمِ أبٌ ، وللشيخِ أخٌ ، وللحدثِ الضعيفِ عمٌ ، وإنما أريدُ أن أنظرَ في سجلاتهم وأُشرِيتهم لأستخرج مافي أيدي الأغنياء ، مما أخذوه بقوتهم وجاهيهم من حقوق الضعفاء والفقراء . فقال : وفقك الله للخير ، وأرشدك لما يُحبُّ ويرضى .

كان المنصورُ يقولُ : الملوكُ تحمل كلَّ شيء إلا ثلاثَ خلالٍ : إفشاء السر ، والتَّعرض للحُرِّم ، والقدح في الملك .

وقال : إذا مدَّ عدوكُ يدَهُ إليك فاقطعها إن أمكنك ، وإلاَّ فقبلها .

وخطبَ بمكةَ وقد أمَّلَ الناسُ عطاءه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطانُ الله في أرضه ، أسوسُكم

بتوقيفه وتسديده ، وخازنه على فيثيه ، أعمل فيه
 بمشيئته وأقسمه بإرادته ، وقد جعلني الله عز وجل
 قنلاً عليه ، إذا شاء أن يفتحنني فتحني ، وإذا شاء أن
 يقفلني أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا
 اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه ، فقال
 جل اسمه : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت
 عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١) أن يوفقني للصواب ، ويسدني للرشاد ،
 ويُلهمني الرأفة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحني
 لأعطيائكم ، وقسم أرزاقكم فيكم ، إنه قريب مجيب .
 فقال ابن عباس المتوفى : أحال (٢) أمير المؤمنين
 بالمتنع على ربه .

خطب المنصور بالكوفة فقال : الحمد لله أحمداه ،
 وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله
 إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأراد أن يقول : وأشهد أن
 محمداً عبده ورسوله ، فقال رجلاً : يا أمير المؤمنين ،

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) أحال الغريم : زجاء إلى غريم آخر .

أَذْكُرَكَ مَنْ تَذْكُرُ بِهِ ، فقال المنصورُ : سَمِعَا سَمِعَا
 لمن فهمَ عن الله ، وأعوذُ بالله أن أذكرَ بالله وأنساه ،
 وأن تأخذني العزةُ بالإثم : (قد ضللتُ إذا وما أنا مِن
 المهتدين) (١) وأنتَ والله ما الله أردتَ بذلك ، ولكن
 حاولتَ أن يُقالَ : قامَ فقالَ فعوقِبَ فصبر ، وأهونُ
 بها وبقاتلها ! ولو صمتَ لكانَ خيراً له ، فاهتَبِلها
 إذا غفرتُها ، وإياكم وأخواتها ، فإن الموعظةَ علينا
 نزلتْ ، ومن عندنا انبثَّت ، فردُّوا الأمرَ إلى أهله
 يصدِّروه كما أوردوه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
 ورجع إلى خطبته .

وقال للمهديّ ابنه : يا أبا عبد الله ، لا تُبْرِمَنَّ
 أمراً حتى تفكَّرَ فيه ، فإنَّ فكرةَ العاقلِ مرآةٌ تُريه
 قبيحَه وحسنَه .

وقال له : يا أبا عبد الله ، الخليفةُ لا يُصِلحه إلاَّ
 التقوى ، والسلطانُ لا يُقيمُه إلاَّ الطاعةُ ، والرعيةُ
 لا يُصلحُها إلاَّ العدلُ ، وأولى الناس بالعفوِ أقدرُهم على

(١) سورة الأنعام : ٥٦ .

العقوبة ، وأنقصُ الناسُ مَرْوَةَ وعَقْلًا مَن ظَلَمَ من
هو دُونَهُ .

وقال له الربيعُ : إن لفلانٍ حقًا ، فإن رأيت أن
تفضييه فتوليَّه ناحيةً . فقال : ياربَّيعُ ، إنَّ لاتصاله
بنا حقًا في أموالنا ، لافي أعراض المسلمين وأموالهم .
إنَّا لانوليَّي للحُرمةِ والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية ،
ولا نُؤثِّرُ ذا النسب والقربة على ذي الدَّرايةِ والكتَّابةِ ،
فمن كان منكم كما وصفنا شاركناهُ في أعمالنا ، ومن
كان عَطْلًا^(١) لم يكن عُدْرٌ عند الناس في تَوَلِّيَتِنَا
إِيَّاهُ ، وكان العُدْرُ في تركِنَتنا له وفي خاصِّ أموالنا
مايسعهُ .

* * *

المُهْدِيُّ^٢

حكى أن رجلاً أتى باب المهديِّ ، ومعه نعلانٌ

(١) العطل . يقال للخالي من أي شيء ، وفي الأصل يقال في الخلو من

الخل للنساء

(٢) محمد بن عبد الله المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٢٧ هـ ،

وتولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ كان شديدًا على الزنادقة توفي سنة ١٦٤ هـ .

فقال : هما نعلان رسول الله — صلبتي الله عليه وسلم —
فعرّفت المهديّ ، فأدخلاه ووصلته ، فلما خرج قال
المهديّ : والله ما هذا نعل رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — ومن أين صارت إليه ؟ أبسميراث أم بشرى (١) أم
هبة ؟ لكني كرهت أن يقال : أهدي إليّ نعل رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — ، فلم يقبلها ، واستخفّ بحمّتها .

قال الربيع : لما حطّس المهديّ موسى بن جعفر
— رضي الله عنه — (٢) رأى في النوم عليا — رضي الله عنه —
وهو يقول له : يا محمد ؛ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ
أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (٣)
قال الربيع : فأرسل إليّ ليلاً فراعني ذلك ، وإذا
هو يقرأ هذه الآية — وكان أحسن الناس صوتاً — فعرّفتني
خبر الرؤيا . وقال : عليّ بموسى بن جعفر . فجهّته
به ؛ فعانقته وأجلسه إلى جانبه ، وقال : يا أبا الحسن ؛

(١) الثرى والشراء بمعنى واحد .

(٢) هو موسى بن جعفر الطالبي ، ولد سنة ١٤٥ هـ . حبسه المهدي

ثم أطلقه .

(٣) سورة محمد : ٢٢ .

إِنِّي رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَرَأَ عَلَيَّ كَذَا .
أَفْتَوْهُمُنِّي أَنْ تَخْرُجَ عَلَيَّ ، أَوْ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِي ؟
فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا ذَاكَ شَأْنِي . فَقَالَ : صَدَقْتَ . يَا رَبِيعُ ؛
أَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَرُدَّهَ إِلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ .

وَلَمَّا اسْتُخْلِفَ أَحْرَجَ مَنْ فِي السُّجُونِ ، فَقِيلَ لَهُ :
إِنَّمَا تُزْرِي عَلَى أَيْيَاكَ ؛ فَقَالَ : لَا أَزْرِي ، وَلَكِنْ أَبِي
حَبِيسَ بِالْمَنْبِ ، وَأَنَا أَعْفُو عَنْهُ .

وَوَلَّى الرَّبِيعَ بْنَ أَبِي الْجَهْمِ فَارِسَ ؛ فَقَالَ لَهُ :
يَا رَبِيعُ ؛ آثَرِ الْحَقِّ ، وَالزَّمِ الْقَصْدَ ، وَارْفُقْ بِالرَّعِيَةِ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْدَلَ النَّاسِ مَنْ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ،
وَأَجْوَدَهُمْ مَنْ ظَلَمَهُمْ لغيره .

قِيلَ : كَانَ الْمَهْدِيُّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَاتِّهَا فِي الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ لَمَّا قَدِمَ مَعَهَا ، فَأُتِيَتْ الصَّلَاةُ يَوْمًا ؛
فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَسْتُ عَلَى طَهْرٍ ، وَقَدْ رَغِبْتُ
إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَكَ ، فَأَمْرٌ هَؤُلَاءِ أَنْ يَنْتَظِرُونِي
فَقَالَ : انْتَظِرُوهُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؛ وَدَخَلَ إِلَى الْمَحْرَابِ ،

فوقفت إلى أن أقبلَ ، وقيل له : قد جاءَ الرجلُ ؛ فعمجب
الناسُ من سماحةِ أخلاقِهِ .

هاجت ربيعٌ سوداءُ في أيامِ المهدي ، فرؤي وهو
ساجدٌ يقول : اللهم لا تُشهِمِ بِنَا أعداءَنا من الأممِ
واحفظُ فينّا دعوةَ نبيّنا — صلى الله عليه وسلم — وإن
كنتَ أخذتَ العامةَ بذي فهدِهِ ناصيتي بيدِكَ (١) .

وكان المهديُّ يحبُّ الحَمَامَ ؛ فأدخلَ عايه غياثُ بنُ
ابراهيم ؛ فقبل له : حدثتُ أميرَ المؤمنين وكان قد بلغه
استهتارُ (٢) المهديِّ بالحَمَامِ ؛ فقال : حدثني فلانٌ عن
فلان عن أبي هريرة — رفعه — أنه قال : « لا سَبَقَ
إِلَّا في حافِرٍ أو نَصْلٍ أو جَنَاحٍ » (٣) ؛ فأمر له بعشرة
آلاف درهم . فلمّا قامَ ، قالَ المهدي ، وهو ينظرُ في
قَفَا غِيَاثٍ : أشهدُ أن قَفَاكَ قَفَا كَدَّابٍ على رسول
الله — صلى الله عليه وسلم — وإنّما استعجلتُ ذلكَ أنّا .
وأمرَ بالحَمَامِ فليُدبَح .

* * *

(١) الناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس . يريد : أمري بيدك ،

(٢) الاستهتار بالشيء : الولع به .

(٣) والحديث موضوع .

الهادي (١)

اعتانت أمه الخيزران (٢) ؛ فأراد الركوب إليها ، فقال عمر بن بزيع (٣) ألا أدلك على ما هو أنفع من عيادتها ، وأجلب لعافيتها ؟ قال : بلى . قال : تجلس للمظالم ؛ فقد احتاج الناس إلى ذلك ، فرجع وجلس ووجه إليها : إني أردتلك اليوم ، فعرض من حق الله ما هو أوجب ، فمليت إليه ، وأنا أجيئك في غد إن شاء الله .

قال سعيد بن ساسم الباهلي : صلى بنا الهادي صلاة الغداة فقراً : (عمّ يتساءلون) (٤) فاعما بلغ قواه تعالى : ((أَلَسْمُ نَسْجَعِلِ الْأَرْضَ مِهَاداً)) أُرْثِجْ

(١) موسى بن محمد المهدي بن المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ ، تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ .

(٢) الخيزران بنت عطاء جارية اشتراها المهدي ، وولدت له الهادي والرشيد

(٣) عمر بن بزيع ، تولى ديوان زمام الأزمة في عهد المهدي ، وديوان الرسائل في عهد الهادي .

(٤) سورة النبأ : ١ و ٦ .

عليه ؛ فردّدها ولم يَجَسِّرْ أَحَدٌ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ لَهَيْبَتَهُ ،
وكان أهيب الناس ، فعلم ذلك فقراً : ((أليسَ مِنْكُمْ
رجُلٌ رشيدٌ)) (١) ففَتَحْنَاهُ عَلَيْهِ ، وكنا نَعُدُّ هَذَا من
محاسنه .

* * *

الرَّشِيدُ (٢)

قال الحاجبه : احجُبْ عَنِّي مَنْ إِذَا قَعَدَ أَطَالَ ،
وَإِذَا سَأَلَ أَحَالَ ، وَلَا تَسْتَخِفَّنِي بِذِي الْحَرَمَةِ ،
وقدّمُ أبناءَ الدعوةِ .

عرض له رجلٌ وهو يطوفُ بالبَيْتِ ؛ فقال : يا أَمِيرَ
المؤمنين ؛ إني أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فِيهِ خُشُوعٌ
فاحتمأه لي . قال : لا ، ولا كرامةَ ، قد بعثَ الله من هو
خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ مِنِّي ؛ فقال : ((فَقُولَا لَهُ
قَوْلًا لَيْسَ)) (٣) .

(١) سورة هود : ٧٨ .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٤٨ هـ ، وتولى
الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .

ولما احتَضِر قال : واحيائي من رسول الله !

ودعا بعبد الملك بن (١) صالح وعندهُ ولاةٌ عهدهِ
وقوادٌ جُنْدِه ؛ فجيءَ بهِ وهو يَرْسُفُ في قَيْدِه ،
فلما مثل بين يدي الرشيدِ . قال الرشيدُ :

أريدُ حياته ويريدُ قَتْلِي

عند يركَ مِنْ خَلِيلِكَ من مُرادِ (٢)

واللهِ لَكُنِّي أَنْظُرُ إلى شُؤْبِهَا (٣) . وقد هَمَعَ (٤) ،
ولمِ عارضِها (٥) وقد لمع ، ولمِ الوعيدِ قد أَوْرَى ناراً ؛
فأَقْلَعَ عن رُؤوسِ بلا غَلَاصِمِ (٦) ، ومَعَاصِمِ بلا
بَرَاجِمِ (٧) ، مهلاً مهلاً بِنِي هاشمٍ ، فَبِي سَهْلٍ لَكُمْ

(١) عبد الملك بن صالح العباسي ، من أمراء العباسين ، حبسه الرشيد
سنة ١٨٧ هـ ، وأطلق الأُمين سراحه مات سنة ١٩٦ هـ .

(٢) البيت لعمر بن معد يكرب .

(٣) الشؤبوب : دفعة المطر .

(٤) هَمَعَ المطر : سال .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق .

(٦) الغلاصم : جمع غلصمه وهي اللحمية بين الرأس والعنق .

(٧) البراجم : جمع برجمة وهي مفصل الإصبع .

الْوَعْرُ ، وصفًا لكم الكَدْرُ ، فَتَنَدَارِ نَدَارِ (١) من
 حُلُولِ دَاهِيَةٍ خِيُوطٍ بِالْيَدِ ، لَسْبُوطٍ (٢) بِالرَّجْلِ .
 فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أأتكلمُ فذلّا (٣) أو توأمًا ؟
 فقال : بل فَذلّا ، فقال : اتَّقِ اللهَ يا أميرَ المؤمنين فيما
 وَلَاكَ ، وراقبه فيما استرعَاكَ ، ولا تجعلِ الشُّكْرَ
 بموضعِ الكُفْرِ لقولِ قائلِ يَنْهَسُ اللحمَ (٤) ، ويأخُ
 الدمَ ؛ فواللهَ لقدِ حَدَدْتُ القُلُوبَ على طاعتِكَ ، وَذَلَّلْتُ
 الرجالَ لمحبتِكَ ، وَكُنْتُ كما قالَ أحو بنُ كلابٍ (٥) .
 ومقامٍ ضيقٍ فَرَجَّتُهُ

بياني ، ولساني ، وجدلُ
 أو يقومُ الفيلُ أو فَيَّالُهُ
 زلَّ عنْ مِثْلٍ مَسْقَامِي وزمحلُ (٦)

-
- (١) نذار : اسم فعل أمر بمعنى أُنذر .
 (٢) لبوط : صيغة مبالغة من لبط الأرض : ضربها برجله ضرباً
 شديداً .
 (٣) الفل : الفرد .
 (٤) يهنس اللحم : يَنْزَعُهُ بِالشَّوْطِ لِلْأَكْلِ .
 (٥) لبيد بن ربيعة .
 (٦) زحل : تحول عن المكان .

فأمر به فَرَدَّ إِلَى مَسْحِيهِ . ثم قال : لقد دعوت به ، وأنا أرى مكانَ السيفِ من صَليْفِ قَفَاهُ (١) ، ثم هَآنَا قَدْ رَثَيْتُ لَهُ .

كتب الرشيدُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى : أَطَالَ اللَّهُ يَا أَخِي مُدَّتْكَ ، وَأَدَامَ نِعْمَتَكَ ، وَاللَّهُ مَا مَنْعَنِي مِنْ لِمَتَانِكَ إِلَّا التَّطِيرُ مِنْ عِيَادَتِكَ ؛ فَاعِزُّ أَخَاكَ ، فَوَاللَّهِ مَا قَلَاكَ وَلَا سَلَكَ ، وَلَا اسْتَبْدَلَ بِكَ سِوَاكَ .

وعاتبته أم جعفر (٢) فِي تَقْرِيطِهِ لِلْمَأْمُونِ ، دُونَ مُحَمَّدِ ابْنِهَا ، فَدَعَا خَادِمًا بِحَضْرَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : وَجَّهْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَعَبْدَ اللَّهِ خَادِمَيْنِ حَصِيفَيْنِ يَقُولَانِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْخُلُوةِ : مَا يَفْعَلُ بِهِ إِذَا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ ؟ فَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَإِنَّهُ قَالَ لِلْخَادِمِ : أَقْطِعْكَ وَأَعْطِكَ ، وَأَقْدَمَكَ . وَأَمَّا الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ رَمَى الْخَادِمَ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا بَنَ الْإِخْنَاءِ (٣) ، أَتَسْأَلُنِي عَمَّا أَفْعَلُ

(١) صليْفُ الْقَفَا : عَرْضُهُ أَوْ رَأْسُ الْفَقْرِ الَّتِي تَلِي الرَأْسَ .

(٢) أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور تزوجها الرشيد سنة ١٦٥ هـ وهي أول حفيذة خليفة وزوج خليفة وأم خليفة توفيت في أيام المأمون سنة ٢١٦ هـ .

(٣) الإخناء : المشتتة الرائحة .

بك يوم يموتُ أميرُ المؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ؟
إني لأرجو أن نكون جميعاً فداءً له .

فرجعا بالخَبَر ، فقال الرشيدُ لأم جعفر : كيف
تريَن ؟ ما أقدم ابنك إلاَّ متابعَةً لرأيك ، وتركاً
للحزم .

وسايرَه يوماً عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقام رجل ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، طأطِئ من إشرافِه (١) ،
واشدُّدْ شكائمه (٢) ، وإلاَّ أفسد عليك مَلِكَكَ . فقال
الرشيدُ : يا عبدَ الملك ، ما هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ،
ونافسُ رُتَبَةٍ أغضبه رِضاكَ عنيَّ وباعدَه قُربُكَ مني ،
وساءَه إحسانُكَ إليَّ . فقال الرشيدُ : انخَفَضِ القومُ
وعَلَوَتِهِمْ ، فتوقَّدتْ في قلوبهم جَمرةُ التأسُّف ، فقال
عبد الملك : أضرمَها الله بالتزيُّد عندك ، فقال : هذا
لك ، وذاكَ لهم .

(١) الإشراف : العلو والانتصاب

(٢) الشكائم : جمع شَكِيمة ، وهي الحديدية عن اللجام ، المعترضة

في فم الفرس

كَانَ الْحَسَنُ الْوَلَوِيُّ^(١) يَخْتَلِفُ إِلَى الْمَأْمُونِ ، يُلْقِي
عَلَيْهِ الْفَرَائِضَ ، فَدْخَلَ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَقَدْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ،
فَجَعَلَ يُلْقِي عَلَيْهِ ، وَنَعَسَ الْمَأْمُونُ فَأَطْبَقَ جَفَنَيْهِ ،
فَقَالَ الْحَسَنُ : أُنِيمْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ - وَهُوَ إِذْ
ذَلِكَ صَبِيٌّ - فَقَالَ : عَامِي^٢ وَاللَّهِ لَمْ يُغَدِّ بِالْأَدَبِ ،
خَذُوا بِيَدِهِ وَلَا تُعِيدُوهُ إِلَيَّ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّشِيدَ ، فَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ زَهِيرِ^(٢) :

وَهَلْ يُنْسَبُ الْخَطِي^(٣) إِلَّا وَشَيْجُهُ^(٤)
وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

وَصَعِدَ يَوْمًا الْمَنْبَرَ وَقَدْ شَغِبَ الْجُنْدُ ، ثُمَّ سَكَنُوا
بَعْدَ إِيقَاعِهِمْ ، فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَلَائِكَتِهِ
الْمُقَرَّبِينَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ .

(١) الْحَسَنُ بْنُ زِيَادِ الْوَلَوِيِّ ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، تَفَقَّهَ بِالْكُوفَةِ وَرَحَلَ
إِلَى بَغْدَادٍ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ .

(٢) الْمُرَادُ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ .

(٣) الْخَطِي : الرِّمَاحُ ، نَسَبَهُ إِلَى خَطِّ الْبَحْرَيْنِ .

(٤) الْوَشَيْجَةُ : عَرَقُ الشَّجَرَةِ .

أما بعد ، فقد كان لكم ذَنْبٌ ، وكان لنا عَتْبٌ ،
 وكان منكم اضطِلامٌ (١) ، وكان منّا انتقامٌ . وعندي
 بعد هذا التنفيسُ عن المكروبين ، والتفريجُ عن المغمومين ،
 والإحسانُ إلى المحسنين ، والتَّغَمَّدُ (٢) لإساءةِ المسيئين ،
 وألّا يُكْفَرَ (٣) لكم بلاءٌ ، ولا يُحْبَسَ عنكم عطاءٌ ،
 وعليّ بذلك الوفاءُ إن شاء الله . ثم نزل .

قال سعيدُ بن سلم : كان فهمُ الرشيدِ فهمَ
 العلماء . أنشده العُماني (٤) في صفة فرس :

كَأَنَّ أَذْنِيَهُ إِذَا تَشَوَّفَا (٥)
 قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا
 فقال الرشيدُ : دَعْ كَأَنَّ ، وقُلْ : تَخَالُ أَذْنِيَهُ
 حتى يستويَ الشعر .

-
- (١) اضطلم الشيء : اجتثه من جذوره .
 (٢) التغمّد : السّر ، وأصله من تخبئة السيف في غمده .
 (٣) يكفر : يمحّد .
 (٤) هو محمد بن ذؤيب الدارمي ، اشتهر بلقب العماني ، ولم يكن
 من عمان ، شاعر رجاز متوسط من شعراء الدولة العباسية .
 (٥) تشوف : نصب عنقه .

أُنشد النَّمْرِيّ (١) الرّشيدَ شعراً يقول فيه :

ليستْ كَأَسِيفِ الحُسَيْنِ ولا بُنِي
حَسَنٍ ، ولا آلِ الزُّبَيْرِ الكَلَّلِ (٢)

فقال له الرشيد : وماتوا لثعلب (٣) بذِكْرِ قَوْمٍ
لا يَنالُهُم ذمٌّ إلاَّ شَاطَرَتْهُمُ إِيَّاهُ . قَدَرْتُ رَأْيِي هَذَا مِنْكَ
وَفِيكَ ، فَلَا تَعُدُّ لَهْ ، فَإِنَّمَا نَفَارَقُهُمْ فِي الْمَلِكِ وَحْدَهُ ،
ثُمَّ لَا افْتِرَاقَ فِي شَيْءٍ بَعْدَهُ .

قال الأصمعي : قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه
على تَأْنِيسِي (٤) : يا عبد الملك (٥) ، أَنْتَ أَحْفَظُ هِمَّتًا ،
وَنَحْنُ أَعْقَلُ مِنْكَ . لَا تَعْلَمُنَا فِي مَلَأٍ ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَى

(١) منصور بن سلمة بن الزبرقان النزارى النمري ، شاعر من
شعراء الدولة العباسية ، حبسه الرشيد حتى أطلقه الفضل بن الربيع ، ومات
في أيام الرشيد .

(٢) الكلل : جمع كال وهو السيف لا حد له ، أو الذي لا يقطع .
(٣) تولع بفلان : شتمه وذمه .
(٤) التأنيس : الطمأنينة .

(٥) هو عبد الملك بن قريش العلامة اللغوي الأشجاري ولد سنة ١٣٨هـ ،
وتوفي سنة ٢١٦هـ .

تذكيرنا في خلاته ، واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال ،
 فإذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزدد ،
 وإياك والبداهة إلى تصديقنا ، أو شدة العجب بما
 يكون منا . وعلمنا من العلم ما نحتاج إليه ، على عتبات
 المناظر ، وفي أعطاف الخطب ، وفواصل المخاطبات ،
 ودعنا من رواية حوشي الكلام (١) وغرائب الأشعار ،
 وإياك وإطالة الحديث إلا أن نستدعي ذلك منك .
 ومتى رأيتنا صادفين (٢) عن الحق فأرجعنا إليه
 ما استطعت ، من غير تقرير بالخطأ ، ولا إضجار
 بطول التردد .
 قال : قلت : أنا إلى حفظ هذا الكلام أحوج مني
 إلى كثير من البير .

* * *

الأمين (٣)

قل لبعض العلماء : كيف كانت بلاغة الأمين ؟

(١) حوشي الكلام : غريبه .

(٢) صدف عن الحق : أعرض .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وبويع له
 بالخلافة سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد .

قال : والله لقد أتمتهُ الخلافةُ يومَ جُمُعَةٍ ، فما كان إلاَّ ساعةً حتى نُودي : الصلاةُ جامعةٌ ، فخرجَ ورَقِيَّ المِنْتَبِرَ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وأثنى عليه . ثم قال :

أَيْسُهَا النَّاسُ ، وَخَصُوصاً يَا بَنِي الْعَبَّاسِ ، إِنَّ الْمُنُونَ
مِرَاصِدُ ذَوِي الْأَنْفَاسِ ، حَتْمٌ مِّنَ اللَّهِ لَا يُدْفَعُ حُلُولُهُ ،
وَلَا يُنْكَرُ نَزْوُلُهُ ، فَارْتَجِعُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الْحُزَنِ
عَلَى الْمَاضِي إِلَى السَّرُورِ بِالْبَاقِي ، تُجْزَوْنَ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ .
وَتُعْطَوْنَ أَجُورَ الشَّاكِرِينَ .

فَتَعْجَبُ النَّاسُ مِنْ جُرَّاتِهِ ، وَبِلَّةِ (١) رِيقِهِ ،
وَشِدَّةِ عَارِضَتِهِ (٢) .

وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : كَانَ يَقُولُ لِي الرَّشِيدُ :
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ لَكَ بِلَاغَةَ مُحَمَّدٍ ، وَأَنَّ عَلِيَّ غَرَمَ
كَذَا وَكَذَا .

وَذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدًا فِي صِبَاهٍ كَانَ كَثِيرَ اللَّعِيبِ ،
وَكَانَ الْمَعْلَمُ يُلْقِي عَلَيْهِ فِي الْكُتُبَابِ ، وَعَلَى الْمَأْمُونِ ،

(١) بلة اللسان : انطباق الحروف على مخارجها .

(٢) شدة العارضة : كناية عن القوة .

وكان محمدٌ يلعبُ ويحفظُ ، والمأمونُ ينسى وهو مستقبلٌ
على العلم يقصدُ قصدهُ .

ذكر أنه دعا يوماً عبدَ الله بن أبي عَفَّانَ ليصطحب ،
فأبطأ فلما جاء قال : أظنُّكَ أَكَلْتَ . قال : لا والله .
قال : والله لتصدقنَّ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فدعا
بحكَّاءِكَ فحكَّ أضراسه السفلى ، فلما ذهبَ ليحكَّ
العليا قال : يا أمير المؤمنين ، دعها لغضبة أخرى ،
فخلَّاهُ .

قال الفضلُ بنُ مروان (١) : سمعته يقول في
خطبته : الناسُ جميعاً آمنونَ إلَّا أصحابَ الأهواء .
وقال لكاتبٌ بين يديه : دعِ الإطنابَ ، والزمِ
الإيجازَ ، فإنَّ للإيجازِ إفهاماً ، كما أنَّ مع الإسهابِ
استيهاماً .

(١) الفضل بن مروان بن ماسرخس ولد سنة ١٧٠ هـ أخذ البيعة

للمعتصم سنة ٢١٢ هـ ، وكان وزيراً عنده ، ألف بعض الكتب ، توفي سنة

٢٥٠ هـ .

المأمون (١)

وذكر أن الكسائي (٢) قام إليه يوماً -- وهو يُعلِّمُه وهو صغير -- فضربه . وقد كان صلَّى ذلك اليوم قاعداً فقال المأمون : أما تستحي أيها الشيخ تصلي لله قاعداً ، وتضربني قائماً ! .

قال بعضهم : قرأتُ كتابَ ذي الرياستين (٣) إلى المأمون ، وتوقيع المأمون فيه ، فإذا في الكتابِ بعد الصَّدر والدعاء :

إنَّ قَارِئاً قرأ البارحة : « وقلن نسوة في المدينة » (٤)

(١) عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون ، ولد سنة ١٧٠ هـ من أم ولد ، ولي الخلافة سنة ١٩٨ هـ وكان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) هو إمام النحو ، وعالم القراءات واللفة علي بن حمزة الأسدي ، رأس النحويين في الكوفة كما كان سيويوه في البصرة ، وكان مؤدباً للأمين والمأمون توفي سنة ١٨٩ هـ .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخي ، لقب بذي الرياستين لأنه جمع بين رياستي القلم والتدبير أو لأنه جمع بين رياستي الحرب والتدبير .
(٤) الآية : (وقال نسوة في المدينة . . .) سورة يوسف : ٣٠ .

فأنكرنا ذلك عليه ، فذكرَ أن الكسائي أجازه ، وكتاب
الله لا يتأنيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، فرددنا
علمَ كتابِ الله إلى خليفته .

قال : وإذا توقيعُ المأمون فيه : عَمَرَكَ اللهُ — ذا
الرياستين — طويلاً في طاعته ، وجعلك قائماً بأمر دينه ،
ذائباً عن حريم أمته ، إن لكل علمٍ دستوراً ، ودستورُ
هذا العلم القرآن ؛ فعليك بقراءته على ما أجمع عليه ،
ولا تلتفت إلى مختاري قولاً ليعقد له رياسته ، والسلام .
كتب المأمونُ إلى طاهرٍ لما قتل عليّ بن عيسى (١)
في رسالة طويلة :

إنما لك من هذا الأمرِ موقعُ السهمِ من الرميّة ،
والتسديدُ والرأي . والتدبيرُ لأبي العباس الفضل بن سهل .
وكان يقولُ : إذا رُفِعَت المائدةُ من بين يديه :
الحمدُ لله الذي جعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا (٢) .

وقال : ما انفقَ عليّ قط إلا وجدتُ سببه
جورَ العمال .

(١) علي بن عيسى بن ماهان ، من فواد العباسين ، وقائه جيش الأمين .

(٢) اجعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا : زائدة عنها .

وقال : أهلُ السُّوقِ سُفَّلٌ ، والصَّنَاعُ أَنْدَالٌ ،
والتَّجَارِبُ خَلَاءٌ ، والكَتَّابُ مَلُوكٌ عَلَى النَّاسِ .

وقيل له : ليس في السَّرَفِ شَرَفٌ ، فقال : ليس
في الشَّرَفِ سَرَفٌ .

وقال يوماً لبعضهم : متى فُدمتَ ؟ قال : بعد غدٍ
يا أمير المؤمنين . فقال : بيني وبينك بَعْدُ مرحلتان .

وقال لعبدِ اللَّهِ (١) بن طاهر : تَشَبَّهْتُ ، فإنَّ
اللَّهَ قَدْ قَطَعَ عُدْرَ الْعَجُولِ ، بما مَكَّنَّه من التَّشَبُّهَاتِ ،
وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ عَلَى الْقَلْقِ ، بما بَصَّرَهُ مِنْ
فَضْلِ الْأَنَاءِ . فقال ابنُ طاهر : أَكْتُبُهُ ؟ فقال : نعم .

قالوا : لما وجد عمرُ بنُ فرج (٢) كتاباً من أهل
الكَرْخِ (٣) إلى علي بن محمد بن جعفر بن محمد (٤) —

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزازي ولد سنة ١٨٢ هـ ،
ولي الشام ومصر سنة ٢١١ هـ ، ثم ولي خراسان وبها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) عمر بن فرج الرخجي من أعيان الكتاب في أيام المأمون .

(٣) المراد به كرخ بغداد ، بناء المعتصم للتجار ، وجعله سوقاً
لبغداد ورتبهم فيه .

(٤) هو علي بن موسى بن جعفر أحد أئمة البيعة الإمامية ، توفي
سنة ٢٥٢ هـ .

رضي الله عنهم — جاء به إلى المأمون ، فقال المأمون :
نحن أولى من ستر هذا ولم يشيعه . ودعا علي بن محمد ؛
فقال له : قد وقفنسا على أمرك ، وقد وهبنا ذلك لعلّي
وفاطمة — رضي الله عنهما — فاذهب ، وتخير ما شئت
من الذنوب ، فإننا نتخير لك مثل ذلك من العفو .

رفع الواقدي (١) قصةً إليه يشكو غلبة الدين ،
وقلة الصبر ؛ فوقّع المأمون عليها : أنت رجل فيك
خلتان : السخاء والحياء ؛ فأما السخاء ، فهو الذي أطلق
ما في يدك ، وأما الحياء فبلغ بك ما أنت عليه ، وقد أمرنا
لك بمائة ألف درهم . فإن كنّا أصبنا إرادتك فازدّد
في بسط يدك ، وإن كنّا لم نصّب إرادتك فبجنايتك
على نفسك . وأنت كنت حدثني ، وأنت على قضاء
الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن
مالك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال للزبير :
« يا زبير ؛ إنّ مفاتيح الرزق بإزاء العرش ، ينزل

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد ، من المؤرخين ، وسخط
الحديث تولى القضاء ببغداد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٧ هـ .

اللَّهُ لِلْعِبَادِ عَلَى قَدَرٍ نَفَقَاتِهِمْ؛ فَمَنْ كَثُرَ كَثُرَ لَهُ .
ومن قَاتَلَ قُلُلَ لَهُ .»

قال الواقدي : وكنتُ أنسيت هذا الحديث ؛ فكانت
مذاكرته إِيَّايَ به أعجب إليَّ من صلته .

وقال المأمونُ : الطعامُ لونٌ واحدٌ . فإذا استطبَّته
فاشبعَ منه . والندمانُ واحدٌ ، فإذا استطبَّته فاستزدهُ
حتى تقضي وطركَ منه .

وذكر أنَّ إبراهيمَ بنَ المهدي دخلَ على المأمون ،
وبين يديه صاعُ رُطَبٍ ، فقال : ادنُ فكلْ . فقال :
يا أميرَ المؤمنينَ على ما بي ؟ وكان وجعَ العينِ ؛ فقال :
ويحك ولا تهَبْ عينك للرُطَبِ .

ودخلَ إليه الطبيبُ فشكا إليه وجعَ الأسنانِ ؛ فقال :
يا أميرَ المؤمنينَ لا تأكلِ الرُطَبَ ولا تشربِ الماءَ بثلجٍ ؛
فقال : لولاها ما أردتُك .

وقَعَ المأمونُ في قصةٍ مُتَظَلِّمٍ من أبي عيسى بن

الرشيد (١) : (فإِذَا نُنْفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ
يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) (٢) .

وتظلم لآليه قوم من قاضي جبّيل (٣) ، ودكروا أنه
يعضُّ رؤوسَ الخصوم ، فوقَّع في قصتهم : يُشْتَقُّ (٤)
إن شاء الله .

وقال : من أراد أن يطيبَ عيشه فليدفعِ الأيامَ بالأيامِ .
قال العباسُ بن المأمون (٥) لغلّامه : إن رأيتَ في
الرُصَافَةِ بَقْلاً حسناً فاشترِ لي منه بنصفِ رِهم . فقال
المأمونُ : أمّا إذ عرفتَ أنَّ للدرهمِ نصفاً فو الله
لا أفلحتَ أبداً .

(١) أبو عيسى هو أحمد بن الرشيد ، أمه بربرية ، كان أدبياً
ظريفاً وله شعر

(٢) سورة المؤمنون . ١٠١ .

(٣) جبل بليد بين النعمانية وواسط ، كانت مدسة كبيرة وينسب
إلى قاضيهما في أيام المأمون ما يدل على ضعف عقله .

(٤) يشنق : يؤخذ منه الشنق وهو الأرض ما دون الدبة من المعازل
الصغار .

(٥) العباس بن المأمون ، ولاء أبوه الجزيرة سنة ٢١٣ هـ .

قال يحيى بن أكرم : ما شئتُ المأمون في بستانه ،
ويده في يدي ، فكان في الظلِّ ، وأنا في الشمس . فلما
بلغننا ما أردنا . ورجعنا صرتُ أنا في الفيء وصارَ هو
في الشمس : فُدرتُ أنا إلى الشمس ؛ فقال : ليس هذا
بإنصاف ، كما كنتُ أنا في الفيء ذاهبا . فكانتُ أنتُ
في الفيء راجعا .

وخطب بمرو — وقد ورد عليه كتابُ الأمين
يُعزيه بالرشيد ، ويحثُّه على أخذِ البيعة له — فقال :

إنَّ ثمرة الصبرِ الأجرُ ، وثمرَةُ الجزعِ الوزرُ ،
والتسليمُ لأمرِ الله جلَّ وعزَّ فائدةٌ جليلةٌ ، وتجارةٌ
مربحةٌ ، والموتُ حوضٌ مورودٌ ، وكأسٌ مشروبٌ .
وقد أتى على خليفَتكم — رضي الله عنه — ما أتى على
نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ، فإنَّنا لله وإنا إليه راجعون ،
فما كان إلا عبداً دُعيَ فأجابَ ، وأمرَ فأطاعَ ، وقد
سدَّ أميرُ المؤمنين ثلثَ مئة (١) وقامَ مقامه ، وفي أعناقكم
من العهدِ ما قد عرَفْتُم ؛ فأحسنُوا العزاءَ عن إمامكم
الماضي ، واغبطوا بالنعماء بالوفاء لخليفَتكم الباقي . يا أهلَّ

(١) الثلثة : الخلل .

خُرَّاسَانَ : إِنَّ الموتَ نازلٌ ، والأجلَ طالبٌ ، وأمسِ واعظٌ ، واليومَ مغتَنَمٌ ، وغداً منتظرٌ . ثم نزل .

وكتب إليه يزيد بن عقال يُشَنِّي على عبد الله بن طاهر ، فوقَّع المأمون في كتابه : عبدُ الله كما ذكرت ، وعلى أكثر مما وصفت . قد حمَّله أميرُ المؤمنين فاحتمل ، وأثقله فاضطلَّع .

كانوا يسمُّون أرسادَ السلطانِ المسالِحَ من السِّلَاح ، فكرِهَ ذلك المأمونُ فصيَّره المصَالِحَ من المصلحة .

وقال : إذا أصلَحَ الملكُ مجلسه ، واختارَ من يُجالِسُه صلَحَ مُلكُه كُلُّه .

ورفع أهلُ الكوفةِ قصةً إليه يشكون عاملاً ؛ فوقَّع : عيني تراكمُ ، وقلبي يرداكمُ ، وأنا مولٌ عليكم ثِقَتِي ورِضَاكُمْ .

وشغب الجندُ فرُفِعَ ذلك إليه ؛ فوقَّع : لا يُعطونَ على الشَّغب ، ولا يُحوَّجونَ إلى الطَّلَب .

قال يحيى بنُ أكرمَ : لما أراد المأمونُ أن يزوّج علي

ابن موسى (١) ، قال لي : يا يحيى تكلم ، فهبتُ أن
أن أقول أنكحتُ ؛ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أنت
الحاكم الأكبر وأنت أولى بالكلام ؛ فقال :

الحمدُ لله الذي تصاغرتِ الأمورُ لمشيئته ، ولا
إله إلا الله ، إقراراً برؤيئته ، وصلى الله على محمد
عند ذكره .

وأما بعدُ ؛ فإنَّ الله تعالى جعل النكاحَ سنةً
الأفام ، وفصلاً بين الحلال والحرام ، ولاني قد زوجت
ابن مَّ التَّضَلَّ من علي بن موسى الرضا ، وقد
مهرتها عنه أربعمئة درهم .

وقال المأمون : تمَّامُ النعمة أن تُستتمَّ بلزوم
شكرها ، وأوَّلُ منازل الشكرِ ألاَّ يتوصَّلَ إلى معصيةٍ
منعمٍ بفضل نعمته .

قال أحمدُ بن أبي دؤاد (٢) : قال لي المأمون :

(١) علي بن موسى بن جعفر الملقب بعلي الرضا ، ولد سنة ١٤٨ هـ ،
وتوفي سنة ٢٠٣ هـ .
(٢) أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، ولد سنة ١٦٦ هـ ، كان محباً
للعلم وتوفي سنة ٢٤٦ هـ .

لا يستطيع الناس أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ،
ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحُماهم
وكُفائهم ، وبين صنائِعهم وبطانتهم ، وذلك أنَّهم
يرون ظاهراً حُرمةً وخدمةً ، واجتهاداً ونصيحةً ،
ويرون إيقاعَ الملوك بهم ظاهراً ، حتى لا يزال الرجلُ
يقولُ : ما أوقع به إلاَّ رغبةً في ماله ، وإلاَّ رغبةً فيما
لا تجودُ النفوسُ به ، أو لعلَّ الحسدَ والملائةَ ، وشهوةَ
الاستبدالِ اشتركتُ في ذلك . وهناك جنایاتٌ في صُلُبِ
الملك ، أو في بعض الحُرْمِ لا يستطيعُ الملكُ أن يكشفَ
للعمامة موضعَ العورةِ في الملك ، وأن يحتجَّ لتلك العقوبة بما
يستحقُّ ذلك الذَّنْبُ ، ولا يستطيعُ تركَ عقابه ، لما
في ذلك من الفسادِ على علمه بأنَّ عنده غيرُ مبسوطٍ عند
العمامة ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصة . .

ونزل رجلٌ فعدا بين يديه ، فأشار بيده أنْ حسبك ؛
فقال له بعضُ من كان بقُرْبٍ من المأمون : اركب .
فقال المأمونُ : لا يقالُ للمثلِ هذا : اركب ، إنما يقالُ
له : انصرف .

تحدث المأمون يوماً ؛ فضحك إسحاقُ بنُ إبراهيم
المُصعبي (١) ؛ فقال :

يا إسحاقُ ، أوهلُكَ لشرطتي ، وتفتحُ فاك من
الضحك ؟ ، خذُوا سوادهَ وسيفه ، ثم قال : أنتَ
بالشرابِ أشبهُ ، ضعمُوا منديلاً على عاتقه ؛ فقال إسحاقُ :
أقبلتني يا أمير المؤمنين . قال : قد أقلتكَ . فما ضحك
بعدها .

* * *

المُعْتَصِمُ (٢)

لما أقطع المعتصمُ أشناساً (٣) ضياعَ الحسنِ بن
سهل ، وجَّهَ الحسنُ بقبالاتها (٤) إلى أشناس ، وكتبَ إليه :

(١) إسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب الشرطة أيام المأمون -
والمعتصم والوائق والمتوكل - كان صارماً ، وتوفي سنة ٢٣٥ هـ .

(٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٩ هـ ، وتولى الخلافة
سنة ٢١٨ هـ ، كان شجاعاً قوياً ، بنى مدينة سمر من رأى وبها توفي سنة ٢٥٧ هـ .

(٣) أبو جعفر أشناس ، من القواد ، ولأه المعتصم مصر سنة ٢١٩ هـ ،
اشترك في فتح عمورية ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

(٤) القبالات : الضمانات والكفالات .

لقد عرفتُ رأيَ أميرِ المؤمنينَ في إخلاصِكَ بهذه الضياع ، وأُحِبَّتْ أَلَا تعرضَ على عَقَبِكَ عُقْبَتِي ؛ فَأَنْفَذْتُ لَكَ قَبَالَاتَهَا مَعْتَدًا فِي قَبُولِهَا بِإِسْبَاغِ النِّعَةِ عَلَيَّ ، وادخارِ الشُّكْرِ لَدَيَّ ، ومنتقرباً به إلى سيِّدي أميرِ المؤمنين ، فرأيكَ في الامتنانِ عليَّ بقبولِها موفِّقاً إن شاء الله .

فلما قرأَ الكتابَ أَنْفَذَهُ إلى المعتصمِ ، فوقعَ فيه : ضِيمَ فِصْرٍ ، وسُلَيْبَ فَعْدَرٍ ، فليقابِلْ بالشُّكْرِ على صَبْرِهِ ، وبالإحسانِ على عُدْرِهِ . وتُرَدُّ عليه ضِياعُهُ ، وَيُرفَعُ عنه خِصَرُ أَجْهِ . ولا أُؤامِرُ فيه إن شاء الله (١) .

قال كاتبُ العباسِ بنِ المأمونِ : لما تقلَّدَ المعتصمُ الخِلافةَ عَرَضْتُ لَهُ ، فترجَّأتُ . فلما بَصُرَ بي ، قال : هذا المجلسُ الَّذِي لَمْ تَنْزَلْ أَكْرَهَ النَّاسِ بِحُلُولِي بِهِ . قال : فتَحِيرْتُ ، ولم أدِرِ ما أقولُ ، ثُمَّ عَنْ (٢) لي أن قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أَنْتَ تَعْفُو عَمَّا تَتَبَيَّنُهُ .

(١) يؤامرُ في الشيءِ : يستشار فيه .

(٢) عن له خاطر : عرض له .

فكيف تُعاقِبُ على ما تتوهمه ؟ قال : فقال : لو أردتُ
عقابكَ لتركْتُ عِتَابَكَ .

وكان سبب خروجه إلى « سرَّ مَنْ رَأَى » (١) أن غلمان الأتراك . كثروا ببغداد فتولَّعوا (٢) بحُرْم الناس وأولادهم ، فاجتمع إليه جماعةٌ منهم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ ما أحبُّ إلينا مجاورةً منك ؛ لأنك الإمام والمحامي عن الدين ، وقد أفرطَ غِلْمَانُكَ ، فإما منعهم منَّا ، وإما نقلتهم عنا . فقال : نقلهم لا يكون إلا بنقلهم ، ولكني أفتقدهم ، وأزيل ما شكوتهم .

فنظر فإذا الأمرُ قد زادَ وعظم ، وخاف أن يقع بينهم حربٌ ، وعاودوه بالشكوى ، وقالوا : إن قدرتَ على نصفتنا (٣) ، وإلا فتحول عنا . فقال : أتحوّلُ وكرامةً فرحلَ إلى سرَّ مَنْ رَأَى ، واتخذها داراً .

(١) سر من رأى : كانت موجودة قبل المتصم ، واسمها سامبرا ، عمرها المتصم وسماها : سر من رأى ، وتسمى أيضا سامراء ، وسر من راه ، وهي على نهر دجلة .

(٢) تولع بمرض فلان : قلذ فيه .

(٣) النصفة والإنصاف بمعنى واحد .

وكان يقول : الفضل بن مروان عصى الله - عز وجل - وأطاعني ، فسلطني الله عليه .

وذكر أنه كان معه غلام في الكتّاب يتعلم معه ، فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد ؛ مات غلامك . قال : نعم يا سيدي ، واستراح من الكتّاب فقال الرشيد : وإن الكتّاب ليبلغ منك هذا المبلغ ، دعوه إلى حيث انتهى ، ولا تلعنوه شيئاً ؛ فكان يكتب كتاباً ضعيفاً ، ويقرأ قراءة ضعيفة .

حكى عن الفضل بن مروان أنه قال : والله لقد كان المعتصم مؤيداً من عند الله في أموره كلها ؛ لقد رجع يوماً من محاربة الروم ، وقد سهر ليلته وبقي إلى العشاء ، ولم يسطع ولم يشرب ؛ فدخل إلى المؤمن فعرّفه خبره ، فبينما هو يخاطبه إذ صيح : السلاح السلاح ، واستفحل أمر الروم ؛ فقال له المؤمن : ارجع يا أبا إسحاق إلى موضعك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أمضي إلى مضربي وأركب من ثم (١) ؛ فكان المؤمن كره هذا منه ،

(١) ثم (بفتح التاء وتشديد الميم) هناك .

وَنَكَتْ رَأْسَهُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ تَأْخِيرُهُ لِأَمْرِهِ ، فَفُظِنَ
 الْمُعْتَصِمُ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ أَلَّاهُ عِزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :
 ((كَلَّا لَئِنْ أَلَا نِسَانَ لَسَيَطْنَعْنِي * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَيْتَنِي)) (١)
 وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَالِي مِنَ الدَّوَابِّ إِلَّا أَرْبَعٌ ، وَمِنَ الْغِلْمَانِ
 إِلَّا أَرْبَعَةً ، وَإِنِّي لَأَقِفُّ عَلَى بَابِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ سَائِرَ
 يَوْمِي ، أَتَمَنَّى أَنْ يَأْمُرَنِي بِأَمْرٍ أَنْفَعُ فِيهِ ، وَلِي مِنْ كُلِّ
 هَذَا الْيَوْمِ أَلُوفٌ لَتَفْضُلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَأْمُرُنِي
 بِأَمْرٍ فِيهِ شَرٌّ فَأَشْطَرُّ عَلَيْهِ . أَنَا أَمْضِي مِنْ وَجْهِي هَذَا
 عَلَى هَيْئَتِي هَذِهِ .

فَضَحَكَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : ادْنُ إِلَيَّ ؛ فَلَدْنَا إِلَيْهِ ،
 فَتَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ بِالْظَفَرِ ، وَخَرَجَ .

* * *

الوائقُ (٢)

قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَدِيِّ رَكِبَ الْمُعْتَصِمُ

(١) سورة الملق : ٧٦

(٢) الواثق بالله هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ ، وَلَدَ سَنَةِ ٢٤٠ هـ ، وَلِي

الْخِلَافَةَ سَنَةَ ٢٢٧ هـ ، وَمَاتَ بِسَرٍّ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ ٢٣٢ هـ .

حتى صلّى عليه ، ثم قال للوائق : أقيم يا بني حتى
تُجَنِّهُ (١) . وقيل : بل لم يُصلِّ عليه تجرّحاً ، وأمر
الوائق بالصلاة عليه ؛ فسأل عن وصيته ، فوجده قد
أمر بمال عظيم أن يُسَرَّق على أولاد الصحابة كلهم ،
إلا أولاد علي رضي الله عنه ؛ فقال الوائق : والله لولا
طاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه ، ولا انتظرت دفنه .
ثم انصرف وهو يقول : يَنسَحِرِفُ عن شرفه وخير
أهله ! والله لقد دلّيت في قبره كافراً ، وأمر فنسرق
في ولد علي — رضي الله عنه — مالاً فاضلاً ؛ فأصاب
كل رجل منهم ضعف ما أصاب غيرهم من وصيته .

نظر الوائق إلى أحمد بن الخصب (٢) يمشي
فتمشّل :

مِنَ النَّاسِ لِنِسَانٍ دَيْنِي عَلَيْهِمَا
مَلِكِيَّانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَانِي

(١) تجنه : تسره والمراد : تدفنه وتواريه في القبر

(٢) أحمد بن الخصب وزير للمتصر والمستعين ، نفى إلى المغرب ،
وتوفي سنة ٥٢٦٥ .

خليلي ، أمّا أمّ عمرو فمنهما
 وأمّا عن الأخرى فلا تسألني (١)
 قال : فبلغ ذلك سليمان بن وهب ؛ فقال : إنّ الله ،
 أحمد بن الحبيب أمّ عمرو ، وأنا الأخرى ؛ فكتبتهما
 بعد أيام .

غنى مخارق (٢) في مجلس الواثق :
 أظلم ، إنّ مصابكم رجلاً
 أهدى السلام بيجكم ؟ ظلم (٣)
 فغناه « رجل » فتابعه بعض ، وخالفه آخرون ،
 فسأل الواثق عمن بقي من رؤساء النحويين بالبصرة ،
 فذكر له أبو عثمان المازني ، (٤) قال : فأمر بحسلي ،

(١) البيت لابن الدمينه .

(٢) مخارق بن يحيى ، كان مولى ، أعتقه الرشيد ، أحد الخادقين
 في الغناء ، وأول من أدخل أنشاما فارسية على النغم العربي مات في خلافة
 المتوكل ، وقيل في آخر خلافة الواثق .

(٣) البيت للحارث بن سالح المخزومي .

(٤) أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، إمام من أئمة النحو بالبصرة
 له تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٢٤٩ هـ .

ولمِزاحة عَلَيَّيْ فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ قَالَ : مِمَّنِ
الرجلُ ؟ قلتُ : من بني مازن . قال : أمين مازن قيس ،
أم مازن تميم ، أم مازن ربيعة ، أم مازن اليمن ؟ فقلت :
مِن مازن ربيعة . فقال لي : بَأْسُكُمْ ؟ يريدُ : مَا اسْمُكُمْ ؟
قال : وهي لغةٌ كثيرةٌ في قومنا ، فقلتُ على القياس :
مَكْرُ ، أي : بكرٌ ، يا أميرَ المؤمنين ؛ فضحك وقال :
اجلس واطبئن . فجلستُ ، فسألني عن البيتِ ،
فأنشدته :

أظلمُ ، إنَّ مصابكم رجلاً .

فقال : أين خبرُ إنَّ ؟ قلت : ظلمُ . أما تَدرى يا أميرَ
المؤمنين أنَّ البيتَ كلهُ متعاقٍ بهِ ، لا معنى لهُ حتَّى
يتم بهلَا الحرفِ ، إذ قال :

« أظلمُ إنَّ مصابكم رجلاً أهدى السلامَ إليكم » .

فكأنه ما قال شيئاً ، حتَّى يقولَ : ظلم . قال :
صدقت . ألك ولدٌ ؟ قلت : بُنيَّةٌ . قال : فما قالت
حين ودَّعتها ؟ قلت : أنشدتُ شعرَ الأعشى :

تقولُ ابنتي حينَ جدَّ الرِّحِيلُ
أرأنا سِواءَ ومن قَدِ يَسْتِمُ
أبانا . فلا رِمَتْ (١) من عندنا
فإننا بخيرٍ إذا لَمَ تَرِمُ
قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قولِ جرير :

ثَقِي باللهِ ليسَ لَهُ شريكُ
ومِنَ عِنْدِ الخليفةِ بالنجاحِ
فقال : تَقِ بالنجاحِ إن شاء اللهُ . ثم أمر لي بألفِ
دينار وكسوة وطيب .

وكان الواتِقُ عالماً بكلِّ شيءٍ ، وله صنعة حسنة
في الغناء ، وكان يُسمَّى المأمونَ الصغيرَ ؛ لأدبِهِ وفضله ،
وكان المأمونُ يجاسه ، وأبوهُ المعتصمُ واقفٌ . وكان
يقول : يا أبا إسحاق لا تُؤدِّبَ هارونَ ، فإنني أَرْضَى
أدبَه ، ولا تعترضْ عليه في شيءٍ يَمَعَلُهُ .

* * *

(١) رام عن المكان يريم : نحول .

المُتَوَكِّلُ (١)

قال يزيدُ المهلبِي (٢) : أنسَ بي أميرُ المؤمنينَ في سبعةِ أيامٍ فوق أنسَ محمد (٣) كان بي في سبع سنين . فقال : إنما أنستُ بكَ في سبعةِ أيامٍ لأنسَ محمدٍ كان بكَ في سبعِ سنين .

قيل للمتوكل : لم لا تقلَّد الحسنَ بنَ وهب (٤) ديوانَ الرسائل . قال : أخافُ أن يحْيِضَ في الديوانِ . قال عليّ بن يحيى : تغدِّيت مع المتوكل ، فقدَّم لُونُ كان استنْهأهُ ، فوجدَ فيه ذُبَابَةً ، فألقاها وأكلَ ، ثم وجدَ أخرى وأخرى ، فلما رُفِعَ من بين يديه قال :

(١) المتوكل هو جعفر بن محمد المتصم ، ولد سنة ٢٠٦ هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ ، وأراد نقلَ قُصرها إلى دمشق ، ولكنها لم تطلب له ، فناد إلى سر من رأى .

(٢) يزيد بن محمد ، من أولاد المهلب ، ساعر ، اتصل بالمتوكل ومدحه ، توفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ .

(٣) المراد بمحمد : المتنصر ابن المتوكل

(٤) الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر ، كان وجيهاً سورياً ، ومات سنة ٢٥٠ هـ

أعيدها علينا هذا اللّون غداً ، وليكن أقل ذهاباً مما هو
اليوم ! !

قال إبراهيم بن المدبر (١) ، قال المتوكل : إذا خرج
توقيعي إليك بما فيه مصلحة للناس ، ورفق بالارعية
فأنفذه ، ولا تراجعني فيه ، وإذا خرج بما فيه حيف (٢)
على الرعية فراجعني ، فإن قلبي بيد الله عز وجل .
بلغ المتوكل أن أحمد بن حمدون النديم يحمل
رقاع الفتح إلى خادميه فائري ، فأعد له حجّاماً ،
وأوصاه بما يريد . فلما جلس أحمد مع الجلساء قال :
يا أحمد ، ماجزأ من أفسد غلام فتى ؟ قال : تقطع
أذنه ، فدعا بالجام فقطع من أذنه قطعة ، وإنما قال
له هذا لأنه كان يحدثه كثيراً بحديث الفتيان والعيارين
ويتنادر بذلك بين يديه ، ثم نفاه إلى بغداد إلى أن كلمه
الفتح فيه ، فرصي عنه .

* * *

(١) إبراهيم بن المدبر ، شاعر كاتب ، كان المتوكل يحبه ويقربه ،
ثم انقلب عليه وحسسه مدة ثم أطلقه . مات سنة ٢٧٠ هـ
(٢) الحيف : الظلم والجور .

الْمُنْشَقُّ (١)

قال : لَذَّةُ الْعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشْفِي ، وَذَلِكَ
لِأَنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ يَلْحَقُهَا حَمْدُ الْعَاقِبَةِ ، وَلَذَّةُ التَّشْفِي
يَلْحَقُهَا ذَمُّ النَّدَمِ .

وَمَا تَمَّتْ لَهُ الْبَيْعَةُ كَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ عَمِلَهُ أَنْ عَزَلَ
صَالِحَ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَوَلَّاهَا عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا وَلَيْتُكَ
لِتَخْلُقَنِي فِي بَرٍّ أَوْ فِي طَالِبٍ ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِهِمْ ،
وَرَفْعُهَا إِلَيَّ ، فَقَدْ نَالَتْهُمْ جَفْوَةٌ ، وَخُذْ هَذَا الْمَالَ
فَمَرِّقْهُ عَلَى أَقْدَارِهِمْ .

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ : سَأَبْلُغُ بِعَوْنِ اللَّهِ رِضَا
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِذَا تَسَعَّدُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدِي .
قَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِعْتُهُ يَوْمًا وَهُوَ يَتَنَاظَرُ قَوْمًا : وَاللَّهِ
لَا عَزَّ وَفَرُّ بَاطِلٍ ، وَلَوْ طَلَعَ مِنْ جَبِينِهِ الْقَمَرُ ، وَلَا ذَلَّ
ذُو حَقٍّ ، وَلَوْ كَانَ الْعَالَمُ عَلَيْهِ .

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ حَجَفَرِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَلَدَ سَنَةِ ٢٢٣ هـ ، تَوَلَّى الْخِلَافَةَ
بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ سَنَةَ ٢٤٧ هـ ، تَوَفَّى فِي السَّنَةِ نَفْسَهَا بِعِدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَلايَتِهِ .

قال بعضهم : سمعتُ بُغَا الكبير (١) يقول : ما مَشَيْتُ
 بينَ يدي خليفة أَهْيَبَ من المنتصر ، وقد كان مَشْيِي
 بينَ يدي المأمونِ ، والمعتصمِ ، والواثقِ والمتوكلِ .
 قال أحمدُ بنُ الحُصَيْب : سمعتُ المنتصرَ لَمَّا عفا
 عن الشاري (٢) يقول : أحسنُ أفعالِ القادرِ العفوُ ،
 وأقْبَحُها الانتقامُ .

* * *

المُسْتَعِينُ (٣)

قيل : لما جيء بكتاب الخلع إليه ، وقيل له : وقع
 بخطك فيه ، أخذ الكتابَ فابتدأ ابنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ يُملِي
 عليه ، فقال له المستعين : أمسِك عافاك الله ، ثم كتب :
 أَقرَّ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ
 بالله : « أنه قد بايعَ أبا عبدِ الله المعتزَّ بالله ، هذه البيعةَ

(١) بُغَا الكبير : أحد قواد الترك ، كان قائدا للمعتصم والواثق
 والمتوكل والمنتصر ، مات سنة ٢٤٨ هـ .

(٢) الشاري : نسبة إلى الشراة ، إحدى فرق الخوارج .

(٣) هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٢١ هـ ، ولاء
 الترك الخلفه سنة ٢٤٨ هـ ، ثم خلعه وقاتلوه سنة ٢٥٢ هـ ، وكان عهده
 عهد فتن واضطراب .

المنسوخة في هذا الكتاب ، مُوجِباً على نَفْسِهِ كُلِّ
 مَافِيهِ مِنَ الشَّرَائِطِ الْمَثْبُتَةِ فِيهِ ، وَالْعُهُودِ الْمَوْكَّدَةِ .
 وَأَشْهَدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَأَشْهَدُ مَنْ
 حَضَرَ . وَكَفَّفَى بِإِلَهِ شَهِيداً » .

قال : فَعَجَبَ النَّاسُ مِنْ فَهْمِهِ وَبَلَاغَتِهِ .
 وقال له الحسنُ بنُ أبي الشَّوَّارِبِ (١) : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، أَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ؟ . قال :
 نَعَمْ خَارَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ .

* * *

المُعْتَزُّ (٢)

قال الزبير (٣) : لما وفدتُ على المتوكل قال لي :
 ادخل إلى أبي العباس يعني : المعتز فدخلتُ إليه وهو

(١) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوَّارِبِ الأُمَوِيُّ قَاضِي
 الْمُعْتَمَدِ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ٢٦١ هـ ،

(٢) المعتز هو محمد بن جعفر المتوكل ، وقيل أحمد ، وقيل الزبير ،
 وَلَدَ بِسْرٍ مِنْ رَأْيٍ سَنَةَ ٢٣٢ هـ ، وَبَايَعَهُ الْأَتْرَافُ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ ٢٥٢ هـ ،
 كَثُرَتْ الْفِتَنُ فِي أَيَّامِهِ ، وَاضْطَرَّ الْقَوَادِ أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ ، وَعَدَبُوهُ حَتَّى
 مَاتَ سَنَةَ ٢٥٥ هـ .

(٣) الزبير بن يكار أديب أخباري كان قاضي مكة تُوُفِيَ سَنَةَ ٢٥٦ هـ .

صبيًا فَحَدَّثْتُهُ وَأُنْشِدْتُهُ فَسَأَلَنِي عَنِ الْحَجَازِ وَأَهْلِهِ ،
ثُمَّ نَهَضْتُ لِأَنْصَرِفَ فَعَثَرْتُ فَسَقَطْتُ ، فَقَالَ لِي الْمَعْتَزُ :
يَا زُبَيْر :

كَمْ عَشْرَةٌ لِي بِاللِّسَانِ عَثَرْتُهَا
تُفَرِّقُ مِنْ بَعْدِ اجْتِمَاعٍ مِنَ الشَّمْلِ
يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَشْرَةٍ بِلِسَانِهِ
وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَشْرَةٍ الرَّجُلِ

* * *

المُهْتَدِي (١)

كَانَ يَقُولُ : لَوْ لَمْ يَكُنِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، وَالْإِيثَارُ
لِلْحَقِّ ، مِمَّا لَطُفَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا ، وَوَفَّقَنِي لَهُمَا ،
وَلِإِنِّي أَرْجُو بِذَلِكَ الْفَوْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لِتَصَنِّعْتُ بِمَا
أَفْعَلُهُ لِلنَّاسِ ، لِشَلَا يَكُونُ مِثْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
فِي خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَا يَكُونُ فِي خُلَفَاءِ بَنِي هَاشِمٍ بَعْدَهُمْ
مِثْلُهُ ، وَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقْرَبُ .

(١) هو محمد المهدي بالله بن هارون الواثق ، وُلِدَ سَنَةَ ٢٢٧ هـ ،
وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ سَنَةَ ٢٥٥ هـ ، كَانَ حَمِيدَ السَّيْرِ زَاهِدًا ، خَلَعَهُ التُّرْكُ وَقَتْلُوهُ
سَنَةَ ٢٥٦ هـ .

قال بعضهم : سمعته يوماً يقولُ لعيسى بن
فرخانشاه (١) : عاون على الخير تسلم ، ولا تسجُرهُ
فتننم . فقيل له : إنَّ هذا بيتُ شعري . قال : ماتعمدتُ
ذلك ، ولكني رويت قولَ الشاعرِ :

تَعَاوَنَ عَلَى الْخَيْرَاتِ تَظْفَرُ ، وَلَا تَكُنْ
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِمَّنْ يُعَاوَنُ

* * *

المُعْتَمِدُ (٢)

قال محمدُ بنُ عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٣) :
بعثني أبي إلى المعتمد في شيء ، فقال لي : اجلس .
فاستعظمتُ ذلك ، فأعادَ ، فاعتذرتُ بأنَّ ذلك لا يجوزُ ،

* * *

(١) عيسى بن فرخانشاه ، وزير المعتمد .

(٢) أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل ولد سنة ٥٢٩ هـ ، وولي الخلافة
سنة ٥٥٦ هـ طالت أيام ملكه ، وعاونه أخوه الموفق معاونة كبيرة على قهر
أعدائه ، ثم استبد بالأمر ، مات سنة ٥٧٩ هـ
(٣) محمد بن عبيد الله بن يحيى أبوه وزير المعتمد ، صار محمد
بعده وزيراً للمقتدر وكاتبه .

فقال لي : يا محمدُ ، إنَّ أدَبَكَ في القبول مني خيرٌ من
أَدَبِكَ في خِلافي .
وقال يوماً لبعضِ نُدَمَائِهِ : إذا عدمَ أهلُ التفضُّلِ ،
هَلَكَ أهلُ التَّجَمُّلِ .

* * *

المُعْتَصِد (١)

حدَّثَ العلاءُ بنُ صاعدٍ (٢) قال : لما حُمِّلَ رأسُ
صاحبِ البصرة (٣) ركبَ المعتضدُ في جيشٍ لم يُسرَ مثلهُ ،
فاشتقَّ أسواقَ بغدادٍ ، والرأسُ بين يديه ، فلما صرنا
بابَ الطاقِ (٤) صاحَ قومٌ من دربٍ من تلكِ الدروبِ :

(١) أحمدُ المعتضدُ بنُ طلحةِ الموفق ، ولد سنة ٢٤٢ هـ ، أظهر
يسالةً في الحروب ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ وكان مهيباً حازماً ، توفي
سنة ٢٨٩ هـ .

(٢) العلاءُ بنُ صاعدٍ أبو عيسى كاتبُ أديب ، كان يتعاطى علمَ النجوم .
(٣) صاحبُ البصرة أو صاحبُ الزنجِ علي بنُ محمد ، ادعى أنه
علوي سمي بصاحبِ البصرة لأنه دخلها وذبح كثيراً من أهلها ، وبصاحبِ
الزنجِ لأن أتباعه منهم ، خرج سنة ٢٥٢ هـ ، وقتله الموفق سنة ٢٧٠ هـ .
(٤) بابُ الطاقِ : محلةٌ كبيرةٌ ببغدادِ بالجانبِ الشرقي منها تعرف
بطلقِ أسماء .

رَحِيمَ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ . وَزَادَ حَتَّى عَلَتْ أَصَوَاتُهُمْ ، فَتَغَيَّرَ
وَجْهُهُ وَقَالَ : أَمَا تَسْمَعُ يَا أَبَا عَيْسَى ؟ مَا أَعْجَبَ هَذَا !
مَا ذَكَرُ مُعَاوِيَةَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ أَبِي الْمَوْتِ ،
وَمَا أَفْلَتُ أَنَا مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ مُشَارَفَتِهِ ، وَلَقِينَا كُلَّ جَهْدٍ وَبَلَاءٍ ،
حَتَّى أَرْحَنَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَحَصَّنَّا حُرْمَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .
تَرَكَوْا أَنْ يَتَرَحَّمُوا عَلَى الْعَبَّاسِ ، أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ،
أَوْ مَنْ وَلِيَدَ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَتَرَكَوْا التَّرَحُّمَ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، وَحِمَاةَ وَجَعْفَرٍ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ،
وَاللَّهِ لَا بَرَحَتْ أَوْ أُؤَثِّرَ فِي تَأْدِيبِ هَؤُلَاءِ أَثَرًا لَا يَعَاوِدُونَ
بَعْدَهُ مِثْلَهُ .

ثُمَّ أَمَرَ بِجَمْعِ النِّفَاطِينَ (١) لِتَحْرِيقِ النَّاحِيَةِ ،
فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، هَذَا مِنْ أَشْرَفِ أَيَّامِ الْإِسْلَامِ فَلَا
تُفْسِدُهُ بِجَهْلِ غِلْمَةٍ لَا أَحْلَاقَ لَهُمْ ، وَلَمْ أَزَلْ
أَدَارِيهِ وَأَرْفُقُ بِهِ حَتَّى سَارَ .

لَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَصِدَ حَسُنَتْ آثَارُهُ ، وَأَمَرَ بِالزِّيَادَةِ فِي

(١) النِّفَاطُونَ : جَمْعُ نِفَاطٍ ، الْخُنْدِيُّ الْمُتَخَصِّصُ بِرُمِي النِّفَاطِ الْمُسْتَعْلِ

لِإِحْرَاقِ الْعَدُوِّ .

المسجد الجامع بالمدينة ، وأمر بتسهيل عتبة حلوان (١) . وأنفق عليها نسيئاً وعشرين ألف دينار . وأمر بردّ المواريث على ذوي الأرحام . وأخّر النسيروز ، واستبد (٢) الخراج إلى وقت إدراك الغلات ، وعمر الدنيا ، وضبط الأطراف ، وأحسن السياسة . وقيل : إنه أفقت إليه الخلافة وليس في الخزانة إلا سبعة عشر درهماً زائفةً ومات وخلف ما يزيد على عشرين ألف ألف دينار .

* * *

المكتفي (٣)

نظر إلى رأس صاحب الزنج ، وقد أخرج إليه من الخزانة ، فقال : لعنه الله ! فإنه عدا على الأنساب (٤) . كما عدا على الأسلاب .

* * *

-
- (١) حلوان : المراد التي بالعراق وعنه حاوان التي بها نخلتنا حلون الشهيرتان وقد غرم فيها عشرين ألف دينار ، فسهلها بعد أن كان الناس يلقون منها مشقة عظيمة .
- (٢) استبد الخراج . أخر ميعاد تسديده
- (٣) المكتفي بالله : هو علي بن المنعم ، ولد سنة ٢٦٣ هـ وتولى الخلافة سنة ٢٨٩ هـ تغلب على الثائرين عليه ، وتوفي سنة ٢٩٥ هـ .
- (٤) المراد : ادعى النسب إلى العلويين ولبس منهم . والأسلاب غنائم الحرب .

المُقْتَدِر (١)

حكى أن علي بن عيسى الوزير (٢) كتب عنه كتاباً إلى ملك الروم ، فلما عرض عليه . قال : فيه موضعٌ يحتاجُ إلى إصلاحٍ ، فسأله عن ذلك — وكان قد كتب في الكتاب : « إن قُرْبَتَ من أمير المؤمنين قُرْبَ منك ، وإن بُعدتَ بُعدَ عنك » — فقال : ما حاجتي إلى أن أقربَ منه ؟ اكتبوا : « إن قُرْبَتَ من أمير المؤمنين قُرْبَ بك ، وإن بُعدتَ بُعدَ ك » .

ولم يُعرفْ للمقتدرِ مثلُ هذا الكلام ، ولا مثلُ هذه الفِطْنَةِ ، وقد ذكرناه على ماحكيي ، وهو بكلام غيره من الخلفاء أشبهه .

* * *

(١) المقتدر ، هو جعفر بن المعتضد ، ولد سنة ٨٢٨٢ . وتولى الخلافة سنة ٨٢٩٥ ، خلعه الناس وبايعوا المعتز ، ثم خلع المعتز وأعيد هو ثانية ، كثرت الفتن في أيامه ، قتله مؤنس سنة ٨٣٣٠ .

(٢) علي بن عيسى بن داود ، وزير المقتدر ، ولد سنة ٨٢٢٤ ، وولي الوزارة سنة ٨٣٠٠ ، وتوفي سنة ٨٣٣٤ ، وله مؤلفات .

الراضي (١)

لما استوزر ابن البريدي^(٢) ، وهو غائب عن حصرتيه ، وأجابه إلى مقترحاته ، قال الراضي كالآنف من طرحه الوزارة على من يشترط فيها : إن الوزارة قطعة من الخلافة ، ووهنها وهن الخلافة .

* * *

إبراهيم بن المهدي (٣)

كتب إليّ أحمد بن يوسف (٤) الكاتب : لعن الله زماناً أخرّك عمّن لا يساوي كلّه بعضك .

وقال محمد بن راشد : سألتني إبراهيم بن المهدي

(١) هو محمد الراضي بن المعتذر بن المعتضد ، ولد سنة ٢٩٧ هـ ، وتولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ ، تفككت في عهده الدولة العباسية ، ولم يعد تحت يديه إلا بغداد ، مات سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) تولى الوزارة للراضي ٣٢٧ هـ ، وللمتفي سنة ٣٣٠ هـ ، وكانت « واسط » تحت نفوذه ، حارب الحمدانيين ، توفي سنة ٣٣٢ هـ .

(٣) إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، ولد سنة ١٦٢ هـ ، كان أدبياً شاعراً حاذقاً في الغناء ، خرج على المأمون عندما ولي علي بن موسى الرضا ولاية المهد ، وقد انتصر عليه المأمون ثم عفا عنه ، توفي سنة ٢٢٤ هـ .

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم من أشهر كتاب الدولة العباسية تولى ديوان الرسائل للمأمون وتوفي سنة ٢١٣ هـ .

عن رجلٍ ، فقالت : يساوي فلسين . فقال : زدت
في قيمته درهمين .

وكتب إليَّ صديقٌ لهُ : لو عرفتَ فضلَ الحسنِ
لَسَجَنَبْتُ القسيحَ وأنا وإياكَ كما قال رهير (١) :

وذي خططلٍ في القولِ يحسبُ أنَّهُ

مصيبٌ ، فما يُلمِمْ به فهو قائلهُ

عبأتُ له حلِمي ، وأكرمتُ غيرَهُ

وأعرضتُ عنه ، وهو بادٍ مقاتلهُ

ومن إحسانِ اللهِ إلينا ، وإساءتكِ إلى نَفْسِكَ أنَّا
صَفَحْنَا عَمَّا أَمَكْنَا ، وتناولتِ ما أعجزكَ .

ولما أُدخِلَ على المأمون عند الظفر به سَلَمٌ عليه ،
وقال : يا أمير المؤمنين وليُّ الشارِ مُحَكَّمٌ في القصاص ،
والعفوُ أقربُ للتقوى ، ومن مُدَّ له في الأناةِ حَسُنَ
عندهُ الدَّئِبُ ، وقد جعلكَ اللهُ فوقَ كلِّ ذي ذَنْبٍ
كما جعلَ كلَّ ذي ذنبٍ دُونَكَ ، فإن عاقبتَ فبِحَقِّكَ ،
وإن عفوتَ فبِفَضْلِكَ .

(١) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات .

فقال المأمون : يا إبراهيمُ ، إنِّي شاورْتُ العباسَ
ابني ، وأبا إسحاقَ أخِي في أمرِكَ ، فأشارا عليَّ بِقَتْلِكَ
إلا أَنِي وجدتُ قدركَ فوقَ ذنبِكَ ، فكرهْتُ القتلَ
لِإِلازِمِ حُرْمَتِكَ .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد نصَحَ المشيرُ لما جرت به
العادة في السياسةِ ، وحياطةِ الخلافةِ إلا أَنكَ أبيتَ أَن
تطلبَ النصرَ إلاَّ من حيثُ عُوذْتَهُ من العفو ، فإن عاقبتَ
فلكَ نظيرٌ ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لَكَ ، فإن جُرْمي
أعظمُ من أَن أنطِقَ فيه بعذرٍ ، وعفوُ أميرِ المؤمنينَ
أجلُّ من أَن يَفِيَّيَ به شُكْر .

فقال المأمون : ماتَ الحقدُ عندَ هذا العذرِ .

فاستعَبَرَ إبراهيمُ ، فقال المأمون : ماشَأْنُكَ ؟
قال : الندمُ ، إذ كانَ ذنبي إلى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ في الإِنعامِ
عليَّ ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه وإن بَلَغَ جُرْمي
استحلالَ دمي فحِلِّمْ أميرِ المؤمنينَ وفضلهُ يُبَلِّغاني
عَفْوَهُ ، وإنَّ لي لشفعةَ الإقرارِ بالذنبِ وحقَّ العمومةِ
بعدَ الأبِ فلا يَسْفُطُ عن كَرَمِكَ عَمَلُكَ ، ولا يقعَ
دونَ عَفْوِكَ عندكَ .

فقال له المأمون^١ : لو لم يكن في حق^٢ نسبك^٣ حق^٤
الصفح^٥ عنك^٦ لبلغت^٧ ماأملت^٨ حسن^٩ تنصلك^{١٠} ،
ولطف^{١١} توصلك^{١٢} .

ثم أمره بالجلوس ، وقال له : ماالبلاغة^{١٣} ياإبراهيم^{١٤} ؟
قال : أن يكون^{١٥} معنالك^{١٦} يسجلتي^{١٧} عن مغزالك^{١٨} .

فقال المأمون : هذا كلام^{١٩} يشدر^{٢٠} (١) بالذهب ، لقد
ذهب^{٢١} به^{٢٢} وغرأ^{٢٣} (٢) كان في صدري^{٢٤} عليه .

* * *

عبدُ الله بنُ المعتز^{٢٥} (٣)

كتب^{٢٦} إلى بعض إخوانه^{٢٧} : لو كنت^{٢٨} أعلم^{٢٩} أنك^{٣٠}
تحب^{٣١} معرفة^{٣٢} خبيري^{٣٣} لم أبخل^{٣٤} به عليك^{٣٥} ، ولو طمعت^{٣٦} في

(١) يشدر بالذهب : يفصل به .

(٢) الوغر : احتراق النفيظ ، وذهب وغر صدره ، ووغم صدره :

زال ما فيه من غل وعداوة .

(٣) عبد الله بن المعتز بن المتوكل ، الشاعر المبدع ، والأديب

الناثر ، صاحب كتاب طبقات الشعراء ، ولد سنة ٢٤٧ هـ ، بويج بالخلافة

سنة ٢٩٦ هـ ، وبقي بها يوماً واحداً ، ثم نخلع وقتل .

جوابك لسألت عن خبرك ، ورجوت العُتبي منك
لأكثر عتابك ، ولو ملكت الخواطر لم آذن لنفسي
في ذكرك . ولولا أن يضيغ وصف الشوق لأطلت به
كتابي . ولولا أن عز السلطان يشغلك عني لشغلت به
سروري ، والسلام .

وكتب يذم رجلاً : ذكرت حاجة أبي فلان
المكنى ليُعرف ، لاليكرم ، فلا وصلها الله بالنجاح ،
ولايسر بابها للانفتاح وذكرت عذراً نصّح (١) به عن
نفسه ، فوالله ما نصّح عنها لكنه نصّح عليها (٢) ، وأنا
والله أصونك عنه ، وأنصح لك فيه ، فإنه خبيث النية ،
متلقّف للمعائب ، مُقلّب للسانه بالملق ، شائن (٣)
بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند النعمة ، مفقود
عند الشدة ، قد أنيس بالمسألة ، وضري (٤) بالرد ،
فلا تعقّ عقلك باختياره ، ولا توحش النعمة بإذلالها به .

(١) نصّح عن الشيء : ذب ودفع عنه ، وأصل نصّح من رمي السهم .

(٢) نصّح عليها : رماها .

(٣) شائن : عائب ، والتخلق : إنداء الإنسان ما ليس من خلقه .

(٤) ضري : تعود .

وقال ابنُ المعتز : الخضابُ مِنُ شهودِ الزُّورِ .
ولعبد الله بن المعتز آدابٌ مجموعة . ومواعظُ
وحِكَمٌ تمرُّ أكثرها في كلام المتقدمين ، وفيها نوادرٌ من
كلام أمير المؤمنين عليٍّ كرم الله وجهه وغيره ،
وقد اخترتُ بعضها ، وأوردته هذا المكان ، فمنها :
إعادةُ الاعتذارِ تكبيراً بالذنبِ .

في العواقبِ شافٍ أو مريخُ .

العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .

النصحُ بينَ الملأِ تقريُّعُ .

أقمِ الرغبةَ إليك مقامَ الحرمةِ بكِ ، وعظمِ
نفسك عن التعظمِ ، وتطوّلْ ولا تتطاوَلْ (٢) .

الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إن لم يُبْلِغْكَ فقد استمتعتَ به .

لا يقومُ عِزُّ الغضبِ بذلُّ الاعتذارِ .

الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

إن بقيتَ لم يَبْقَ الهَمُ .

(١) التطاولُ : الاستطالة والترفع ، والتطولُ : التفصيل . والتطولُ

عند العرب محبود ، والتطاول مذموم .

لا تُنِكَحْ خَاطِبَ سِرْكٍ (١) .
من زاد أدبُه على عقلِه كان كالرَّاعِي الضَّعِيفِ
مع غنمٍ كثيرةٍ .
الدارُ الضيقةُ العَمَى الأصْفَرُ .
إذا هرب الزاهدُ من الناسِ فاطمأْنِنْهُ ، وإذا طابهم
فاهربْ منه .
النَّجَّامُ جَسَرُ الشَّرِّ .
لا تَشِينِ وَجْهَ العَفْوِ بِاتِّقْرِيعٍ .
إذا زال المحسودُ عليهِ عاصتْ أنَّ الحاسدَ كان يحسدُ
على غيرِ شيءٍ .
العجزُ نائمٌ ، والحزمُ يقظانٌ .
منْ تَجَرَّأَ لَكَ تَجَرَّأَ عَابُكَ
مَاعِفاً عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ .
أمرُ المكارِه ما لم يُحْتَسَبْ (٢) .

(١) أي لا تطلعه على ما يريد من سرك .

(٢) يحسب : أي ينتظر المثوبة في الآخرة .

عبدُ الشهوةِ أَذُلُّ من عبدِ الرقِّ .
لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره ، وطاعةُ نفسهِ
عليه ممتَنعة .
الناس نفُسان : واحدٌ لا يكتفي ، وطالبٌ لا يجد .
ذُلُّ العزْلِ يضحك مِن نيهِ الولاية .
كلما كثرُ خُزَّانُ الأسرارِ ازدادت ضياعاً .
بشرُّ مال البهليل بحادثٍ أو وَاَرثٍ .

* * *

الباب الرابع

كلام جماعة من بني أمية

قال سعيد بن العاص (١) : لا تمازح الشريف ؛
فيحقد عليك ، ولا الدنيء فيجتريء عليك .
ودخل عمرو بن سعيد إلى معاوية فقال له : إلى من
أوصى بك أبوك ؟ قال : إنَّ أبي أوصى إلي ، ولم يوص
بي . قال : فبأي شيء أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا
يفقد إخوانه منه إلا وجهه . فقال معاوية لأصحابه :
إن ابن سعيد هذا لأشدق (٢) .
قال عتبة بن أبي سفيان (٣) لمعلم والده (٤) : ليكن

(١) المراد هنا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، من أجواد
العرب وأشرف بني أمية ، توفي سنة ٥٩ هـ .
(٢) الأشدق : الواسع الشدق ، كناية عن الفصاحة .
(٣) عتبة بن أبي سفيان أمير مصر
(٤) اسمه : عبد الصمد بن الأعلى الشيباني .

أَوَّلَ إِصْلَاحِكَ لَوَالِدِي إِصْلَاحُ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ عِيونَهُمْ
مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ ؛ فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ ،
وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَقْبَحَتْهُ ؛ عَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ ،
وَرَوَّاهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ ، وَمِنَ الشَّعْرِ أَعَفَّهُ ،
وَلَا تُكْرِهْهُمْ عَلَى عِلْمٍ فَبِمَلَّوْهُ ، وَلَا تَدَعِهِمْ
فِيهِمْ جُرُوءَ ، وَلَا تَخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى
يُسْتَقْنُوهُ فَإِنَّ زِدْحَامَ الْعَالَمِ فِي السَّمْعِ مَضْبَاطَةٌ لِفَهْمِ ؛
وَعَلَّمَهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ ، هَدَّاهُمْ بِي ، وَأَدْبَهُمْ دُونِي
وَلَا تَتَكَلَّ عَلَى عُنْدِي مَنْيَّ ؛ فَإِنِّي أَتَكَلَّمُ عَلَى كِفَايَةِ مَنْكَ .

أَطْعَمَ أَبُو سَفْيَانَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَقَصَّرَ
طَعَامُهُ ، فَاسْتَعَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فَأَعَانَهُ بِالْأَنْفِ شَاةً ؛ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَا أَبَا أُمَيٍّ ؛
لَقَدْ حَارَبْنَاكَ فَمَا أَجَبْتَنَّاكَ (١) ، وَسَأَلْنَاكَ فَمَا أَبْغَضْتَنَا (٢) .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ؛ مُوَطَّنَانِ لَا أَعْتَدُ مِنَ الْعِيَّ
فِيهِمَا : إِذَا سَأَلْتُ حَاجَةً لِنَفْسِي ، وَإِذَا أَكَلْتُ جَاهِلًا .

(١) أَجَبْتُهُ : وَجَدَهُ جَبَانًا .

(٢) أَبْغَضَهُ : وَجَدَهُ بَخِيلًا .

وكان سعيد بن العاص والياً على المدينة من قبل معاوية . وكان معاوية يعاقب بينه وبين مروان (١) في ولايتها ، وكان يغري بينهما ؛ فكتب إلى سعيد : أن اهدم دار مروان ، فلم يهدمها ، وأعاد إليه الكتاب يهدمها ، فلم يفعل ، فعزله ، وولّى مروان ، وكتب إليه : أن اهدم دار سعيد ؛ فأرسل الفعلة ، وركب ليهدمها فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ؛ أتهدم داري ؟ قال : نعم ، كتب إلي أمير المؤمنين ، ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنت لأفعل . قال : بلى ، والله لو كتب إليك لهدمتها . قال : كلاً يا أبا عبد الملك ؛ وقال لغلّامه : انطلق فمجنّي بكتاب معاوية ؛ فمجا به ، فقال مروان : كتب إليك يا أبا عثمان في هدم داري ، فلم تهدمها ولم تعلّمني ؟ قال : ما كنت لأهدم دارك ، ولا آمنّ عليك ، وإنما أراد معاوية أن يحرض بيننا ؛ فقال مروان : فداك أبي وأمي ، أنت والله أكثر مني ريشاً (٢) وعقباً ، ورجع فلم يهدم دار سعيد .

(١) مروان بن الحكم .

(٢) الریش . الخصب والمعاش والمال المستفاد واللباس الحسن

الفاخر والعقب : الأولاد .

ذكر العتبي : أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان أسرَّ إلى عمرو بن عنبسة بن أبي سفيان حديثاً ، قال عمرو : فجئتُ إلى أبي ، فقلت : إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ، أفأحدثُك به ؟ قال : لا ؛ لأنَّه من كتَّمت حديثه كان الخيارُ إليه ، ومن أظهره كان الخيارُ عايه . فلا تجعلُ نفسك مملوكاً : بعد أن كنتَ مالِكاً . فقلت : أو يدخلُ هذا بين الرجل وابنه ؟ قال : لا ، ولكن أكرهُ أن تُدكِّلَ لسانَكَ بإفشاء السرِّ . قال : فرجعتُ إلى معاويةَ ، فذكرتُ ذلك له . فقال : اعتَقَلِك أخي من رِقِّ الخطأ .

خطب عتبةُ بن أبي سفيان الناسَ بالموسم في سنة إحدى وأربعين ، وعهدُ الناسِ حديثُ بالفتنةِ فاستفتح ، ثم قال :

أيُّهَا الناسَ ؛ قد وليتُ هذا الموضعَ الذي يضاعِفُ الله عزَّ وجلَّ للمحسنينَ فيه الآجرَ ، وعلى المسيءِ الوزرَ (١) ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تنقِطُ

(١) الوزر : الذنب .

دُونَنَا ، وَرُبَّ مُتَمَنٍّ حَتَفَهُ فِي أَمْنِيَّتِهِ . اقبلوا العافية
ما قبلناها منكم وفيكم ، وإياكم و « لو » ، فقد أُنْعَبَتْ
من كان قبلتكم ، ولن تُرِيحَ من بعدكم . أسألُ الله أنْ
يعينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ .

قالوا : لما استتبَّ الأمرُ لمعاوية ، قدم عليه عبدُ الله بن
عباس ، وهي أولُ قِدْمَةٍ قدمها عليه ، فلخل وكأنه
قرحة^(١) تَتَبَجَّسُ^(٢) (٢) ، فجعل عتبةُ بن أبي سفيان
يُطِيلُ النظرَ إلى ابنِ عباسٍ ، وَيُقِيلُ الكلامَ معه .
فقال ابنُ عباس : يا عتبةُ ؛ إنكَ لتُطِيلُ النظرَ إليَّ ،
وتُقِيلُ الكلامَ معي . أَلَيْسَ وَجِدَةً فدامتُ ، أو لمعتبةٍ
فلا زالتُ ؟ قال له عتبةُ : ماذا أبقيتُ لما لا رأيتُ ؟
أمّا طُولُ نظري إليك فسروراً بك ، وأما قِلَةُ كلامي
معك فقِلَّةُ مع غيرك ، ولو سَأَطِطْتَ الحقَّ على نفسك
لعلمتُ أنه لا ينظرُ إليك عينُ مُبْغِضٍ .

فقال ابنُ عباس : أمهيتُ (٣) يا أبا الوليد ، أمهيت !
لو تحققت عندنا أكثرُ ممّا ظننّااه لمحاه أقلُّ ممّا قامت .

(١) القرحة والقرح : أول ما يخرج من البئر حين تحفر .

(٢) تتبجس . تتفجر

(٣) أمهيت . بلغت ما تريد ، وأصله : بلغ الماء في حفره .

فذهب بعضٌ من حضر أن يتكلم ، فقال معاوية :
اسكت . وجعل معاوية يصفق بيديه ويقول :
جندلَتَانِ اصْطَكَّتَا (١) اصْطَكَّتَا

دعوتُ عركاً إذ دعوا غيراً كـ
إِنَّ الدَّاخلَ بين قريشٍ لحائنٌ (٢) نفسه .

وقال سعيد بن العاص : قَبَّحَ اللهُ المعروف إذا
لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأما إذا أتاك ترى دمه
في وجهه ، مخاطباً لا يدري أتعطيه أم لا ، وقد بات
ليلته يتملّسُ على فراشه ، يُعاقب بين شقيقه ، مرةً
هكذا ، ومرةً هكذا ، مَنْ حاجته ، فخطرتُ بباله أنا
وغيري ، فتميل (٣) أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من
حاجته ، ثم عزم عليّ وترك غيري ، فلو خرجتُ له بما
أملكُ لم أكافيه (٤) ، وهو عليّ أَمْسَنُ مني عليه .

(١) الجندلة : الصخرة و« جندلتان اصطكتا » مثل يضرب للقرنين
يتصاولان .

(٢) الحائن : الهالك . أي أتاه الحين : وهو الهلاك .

(٣) ميل بين أمرين : تردد ، ثم اختار أنفعهما له .

(٤) لم أكافه : لم أكافئه ، وكافاً وكافى بمعنى واحد .

قالوا : لَمَّا وَلَّى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ عَبْدَ
الْمَلِكِ (١) دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ أَلْبُ (٢) مِنْهُ فِي
حَدَاثَةِ سَنَتِهِ ، قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ : هَذَا غُلَامٌ شَابٌّ ،
وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ، وَسَيَسْمَعُ مِنَّا ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ :
أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، عِنْدِي نَصِيحَةٌ . قَالَ لَهُ : لَيْتَ شِعْرِي
مَا هَذِهِ النِّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتُنِي بِهَا ، مِنْ غَيْرِ يَدٍ سَبَقَتْ
مَنِّي إِلَيْكَ ؟ قَالَ : جَارٌ لِي عَاصٍ مُتَخَلِّفٌ عَنْ ثَغْرِ (٣) .
فَقَالَ لَهُ : مَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفَظْتَ
جِيَوَارِكَ . إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيْمَا تَقُولُ ، فَإِنْ كُنْتَ
صَادِقًا يَنْمَعُكَ ذَلِكَ عِنْدَنَا ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ .
وإِنْ شِئْتَ أَقْلُنَاكَ . قَالَ : أَقْلُسِي . قَالَ : أَذْهَبُ حَيْثُ
شِئْتَ لِأَصْحَابِكَ اللَّهُ . إِيَّيْ أَرَاكَ شَرَّ جَبَلٍ (٤) رَجُلًا .

(١) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولي نيابة دمشق لأبيه
وعزا الروم سنة ٨٩٤ .

(٢) ألب اسم تفضيل من لب : صار ذال لب .

(٣) عن ثغر . عن حرب العدو . والثغر : الموقع على الحدود
مع العدو .

(٤) الجبل . كل صنف من الناس .

ثم قال : يا أهل دمشق ، أمّا أعظمتُم ما جاء به الفاسق ؟
 إن السعاية - أحسبُ منه (١) - سجيّةٌ ، ولولا أنه
 لا ينبغي للوالي أن يُعاقب قبل أن يُعاقبَ كان لي في
 ذلك رأيٌ ، فلا يأتينَنِي أحدٌ منكم بسعايةٍ على أحدٍ
 بشيء ، فإنّ الصادقَ فيها فاسقٌ ، والكاذبَ فيها بهاتٌ (٢) .

✽ ✽ ✽

(١) المعنى : إنّي أظنّ أن السعاية طبيعة فيه .

(٢) البهات : صيغة مبالغة من بهته : إذا قال عنه ما ليس فيه .

الباب الخامس

مكت لآل الزبير

قدم فضالةُ بنُ شريك (١) ، على عبد الله بن الزبير ،
فقال : إني سِرتُ إليك الهواجرَ (٢) يا أَميرَ المؤمنين .
قال : ولِمَ ؟ أما كان لكَ في البَرَدَينِ (٣) ماتسِيرُهُما ؟
كأنك تادِرُ نَهْماً ، لأبالكَ ، فقال : إنَّ ناقتي قد
نُقِيبَ (٤) خُفِّئَها فأحملني . قال : ارقعها بجلد ،
واخصِّفْها بهُائب (٥) ، وأنجد بها (٦) ، وسرَّ بها

-
- (١) فضالة بن شريك الأسدي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .
(٢) الهواجر جمع هاجرة ، وهي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .
(٣) البردان : العداة والعُيَّ لبرود الجو فيهما .
(٤) نقب الخف : رق .
(٥) الھلب : الشعر أو خصلة منه .
(٦) أجد بها : سر بها في النجد ، وهو ما غلظ وارتفع واستوى من الأرض .

البرْدَبَن . قال : إنما أتيتك مُسْتَحْمِلًا (١) ، ولم آتِكَ
مُسْتَوْصِفًا ، لعنَ الله ناقةً حَسَلْتَنِي إِلَيْكَ . قال : إن (٢)
وراكبها ، فأنصرفَ وهجاهُ بالأبياتِ التي يقول فيها :
أرى الحاجاتِ عند أبي خُسَيْبٍ (٣)

تَكْدُنْ ، ولأُمَيَّةَ في البلادِ (٤)
كان مُصْعَبٌ (٥) يقول : المرأةُ فراشٌ فاستوثِرُوا .
نازع ابنُ الزبيرِ مَرْوَانَ في مجلسِ معاوية ، فرأى
أنَّ ضَلَعَ (٦) معاويةَ مع مروانَ . فقال : يا أمير المؤمنين .
إنَّ لك حقًّا وطاعةً علينا ، وإنَّنا سِطَّةٌ (٧) وحرمة ،
فأطعِ الله يطيعكَ ، فإنه لأطاعةً لكَّ علينا إلَّا في حقِّ

(١) مستحمل : طالب منه أن يحمله .

(٢) إن : نعم

(٣) أبو خبيب : كنية ابن الزبير ، يفوها له من يدمه ، أما من
يمدحه فيكنيه أبا بكر .

(٤) نكد الزمام : صاق واتتا

(٥) مصعب بن الزبير : أمير وقائد من قواد أخيه ، ولد سنة ٢٦ هـ .

(٦) ضلع معاوية مع مروان : ميله معه .

(٧) السلطة : مصدر وسط ، ووسط القوم كناية عن الرفعة والشرف .

الله ، ولا تَطْرُقْ إِطْرَاقَ الْأَفْعُوَانِ (١) فِي أَصُولِ
السَّخْبَرِ (٢) .

وقال له مرةً : يامعاوية ، لا تدعُ مَرَّوَانَ يرمي
جماهيرَ (٣) قريشٍ بِمِشَاقِصِهِ (٤) ويضربُ صَفَاتِهِمْ (٥)
بِمِعْوَلِهِ ، لولا مكانُكَ لكانَ أَخْفَفَ على رقابنا من فَرَاشَةٍ ،
وأَقْلَ في أنفُسنا من خَشَاشَةٍ (٦) ، وإيمُ اللهِ لئنْ مَلَكَ
أَعْنَتِي خيلٌ تَنْقُادُ له ليركبَنَ مِنْكَ طَبَقًا (٧) تخافُهُ .

فقال معاوية : إنْ يَطْلُبُ هذا الأمرَ فقد طَمِعَ فيه
منْ هودونته وإنْ يَتْرُكُهُ يُتْرَكُهُ لِمَنْ فوقَهُ . ومأراكم
بِمُنْتَهَيْنٍ حتى يبعثَ اللهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لا يعطِفُ عليكم

(٦) الأفعوان : ذكر الأفاعي ، شبهه به لأنه يطرق عند نفث السم .

(٢) السخبِر : الشجر .

(٣) الجماهير : جمع جمهور ، وهو معظم الناس .

(٤) المشاقص : جمع مشقص وهو ما طال وعرض من النصال

والمراد : لا بدعه يصيبهم بالأذى .

(٥) الصماعة : الحجر الأملس .

(٦) الخشاشة : واحدة الخشاش وهو الهوام .

(٧) الطبّق : جمع طبقة ، وهي منزلة فوق منزلة ، والمعنى :

ليركبَنَ مِنْكَ أحوالا ومنارل في العداوة مخوفة .

بقَرَابَةٍ ، ولا يذكركم عند مُلِمَّةٍ . ويسومكم (١)
خسفاً (٢) ، ويوردكم تانها .

قال ابنُ الزبير : إذاً والله نطليقُ عقالَ الحَرَبِ .
بكتائبِ تمورٍ كرجلِ الجراد (٣) . تتبعُ غيطريفاً (٤) من
قريشٍ لم تَكُنْ أمُّهُ براعيةً ثلثةً (٥) .

قال معاوية : أنا ابنُ هند ، أطلقتُ عقالَ الحربِ .
فأكلتُ ذُرَّةَ السَّنامِ ، وشربتُ عَنَفِوانَ المَكْرَحِ (٦) .
وليسَ للأكلِ إلَّا الفِلْدَةُ (٧) ، ولللشاربِ إلَّا الرُّنْقُ (٨) .

ليَمَ مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ على طُولِ خُطْبَتِهِ عَشِيَّةَ
عَرَفَةَ ، فقال : أنا قائمٌ وهم جلوسٌ وأتكلمُ وهم
سكوتٌ ويضجرون ! .

(١) سامه الأمر : ألزمه إياه سرا

(٢) الخسف : الفهر والإذلال .

(٣) رجل الجراد : القطعة التي قوى بعضها بعضها

(٤) الغطريف : السيد .

(٥) راعية ثلثة : راعية الغنم .

(٦) عنفوان المكروح : أوله وهو أصفى ما يكون .

(٧) الفلذة : القطعة من الكبدة أو السنام

(٨) الرنق : الكدر .

وكان عبدُ الله بن الزبير يقول : لاعاش بخيرٍ من
لم يرَ برأيه ما لم يرَ بعينه .

قال عروة (١) بنُ الزبير : التواضعُ أحدُ مصاديرِ
الشرف .

لما قال عبدُ الله بن الزبير : أكلتم تَمْرِي ، وعصيتُم
أمرِي . قال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ — وربُّكَ غالبُ
على أمره — يبغِي الخلافةَ بالتمرِ

قال عمرُ بنُ شبة (٢) : وقف ابنُ الزبير على باب
مَيْمَةِ ، مولاة كانت لمعاوية . تُرْفَعُ حَوَائِجُ الناسِ إليها .
فَقِيلَ له : يَا أَبَا بَكْرٍ تَقِفُ على بابِ مَيْمَةٍ ! قال : نعم .
إِذْ أَعْيَيْتِكَ الْأُمُورُ مِنْ رُؤُوسِهَا فَأَتَيْتُهَا مِنْ أَذْنَانِهَا .

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، أحد الفقهاء العظماء ، كان مسلماً
كريمًا عالماً بالدين ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٧ هـ .
(٢) عمر بن شبة : شاعر راوية مؤرج حدث ، ولد سنة ١٧٢ هـ .
وتوفي سنة ٢٦٢ هـ ، وله مؤلفات .

قال عُرْوَة : لعهدي بالناس ، والرجل منهم إذا أراد أن يسوء جاره سأل غيره حاجته ، فيشكوه جاره ، ويقول : تتجاوزني بحاجتيه ، أراد بذلك شينني (١) . لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مُصعب ، خطب الناس ، فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال :

إنه أئانا خبرُ مقتلِ المُصعبِ فسررنا واكتأبنا ،
فأما السرورُ فلما قدّر له من الشهادة ، وخيرُّ له من
الثواب ، وأما الكتابةُ فلوعةٌ يجدُّها الحميمُ لفراق
حميمه . وإننا والله لانموتُ حبّجاً (٢) كميتةٍ آل أبي
العاص (٣) ، إنما نموتُ قتلاً بالرماح ، وقعصاً (٤)
تحت ظلالِ السيوف ، فإن يهلكِ المُصعبُ فإنَّ في آلِ
الزبيرِ خلفاً .

وقال لما أئاه قتلُهُ : أشهدهُ المهلبُ ؟ قالوا : لا .

(١) الشين : العيب .

(٢) الحجب : أن تنتفخ بطون الإبل من أكلها العرفج ، وقد تموت من ذلك .

(٣) والمراد أنه يعيب عليهم إقبالهم على المطاعم والشهوات .

(٤) مات قعصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

كَانَ الْمُهَلَّبُ فِي وَجْهِ الْخَوَارِجِ . قَالَ : أَفَشْهَدُهُ
عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبْطِيُّ (١) ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ :
أَفْشَهُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السُّلَمِيِّ (٢) ؟ قَالُوا : لَا .
فَتَمَثَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ :

فَقُلْتُ لَهَا عَيْشِي جَنَعَارُ (٣) . وَجَرَّرِي
بِلَحْمِ امْرَأَةٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

خَرَجَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَوَطَّيئَهُ
عَظْمًا ، فَلَمْ يَبْلُغْ دِمَشْقَ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ كُلُّ مَنَاءِ حَبٍّ ،
فَجَمَعَ الْوَلِيدُ الْأَطْبَاءَ ، فَأَجْمَعَ رَأْيَهُمْ عَلَى قِطْعِهَا .
فَقَالُوا لَهُ : اشْرَبْ مُرْقِدًا (٤) ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ
أُغْفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَأُحْمِيَ لَهُ مِنْ شَارٍ ، وَكَانَ

(١) عباد بن الحُصَيْن بن يزيد الحبْطِيُّ ، هَارِسِي مِم ، وَلِي شَرْطَةِ
الْبَصْرَةِ لِابْنِ الزَّيْبِرِ .

(٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ بْنِ أَسْمَاءِ السُّلَمِيِّ ، وَلِي لِمَرْةِ خُرَاسَانَ ابْنِي أُمِيَّةِ .

(٣) جَعَارُ : اسْمٌ لِلْفَضِيعِ أَصْلُهُ جَاعَرَةٌ ، وَعَيْشِي جَعَارُ : مِثْلُ يَضْرِبُ
إِذَا أَتَتْ الضَّمِيعَ الْغَنَمَ وَغَابَ الْحَارِسُ .

(٤) الْمُرْقِدُ : شَرَابٌ يَشْرِبُهُ الرَّجُلُ فِي نَامٍ .

قَطَعْنَا وَحَسَمًا (١) ، فَمَا تَوَجَّعَ ، وَقَالَ : ضَعُوهَا بَيْنَ يَدَيَّ ، لَعَنَ كُنْتُ ابْتُلَيْتُ فِي عَضْوٍ لَقَدْ عُوِفِتَ فِي أَعْضَاءٍ .

فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ نَعِيُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ قَدْ اطَّلَعَ مِنْ سَطْحٍ عَلَى دَوَابٍ لِلْوَلِيدِ ، فَسَقَطَ بَيْنَهَا فَخَبَطَتْهُ فَقَالَ عَرَوْهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَعَنَ أَخَذْتَ وَاحِدًا لَقَدْ أَبْقَيْتَ جَمَاعَةً ، وَلَعَنَ ابْتُلَيْتَ فِي عَضْوٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ أَعْضَاءً .

حَدَّثَ وَهَبٌ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ فِي وَلَايَتِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ كِتَابًا يُعْطِهِ فِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لِلتَّقْوَى فِي أَهْلِهَا عَلَامَاتٌ يُعْرِفُونَ بِهَا ، وَيَعْرِفُونَهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، مِنْ صَبْرٍ عَلَى الْبَلَاءِ وَرِضَى بِالْقَضَاءِ . وَشُكْرٍ لِلنَّعْمَةِ ، وَذِلٌّ لِحُكْمِ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ كَالسُّوقِ . يُحْمَلُ إِلَيْهَا مَا زَكَ (٢) فِيهَا ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ أَتَاهُ أَهْلُ الْحَقِّ بِحَقِّهِمْ ،

(١) المسمى : وَكَانَ الْفَطْعُ قَطْعًا حَسَمًا . وَالْحَسَمُ هُوَ الْكَيُّ بَعْدَ الْقَطْعِ حَتَّى لَا يَنْزِلَ الدَّمُ .

(٢) زَكَ : طَهَّرَ .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَتَاهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ بِبَاطِلِهِمْ ،
فَانْظُرْ أَيُّ الْإِمَامِينَ أَنْتَ . وَالسَّلَامُ .

قال : فكان عبدُ الله يعجب من بلاغةِ هذه الرسالةِ
وإيجازها ، ويضعُها تحتَ فراشه ، ويستعاهدُ قراءتها .
كان لعبدِ الله بنِ عروة مَولاةٌ يُقال لها : شُهدة ،
ففرغتُ ليلاً ؛ فسمعها تقول : اللهمَّ إِنِّ أَحْسَنْتُ فَأَحْسِنْ .
إِلَيَّ ، وَإِنِّ أَسَأْتُ فَأَسِئْ إِلَيَّ . فقال : أَيُّ شَهَادَةٍ .
عَتَّقَ مَا يَمْلِكُ (١) إِنِّ لَمْ يَكُنْ هَذَا أَقْبَلَ مَالِكٍ عِنْدَ
رَبِّكَ .

قال عبد الله بن عروة بن الزبير : إلى الله أشكو عيبي
مألاً أدعُ ، ونعنتي مألاً آتي ، وإنما يُبكي للذي بالدين :

نازع عبد الله بن الزبير أخاه حَمْرًا (٢) ، والأمرُ
بالمدينة سعيدُ بن العاص ، فاستعلى عبدُ الله في القول :
فأقبل سعيدُ على عمرو ، فقال : إِيهًا يَا بَنَ أَبِي ؛ فَأَقْبَلَ

(١) وعتق لما يملك حملة دعائه ؛ فوجده وبأداها بشهاد بدأها ما
ومعنى : شهدة في الأمدل العسل ، وجمعه سهاد .
(٢) عمرو بن الزبير بن العوام ، كان شديد العارضة ؛ قويا .

عليه عبدُ الله ، فقال : هيهأ يا بنَ أبي أُحيحة (١) ،
 فوالله لأنا خيرٌ منك . ولأبي خيرٌ من أهلك : ولأُمِّي خيرٌ
 من أُمِّك ، ولخالتي خيرٌ من خالك ، ولجدِّي خيرٌ من
 جدِّك . ثمَّ ، اللهُ رفع بالإسلام بيوتاً ووضع به بيوتاً ،
 فكان بيتي من البيوت التي رفع ، وكان بيتك من البيوت
 التي وضع ، وإنْ ختنس (٢) أنفك ، وانتمخضت
 لغاديدك (٣) .

اختصم رجلان في حدٍّ بينهما بالأعوص (٤) ،
 فنهاهما وتخاصما ، فأتى الزبير بن هشام بن عروة (٥) ،
 وجعله حكماً بينهما . قال : فقال لهما : كان رجلان من
 بني إسرائيل اختصما في أرضٍ ، فأذن الله للأرض ،
 فكلاحتهما فقالت : لقد ملكني سبعون أعور ، وليس

(١) وأبو أُحيحة : هو سعيد بن العاص ، جد سعيد هذا ، توفي
 سنة ٣٣ هـ ، وهو ذرئ .

(٢) ختنس : من الخنس ، وهو تاضر في الأنف مع ارتفاع قليل
 في أرنبته .

(٣) اللغاديد : جمع الغدود : لحمه في الحلق .

(٤) الأعوص : موضع قرب المدينة على أهوال يسيرة منها .

(٥) الزبير بن هشام بن عروة محدث ثقة .

منهم^١ الآن أحد* على ظَهْر الأرض . قال : فنفترقنا .
وقال كل منهما : لا حاجة لي بها ، وترادّاها .

قيل لعُرْوَة الزيربيّ حين حُمِل إلى الرشيد مُقَيَّداً :
اختضب^(١) . فقال : حتّى أعلم أرأسي لي أم لكم ؟
فأدخل عليه في سِلْسِلَة ، فقال : كنت أشتهي أن أراك
فيها ، اخلعوا عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلعة
شتاء لا خلعة صيف .

» » »

(١) اختضب : صبغ شعره بالحناء .

الباب السادس

نوار أبي عينا ومخاطباته

حمّله بعضُ الوزراءِ على دابّةٍ ، فانتظرَ علفَها ،
فلما أبطأ عليه قال : أيها الوزير هذه الدابّةُ حمّلتني
عليه أو حملتهُ عليّ (٢) .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثُر الوقعةَ في الناس .
فقلتُ : إنّ لي في بصري شغلاً عن ذلك . فقال : ذاك
أشدّ لحقدٍك على أهل العافية .

وقال له يوماً المتوكلُ : إنّ سعيدَ بنَ عبدِ الملك

(١) محمد بن القاسم ، كنيته أبو العيّن ، ولد سنة ٨١٩ ، هاشمي بالولاء
وأديب فصيح ، اشتهر بنوادره ، كاتب شاعر ، ولكنه خبيث اللسان .
كف بصره في الأربعين ، وتوفي بالبصرة سنة ٨٢٧ هـ .
(٢) الدابة تطلق على المذكر والمؤنث .

يضحكُ منك ، فقال : (إنَّ الذين أُجرَمُوا كانوا منَ
التَّدين آمنُوا يَضْحَكُونَ) (١) .

وقال يوماً بحضرته ليخراشة : ابنُ كَمْ أنتَ ؟
قال : ابنُ نَيْفٍ وخمسين . قال أبو العيناء : زانيةٌ .

ودخل يوماً إلى ابنِ ثَوَابَةِ (٢) ؛ فقال : بلغني ما
نخاطبتَ به أُمسَ أبا الصَّقْرِ (٣) ، وما منعه من استقصاءِ
الجوابِ إلا أنَّه لم يجد عِرْضاً فيضعه ، ولا مجدلاً فيهدمه ،
وبعدُ فإنه عافَ لحمَكَ أَنْ يأكُله ، وسَهَكَ (٤) دمَكَ
أَنْ يسْفِكَه . فقال : ما أنتَ والكلام يا مُكْدِي (٥) ؟
فقال أبو العيناء : لا تنكر على ابنِ ثمانين ، وقد ذهبَ
بصرُهُ ، وجفاه سلطانُهُ ، أَنْ يعوَّلَ على إخوانه ، فيأخذَ
من أموالهم ، ولكن أشدَّ من هذا من يستنزلُ ماءَ أصلابِ

(١) سورة المطففين : ٢٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن ثوابة من الكتاب في العصر العباسي ، وكان
كاتب الرسائل لمعز الدولة . توفي سنة ٢٤٩ هـ .

(٣) أبو الصقر : هو إسماعيل بن بلبل ، وزير ، كان صديقاً
لابن المدبر .

(٤) سهك : استقذر رائحته .

(٥) المكدي : الشحاذ .

الرجال . يستترغنه في جوفه . فيقطع أرزاقهم ،
ويُعْظِمُ إجرامهم

فقال ابن توانه . ما تشاجر اثنان إلا غلب الأئمه .
فقال له : بها عابت أبا الصقر .

وقال ابن ثوابه يوماً : كتبت (١) أنفاس الرجال
قال : حيث كانوا وراء ظهرِكَ .

وقال له يوماً نجّاح بن سلمة (٢) : ما ظهورك
وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في الزنادقة ؟ فقال :
نستدفعُ اللهَ عنك وعن أصهارك .

ودخل على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٣)
وهو يلعب بالشطرنج ، فقال : في أي الحيزين أنت ؟
فقال (٤) : في حيز أمير أبده الله .

(١) كتبت أنفاس الرجال جمعنها .

(٢) نجّاح بن سلمة كان على ديوان الصباح ، ثم ديوان التوقيع
والاتباع على العمال للمنوكل .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزازي ، ولد سنة ٢٢٣ هـ ،
أمير سجّاح مشب للأدب ، ولي شرطة بغداد ، وكان له ولع بالهندسة
والموسيقى توفي سنة ٣٠٠ هـ

(٤) المراد مع أي اللاعبين أنت .

وَعُلب عبيدُ الله فقال : يا أبنا العِناء ؛ قد غُلبنا ،
وقد أصابك من النَّدب (١) خمسون رطلاً ثلجاً .
فكن أنتَ في حيلتها . قال : فقام ومضى إلى ابن ثوابة ،
وقال : إن الأمير يدعوك ، فلما دخلا قال : أيّد اللهُ
الأميرَ ، قد جئتُك بجبلِ هَمَدانٍ ومَا سَيَدان (٢) ،
فُخذْ منه ما شئتَ .

وقال يوماً لولد حمّاج بن هارون : في أي بابٍ
أنتَ من النحو ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول . فقال :
أنتَ في باب أبويكَ إداً .

ومرَّ على دار عدوِّ له ؛ فقال : ما خبرُ أبي محمد ؟
فقالوا : كما تحبُّ . قال : فما بالي لا أسمعُ الرنّةَ
والصَّراخَ ؟ .

ووعده ابنُ المدبّر (٣) بدابةً ، فلما طالبه قال :

(١) نَدب : التذب والسبق ما بوضع في الرهان فمن سبق أخذه .

(٢) ماسيدان ، موضع على يمين حلوان في العراق .

(٣) ابن المدبر . هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، وزير
من الكتاب المترسلين من أهل بغداد ، استنوره المعتمد سنة ٢٦٩ هـ ،
وتوفي سنة ٢٧٩ هـ .

أخافُ أنْ أحملَكَ عليه فتقطعني ولا أراك . فقال :
 عِدْني أنْ تضمَّ إليه حماراً لأواظبَ مُقتضياً (١)
 ووعدهُ أنْ يحمله على بَغلٍ ، فلقِيهُ في الطريق ؛
 فقال : كيف أصبحتَ يا أبا العنء ؟ قال : أصبحتُ
 بلا بَغلٍ ، فضحك من قوله ، وبعثهُ إليه .

وحمله بعضهم على دابةٍ ، فاستتراها ابنُ الرجلِ
 منهُ بثمنٍ أخسره . ولقيه بعدَ أيامٍ ؛ فقال : كيف أنتَ
 يا أبا العنء ؟ قال : بخيرٍ يا مَنْ أبوه يحملُ وهو يُرجلُ .
 وقالت له قِيْنَةُ (٢) : هَبْ لي خاتمتَكَ أذكركَ
 به . فقال : ادكُري بالمنع .

وقالت له قِيْنَةُ : أنتَ أيضاً يا أعمى ! فقال لها :
 ما أستعيرُ على وجهك بشيءٍ أصلحَ من العمى .
 وقال له ابنُ السكَّيت (٣) يوماً : تُراكَ أحطتَ

(١) مطالباً بما وعدت

(٢) القينة الجارية المغتبة .

(٣) ابن السكبت : هو يعقوب بن اسحق ، من علماء الفقه واللغة
 والشعر والأدب

بما لم أخطُ به . قال : ما أنكرت ؛ فوالله لقد قال المدهدُ ،
وهو أحسنُّ طائرٍ لسليمانَ : (أخطتُ بما لم
تُخطُ به) (١) .

وقال : وقُدِّمَ إلى مائدةٍ عليها أبو هفَّانَ (٢) وأبو
العيناء - فالوذجُ (٣) ، فقال أبو هفَّانَ : لهذه أحرَمَن
مكانك في جهنم . فقال أبو العيناء : إن كانت هذه حارَّةً
فبرِّدْها بِشِعْرِكَ .

وقال له صاعدٌ يوماً : ما الذي أخَّرَكَ عنا ؟ قال :
بُنَيَّتِي قال : وكيف ؟ قال : قالت : يا أبة ، قد
كنتَ تغدو من عندنا فتأتني بالخليعة السريَّة ، والجائزة
السنيَّة ، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفاً (٤) ، ورجعُ
مُبعثماً ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الوزارتين .

(١) سورة النمل : ٢٢ .

(٢) أبو هفان : هو عبد الله بن أحمد المهزومي ، راوية ، شاعر ،
أديب أخذ عن الأصمعي ، كان منهكاً فقيراً ، وله تصانيف بعضها
مطبوع .

(٣) الفالوذج . نوع من الحلوى

(٤) السدف : الظلمة والليل . وأعم . أبطأ وتأخر .

قالت : أيعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أيشفعك ؟
قلت : لا ، قالت : أفيرفع مجلسك ؟ قلت : لا .
فقلت : يا أبة ، ((ليم تعدد مالا يسمع ولا
يبصر ولا يغني عنك شيئاً)) (١) .

وقال له عبيد الله بن سليمان (٢) : إن الأخبار
المذكورة في السخاء وكثرة العطاء أكبرها تصنيف
الوراقين ، وأكاذيبهم . قال : ولیم لا يكذبون على
الوزير أيده الله .

وقال له محمد بن مكرم (٣) : طممت أن أمر
غلامي بدوس بطنك . فقال : الذي تخلفه على عيالك
إذا ركبت ، أو الذي تحمله على ظهرك إذا نزلت ؟
وقال يوماً لرجل سلم عليه : من أنت ؟ قال :
رجل من ولد آدم . قال : ادن مني عانقني ، فما
ظننت أنه بقي من هذا النسل أحد .

(١) سورة مريم : ٢٢

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب ، كاتب في العصر العباسي ، ولد
سنة ٢٢٦ هـ ، استوزره المعتمد والمتنفسد و توفي سنة ٢٨٨ هـ .

(٣) كان مشهوراً في بغداد بالعلم والادب ، توفي سنة ٢٢١ هـ

وقال له أحمد بن سعيد الباهلي : إني أصبت لباهلة فضيلة لا توجد في سائر العرب . قال : وما هي ؟ قال : لا يُصابُ فيهم دَعيٌّ . فقال : لأنه ليس فوقهم من يقبلهم ، ولادونهم أحدٌ فينزلون إليه .

وحضره يوماً ابن مكرم فأخذ يؤذيه ، فقال له ابن مكرم : الساعة والله أنصرف . فقال : مارأيتُ من يتهددُ بالعافية غيرك .

وقال له يوماً ما يُعرّض به : كم عددُ المكدين (١) بالبصرة ؟ قال : مثلُ عدد البغاثين ببغداد .

وقدم ابن مكرم من سفر ، فقال له أبو العيلاء : ما أهديت لي ؟ . قال : قدمتُ في خُفٍّ . قال : لو قدمتُ في خُفٍّ لخالفتُ نفسك .

وقال له ابن مكرم : مذهبي الجمعُ بين الصَّلَاتَيْنِ . قال : صدقتَ ، ولكن تَجمعُ بينهما بالتَّرك .

وقال له ابن بدر (٢) يوماً وهو على بابهِ : أهذا

(١) المكدين : جمع مكدي ، وهو المتسول السائل الملح .

(٢) هو أحمد بن ندر الشرابي كانت إليه الشرطة زمن الراضي .

المنزّل ؟ قال : نعم ، فإن أردتَ أن ترى سوءَ أثرِكَ
فانزِل .

قال له أبو الجَمَّاز : كيف ترى غِنائي ٤ . قال :
كما قال الله عزَّ وجل : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ) (١) .

ودخل إلى المتوكِّل ، فتقدَّم إليه طعام ، فغمسَ أبو
العيناء لقمته في خَلٍّ كان حامضاً ، فأكلها وتأذَّى
بالحموضة ، وفطن المتوكِّل فجعل يضحك ، فقال :
لا تلمني يا أمير المؤمنين ، فقد مَحَتِ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِي .
وقال له السُّدْرِيُّ : أشتهي أن أرى الشيطانَ .
فقال : انظر في المرأة .

قال أبو العيناء : رأيت محمد بن مكرم يصلي
صلواته كلَّها ركعتين ركعتين ، فقلتُ : يا محمد ،
ما هذا الذي أراك تفعله ؟ قال : عزمتُ وحياتك على الخروج
إلى قُسِّم (٢) إلى عند أبي .

(١) سورة لقمان : ١٩ .

(٢) قم : بتشديد الميم مدينة بفارس افتتحها المسلمون سنة ٨٢٣ .

قيل لأبي العيناء : لم اتَّخَذْتَ خادمين أسودين ؟
فقال : أما أسودان فلنلا أُتَّهَمَ بهما . وأما خادهاَن
فلنلا يُتَّهَمَا بـ .

ونظر إلى رجل قبيح الوجه ، فقال : كأنما خلِّقَ
هذا الرجلُ ليعَلِّمَ الناسُ نعمةَ الله عليهم .

وقدمَ صديقُ له من بعضِ الأعمال السلطانية ،
فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ ،
فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال . نحن كما قال
الله تعالى : (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) (١)
وقيل : ابنُ كَسَمٍ أنتَ ؟ فقال : قبضه ، يعني :
ثلاثاً وتسعين .

وقبل له : كيف حمَّدُك افلان ؟ فقال : أحمدُه
للؤم الزمان ، فأمرًا عن حُسْنِ اختيار فلا .
واعترضه يوماً أحمد بن سعيد ، فسَلَّم عليه ،
فقال أبو العيناء : من أنتَ ؟ قال : أحمدُ بن سعيد ،
فقال : إني بك لعارف . ولكن عهدي بصوتك يرتفعُ

(١) سورة المائدة ٤٢٠ .

إليّ من أسفل . فماله ينحدر عليّ من علوّ ؟ قال :
لأنني راكب . قال : لا إله إلا الله . لعهدي بك وأنت
في طِمْرين (١) أو أقسمت على الله في رغب لأعضاك
بما تكرّه .

وقال يوماً لعبيد الله بن سامان : إلى كم يرفعني
الوزير ، ولا يرفع في رأسا ؟ .

وقال له يوماً : كيف حالك ؟ فقال : أنت الحال ،
فإذا صلّحت صلّحت .

وقال يوماً لعبيد الله بن يحيى . أبها الوريث ، قد
برّح بي حجّاتك ، فقال له : ارفق . فقال : لو رفق
بي فعلمك رفق بك قولي .

وقيل له : لاتعجل ، فإنّ العجّة من الشيطان ،
فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام :
(وعجّيتُ إليك ربّ لترضى) (٢) .

وقال لرجل : والله ما فبك من العقل شيء إلا مقدار
ما تجيب به الحجة عليك . والنار لك .

(١) الطبر . الثوب الخلق النالى

(٢) سورة طه ٨٤ .

قال المتوكل^١ : لولا ذهاب بصر أبي العيناء لأردت
مناذمته ، وبلغه ذلك ، فقال : قولوا له : إنني إن أعفيت
من قراءة نقوش الخواتم ، ورؤية الأهلّة صلحت غير
ذلك . وأنهى ذلك إلى المتوكل فضحك وأمر بمناذمته .

قال أبو العيناء : سمعتُ جاراً لي أحقّ وهو يقول
بجارٍ له : والله لخممت أن أوكل بك من يصنع
رقبتك ، ويخرج هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسان .

ودخل إلى ابن مكرم ، فقال له : كيف أنت ؟
قال : كما تحب ، فقال : فلم أنت مطّاق^١ ؟ (١) .

* * *

ومِنْ رَسَائِلِ أَبِي الْعَيْنَاءِ وَكَلَامِهِ الْمُسْتَحْسَنِ

كتب إلى أبي الوليد بن دواد : جعلتُ فداك ،
مسنّنا وأهلنا الضرّ ، وبضاعتنا المودة والشكر ، فإن
تعطنا أكنّ كما قال الشاعر :

أنا الشّهَابُ الذي يحمي دياركم
لا يَخْمدُ الدهرَ إلّا ضوءه يقيّد

(١) مطلق : غير متقلد لشؤون الوزارة .

وإن لم تفعل فلسنا مِمَّنْ يَتَمَيِّزُكَ (١) فِي الصَّدَقَاتِ .
(فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ) (٢) .

قال ابن مكرم : مَنْ رَعِمَ أَنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ أَكْتَسَبَ
مِنْ أَبِي الْعِيَاءِ إِذَا أَحْسَنَ بَكْرَمٍ أَوْ شَرَعَ فِي طَمَعٍ فَقَدْ وَهَمَ .
كتب إلى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ،
وهما مطالبان بمال ، يبيعان له ما بما كان من عفار
وأثاث ، وعبد وأمة . وأعطيني بخادم أسود أعبيد
الله خمسون ديناراً ، فكتب إليه أبو العيَاء :

قد علمت — أطال الله بقاءك — أَنَّ الْكَرِيمَ الْمُنْكَرُوبَ
أَجْدَى عَلَى الْأَحْرَارِ مِنَ اللَّئِيمِ الْمَوْفُورِ (٣) ، لَأَنَّ اللَّئِيمَ
يَزِيدُ مَعَ النِّعْمَةِ لُؤْمًا ، وَلَا تَرِيدُ مَحَنَةُ الْكَرِيمِ إِلَّا كَرَمًا .
هَذَا مُتَّكِلٌ عَلَى رَازِقِهِ . وَهَذَا يَسِيءُ الظَّنَّ بِخَالِقِهِ .
وَعَبْدُكَ إِلَى مِلْثَلِكِ كَافُورٍ فَقِيرٌ ، وَتَمَنُّهُ عَلَى مَا تَتَّصِلُ بِهِ

(١) يلزم : يعيب ويغتتاب .

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(٣) الموفور : الكثير الوفرة والمال

يسير ، فإن سمحتَ فتلكَ منك عاذتي ، وإنَّ أمرتَ
بأخذِ ثمنه فمالكَ منه مآدتي . أدام الله لنا دولتكَ ،
واستقبل بالنعمة نكبتك ، وأدام عزك وكرامتك .
فوهب الخادمَ إليه .

قال أبو العيناء : قال ملكٌ لبنييه : صِفُوا لي شهواتكم
من النساء . فقال الأكبر : تُعجبني القُدودُ والخُدودُ
والنهودُ . وقال الأوسط : تُعجبني الأطرافُ والأعطافُ
والأردافُ . وقال الأصغر : تُعجبني الشعورُ والنحورُ
والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خلّةٌ
ومودةٌ وصداقةٌ قديمة ، فلما نُكِبَ مع الكتاب في
أول خلافة الواثق (١) أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاها عن
بعض الأعراب ، فلما وصلَ إلى الواثق وقرئ عليه .
قال : واضعُ هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيم بن رباح ،
وكان أحدُ أسباب الرضا عنه . ونسخةُ الكلام : قال :

(١) في سنة ٥٢٢٩ هـ حبس الواثق بعض الكتاب ، وألزمهم أموالاً
عظيمة .

لقيتُ أعرابياً من أهلِ البادية ، فقلتُ : ما عندك
من خبرِ البلادِ ؟ قال : قتلَ أرضاً عالمُها (١) . قلتُ :
فما عندك من خبرِ الخليفةِ ؟ قال : تبجحَ في عزّةِ (٢)
فضربَ بجرانِه (٣) ، وأخذَ الدرهمَ من مِصره ،
وأرغفَ كلَ قلمِ خيانتِه (٤) .

قلتُ . فما عندك من خبرِ ابنِ أبي دُوادٍ ؟ قال :
عُصْلَةٌ (٥) لا تُطاق ، وجُنْدَلَةٌ لا تُرام . يُنْتَحَى
بالمُدَى لسحره فتحور (٦) ، وتُنْصَبُ له الحبائلُ حتى
يقول : الآنَ ، ثم يَضْضِرُ (٧) صَبْرَةَ الذئبِ ، ويتملّسُ

(١) كناية عن الخبره بما سئل عنه

(٢) تمجيع : توسط ، كناية عن السمك

(٣) الحران في الأصل باطن العنق ، وقيل . مقدم العنق من

مذبح البعير .

(٤) أرغف الإباء مأذة حتى سال

(٥) العصلة . الشديده الداهيه والجندلة الحجر ، أو ما يجتمع في

النهر من حجارة تمنع الملاحة .

(٦) يحور . ترحج .

(٧) يضبر : يئب ، وأصلها نوع من سير الفرس

تَمَسَّسَ الضَّيْبَ ، والخليفةُ يَحْتَوِ (١) عليه ، والعراق (٢)
يَأْخُذُ بِضَبْعَيْهِ .

قلتُ : فما عندك من خبر عُمرَ بنِ فَرَج (٣)؟
فقال : ضُخَامٌ حِضْبَجَر (٤) وغضوبٌ هِزْبَرٌ ، قد
أَهْدَفَهُ القَوْمُ لِبَغْيِهِمْ ، وَاَنْتَضَوْا لَهُ عَنِ قِسْيِهِمْ
وَأَحْرَلَهُ بِمَثَلٍ مَصْرَعٍ مِنْ يُصْرَعُ مِنْهُمْ ! .

قلتُ : فما عندك من خبر ابن الزيات ؟ قال : ذاك
رجلٌ وَسِيعُ الوري بِشْرُهُ ، وبطن بالأُمور خَبْرُهُ .
فله في كل يوم صرِيحٌ لا تَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ مِخْلَبٍ وَلَا نَابٍ ،
إِلَّا بِقَسْدِ الرَّأْيِ .

قلتُ : فما عندك من خبر إبراهيم بن رباح ؟ قال :
ذاك رجلٌ "أَوْبَقَمَهُ كَرَمُهُ" ، وَإِنْ يَفْزُزُ لِلْكَرَامِ قِدْحُ (٥) .

(١) الختو : العدو الشديد .

(٢) الضيغ : العضد .

(٣) عمر بن فرج حبسه المتوكل ، وكان أحد من حبسهم الواصل
من الكتاب .

(٤) الضخام : العظيم من كل شيء ، وقيل العظيم الجرم ، الكثير
العم ، والحضجر : العظيم البطن .

(٥) القدح : السهم .

فأحرى بمنجاته ، ومعه دُعاءٌ لا يخذلُه ، وفوقه خليفةٌ
لا يظلمُه .

قلت : فما عندك من خبر نجاح بن سلامة ؟ قال :
لأدره من خافضٍ أوتادٍ ، يقدُّ كأنَّه هُبُّ نارٍ ، له
في الفينة جليسة عند الخليفة كحسوةٍ
طائر ، أو كخليسة سارق ، يقومُ عنها . وقد أفادَ
نِعماً ، وأوقعَ نِقَماً .

قلت : فما عندك من خبر الفضل بن مروان ؟ قال :
ذاك رجلٌ حشيرٌ بعد ما قُبِرَ . فله نشرةُ الأحياء .
وفيه خنوتُ الموتى .

قلت : فما عندك من خبر أبي الوزير (١) فقال :
إخاله كِبش الزنادقة . ألا ترى أنَّ الخليفة إذا أهمله
نخضم (٢) فرتع . حتى إذا أمرَ بنفضِه أمطر فأمرع .

قلت : فما عندك من خبر أحمد بن الحصب ؟

(١) أبو الوزير . وزير المتوكل

(٢) النضم الأكل بالفم كله .

فَقَالَ : أَحْمَدُ أَكَلَ إِكْلَةً نَهَمَ ؛ فَأَخْلَفَ خَائِفَةً
بَشَمَ (١) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ ؟ قَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ قُلْتُ مِمَّنْ صَخَّرَهُ ، فَصَبَرُهُ صَبْرُهَا ، وَمَسَّهُ
مَسَّهَا .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ :
كُنْتُ غُرُورٌ ، وَجَاءْتُ صَبُورٌ ، لَهُ جِلْدٌ نَمِيرٌ . كَلَّمَا
قَدُّوا لَهُ إِهَابًا أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا (٢) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَعْضُوبَ ؟ قَالَ :
(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (٣)

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهَبٍ ؟ فَقَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ اتَّخَذَهُ السُّلْطَانُ أَخًا ، فَاتَّخَذَتْهُ نَفْسُهُ
لِلْإِسْلَامِ عِيْدًا .

(١) بشم : بالغ في الطعام حتى التخميد

(٢) الإهاب : جلد الحيوان قبل دبحه

(٣) سورة النحل : ٢١ .

قلتُ : فما عندك من خمر أخيه الحسن ؟ : فقَالَ
 نند ما استنوقَت (١) مسألتك ! ذاك حرمةٌ حُبِسَتْ
 خريدِ المجرم . لبس في القوم في خلٍّ ولا خَمَرٍ ،
 هيَّهَات .

كُتِبَ الْحَمْدُ وَالْحَرَجُ عَلَيْهِمْ
 وَتَابَى الْمُحَصَّنَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ (٢)

(١) مأخوذ من المثل : « استنوى الحمل » . إذا ضعف أمره .

(٢) مأخوذ من بيت عمر بن أبي ربيعة

كنب القبل والقنال علينا
 وعلى المحصنات جمر الدُّيُول

الباب السابع

سوار مزبد

أخذه بعضُ الولاة وقد اتَّهَمَهُ بالشرِّ ،
فاستنكَّهَ (٢) ، فلم يجد منه رائحةً ، فقال : قَبِّضُوهُ .
قال : من يضمنُ عَشَائِي أصابعك الله ؟ .

قيل له مره — وقد أفحش في كلامه -- : أمْلِ على
كَاتِبِيكَ (٣) خَيْراً . قال : أكرهُ أنْ أخطِئَ عليهما .
وَدَّعَى رجل عليه شيئاً . وفدَّته إلى القاضي .
فأذكره ، وسأله إقامة البَيتِنة ؛ فقال : ليس لي بيتة .
قال : فاستحلفه لك ؟ قال : وَمَا يَمْنُ مزبدُ أصابعك الله ؟

(١) مزبد المدني كان يضرب به المثل في الهرل والدعابة .

(٢) استنكَّه : شم أي : رائحه .

(٣) المراد : الملكان الكنايان .

فقال مُزَبَّد : ابعث ، أصدحك الله ، إلى ابن أبي ذئب (١)
فاستحلفه له .

وتناول رجلٌ من لحيته شيئاً ، فسكت عنه ، وكان
الرجلُ قبحَ الوجه ، فقال : ويحك لم لا تدعولي ؟ فقال :
كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوء فتبقى بلا وجه .

وقيل له : أيسرك أن هذه الجُبَّةَ لك ؟ قال : نعم ،
وأضربُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقولُ ذلك ؟ قال :
لأنَّه لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

وأناه أصحابُ له يوماً ، فقالوا له : يا أبا إسحاق ؛
هل لك في الخروج بنا إلى العقيق (٢) ، وإلى قباء (٣) ،
وإلى أمحد ناحيةَ قبور الشهداء ؛ فإن يومئذٍ كما ترى
يوم طيبٌ . قال : اليومُ يوم الأربعاء ولستُ أبرحُ من

(١) ابن أبي ذئب من الصالحين .

(٢) العقيق . يطلق على كثير من المواضع ، والمراد هنا عقيق
المدينة ، بجانبها ، فيه عيون ونخل .

(٣) قباء ، في طرف المدينة ، يقصر ويمد ، بها مساكن بعض الأنصار
ومسجد قباء المشهور

منزلي . قالوا : وما تكره ؟ . يوم الأربعاء فيه وُلِدَ
يونسُ بن متى عليه السلام . قال : بأبي وأمي أنتم فقد
التَّسَّمَهُ الحوتُ . قالوا : فخير اليوم الذي نُصِرَ فيه النَّبيُّ
عليه السلام يومَ الأحزاب . قال : أجل . ولكنَّ بعدَ
إِذْ زَاغَتِ الأبصارُ ، وبَاغَتِ القلوبُ الحناجرُ . وظنُّوْا
بالله الظنونَ .

استأذن مُزَبَّدٌ على بعضِ البخلاء وقد أُهْدِيَ له
تينٌ في أولِ أَوَانِهِ ، فلما أحسَّ بدخوله تناولَ الطبقَ .
فوضعه تحتَ السريرِ ، وبقيتْ يدهُ معلقةً ، ثم قال لمزَبَّدَ :
ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال : يا سيدي ؛ مررتُ السَّاعَةَ
ببَابِ فلانَ ، فسمعتُ جاريته تقرأُ لحنًا ما سمعتُ قطُّ
أحسنَ منه ، فليمنَّا عامتُ من شدةِ محبَّتِكَ للقرآنِ ،
وسماعتُكَ للألحانِ ، حفظتُهُ ، وجئتُ لأقرأهُ . عليك .
قال : فهاتيه ، فقال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((والزَّيْتُونَ))
وطُورِ سِينِينَ . ((٣)) فقال : ويالك ! أين التين ؟ قال :
تحتَ السريرِ ! ! .

(١) سورة التين : ٢١ .

احتاج مزبّد أن يبيع جُبته لسوء حاله ، فنادى
عليها المنادي . فلم يطالب بشيء ؛ فقال : مزبّد : ما كنتُ
أعلمُ أني كنتُ عمرّباناً إلى الساعة .

ونظر يرمأ إلى امرأته تصعد في درجة ، فقال :
أنت الطلاق إن صعدت ، وأنت الطلاق إن وقفت ،
وأنت الطلاق إن نزلت . فرمت بنفسها من حيث بلغت .
فقال لها : فذاك أبي وأمي ! إن مات مالك احتاج إليك
أهلُ المدينة في أحكامهم .

وقالت امرأةُ مزبّد - وكانت حبلى . ونظرتُ
إلى فبيع وجهه - - . الويلُ لي إن كان الذي في بطني
يشبهك ، ففأنا : الويلُ لي إن كان الذي في بطني
لا يشبهني .

دفع مرةً إلى والي مكة ، وقد أفطر في شهر رمضان ؛
فقال له الوالي : يا عدو الله ؛ تنفطير في شهر رمضان !
قال : أنت أمرتني بذلك . قال : هذا شرٌ ، كيف
أمرتك ؟ وبالك . قال : حدّثت عن ابن عباس :

أنه من صام يوم عرفة عدل صومه سنة ، وقد صمته .
فضحك الوالي وخطاه

واعتلّ عاه ، وأشرف منها إلى الهلاك ، وأراد أن
يوصي ، فدعا بعض أوليائه ، وأوصى إليه ، وكتب كتاب
وصيته ، وأمر للوصي بشيء ؛ فلما فرغ من الكتابة
رآه مزبداً وهو يتربّب الكتاب ؛ فقال وهو على تلك
الحال : نعم يا سيدي ، فهو أقضى للحاجة (١) .
ونظر إلى قوم مكتّفين يذهب بهم إلى السجن ،
فقال : ما قصة هؤلاء ؟ قالوا : خير . قال : إن كان
خيراً فاكثفوني معهم .

* * *

(١) أشار إلى الحديث الشريف . « إذا كتب أحدكم فليزب فإنه
أنجح » .

الباب الثامن

نوار أبي الحارث حمين^(١)

قيل له : ماتقولُ في فالوذجة ؟ قال والله لو أنَّ موسى لقيَ فرعونَ بفالوذجةِ لآمنَ ، ولكنه لقىَ بعَصَا .

وقيل له يوماً : ماتشتهي ؟ فقال : نَشِيشَ مِقْلَاةٍ بين غلبانٍ قِدرٍ على رائحةٍ شِواءٍ .

وكان لا يأكل الباذنجانَ ، فكأيده محمدُ بنُ يحيى واتخذَ ألوانه كلَّها بباذنجانٍ ، فجعل كلما قُدِّمَ لونُ فراهُ الباذنجانُ فيه توقَّاهُ ، وأقبل على الخبزِ والملحِ ، فلما عطش قال : يا غلامُ ، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان .

وكتب يوماً إلى صديق له : أوصبك بتقوى الله ، إلاَّ أن تَرى غيرَ ذلك خيراً منه .

(١) أبو الحارث حمين ، أحد المشهورين بالنوادر والمزاح .

وقيل له : سبقتَ ببرذونك هذا قط ؟ قال : بلى ،
مرة . دخلنا زقاقاً لا منفذَ له وكنتُ آخرَ القوم ، فلما
رجعنا كنتُ أولَ الموكب .

ودخل جماعة من إخوانه . فاشتبهوا عليه لوناً
يطبخه لهم ، فدنا أحدهم من القدر ليذوقها ، وأخرج
قطعة لحم وأكلها ، وفعل كلُّ واحد منهم كذلك ،
فقال أحدهم : هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لأأدرى
ما هو ؟ فقال أبو الحارث : أنا أعلمُ . هو ذا تحتاج
إلى اللحم .

وحكى دِعبلٌ قال : بلغني أن أبا الحارث قد
فُلج ، فاغتمتُ لظرفه وملاحته ، فصيرتُ إليه فوجدته
في عافية . فحمدتُ الله وسألته عن خبره ؟ فقال :
دخلتُ الحمامَ وأكلتُ السمك ، ودعوتُ المزيّنَ فأخذ
شعري ، ففلن الفالج لما رأى المزيّنَ عندي أني احتجمتُ ،
فلما علمَ أنه أخذَ من شعري تركني وانصرف .

ونظر يوماً إلى برذون يُستقي عليه ، فقال :
« وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ »

لو أن هذا همَلَجَ ما كان هذا (١) .

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً ، فجعل يأكل
الصفرة ، وينحّي البياض إلى بين يدي أبي الحارث
عبثاً به ، فقال لما طال ذلك عليه - وتنفس الصعداء - :
سقى الله روح العجّة فما أعدّ لها .

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً ، فقال له : ما تشتهي ؟
قال ، أما اليوم فماء حِصْرِم ، وأما غداً فهِرَيْسَة .
قال بعضهم : دخلت على جمّةٍ أعوده من مرضٍ به ،
فقلت له : ما تشتهي ؟ فقال : أعيس الرقباء ، وألسن
الوشاة ، وأكباد الحُسّاد .

قيل لجمّةٍ - وقد رأى سوداء قبيحة - : ابتلاك
الله بحبّها ، قال : ياغيض ، لو ابتلاني بحبها كانت
عندي من الحُور العين ، ولكن ابتلاك الله بأن تكون
في بيتك وأنت تبغضها .

وقال له الرشيد : اللوزينج أطيب أم الفالودج ؟

(١) هَلَجَ . أسرع في سبره

قال : أحضرهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَحْضِرَا ، فَجَعَلَ
يَأْكُلُ مِنْ هَذَا وَهَذَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَا
أَرَدْتُ أَنْ أَشْهَدَ لِأَحَدِهِمَا غَمَزَنِي الْآخَرُ بِحَاجِبِهِ .

قال بَصْرِيٌّ لِجَمِينٍ : يَا تَيْنَا الْمَدُّ وَالْجَزْرُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ . قَالَ : يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ فِي هَلَاكِكُمْ مَرَّتَيْنِ ،
وَكَأَنَّ قَدْرَ .

وَدَعَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَ يُحِبُّهَا ، فَجَعَلَتْ تَحَادِثُهُ وَلَا تَذْكُرُ
الطَّعَامَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهِ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ،
لَأَسْمَعَ لِلْغَدَاءِ دِكْرًا . قَالَتْ لَهُ : أَمَا تَسْتَحْيِي ! أَمَا فِي
وَجْهِهِ مَا يَشْغَلُكَ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ،
لَوْ أَنَّ جَمِيلًا وَبُشَيْنَةً قَعَدَا سَاعَةً لَا يَأْكُلَانِ شَيْئًا لَبَرَقَ (١)
كُلُّ مَنْهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ .

* * *

(١) بَرَقَ . بَصَقَ

الباب التاسع

نوادراجماز (١)

قال الهماز لأبي شراعة (٢) : كيف تجدك ؟
قال : أجدني وقيداً (٣) من دماميل قد ظهرت في أقبح
المواضع . قال : ما أرى في وجهك منها شيئاً .

قال بعض إخوان الهماز - وقد دخل إليه وهو
يطبخ قديراً - : لا إله إلا الله ما أعجب الرزق ! فقال
الهماز : أعجب منه الحرمان . امرأته طالق إن ذقتها .

(١) أبو عبد الله محمد بن عمرو الهماز ، بصري خبيث اللسان ماجن
وهو ابن أخي سلم بن عمرو الناصر الشاعر ، كان الهماز شاعراً صاحب
مقطعات ، توفي سنة ٢٥٠ هـ في أيام المتوكل .

(٢) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، شاعر بصري جنزلي اللفظ ،
مات في أيام المتوكل
(٣) الوقيد المريض المشرف على الموت .

وقال له السهريّ : ولِد لي البارحة ابنٌ كأنه الدينار
المنقوش . فقال الحمّاز : لاعينُ أمّه (١)

صاى رجلٌ صلاةً خفيفة . فقال له الحمّاز : لو
رآك العجاج (٢) لُسّر بك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّ
صلاتك رجز .

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه ، فقال له الحمّاز :
وما تستحسنُ منه ؟ فوالله إنّ فيه لخصالاً لو كانت
إحداهنّ في الحمار لردّ بها ، قال : وما هي ؟ قال : إنه
يدخل الروازن (٣) ، ويمنعُ من الدبيب ، ويدلُّ على
اللبصوص . ويسخن من الماء ، ويخرق الكتّان ، ويورث
الزكام ، ويحل الدين ، ويزهيم اللحم .

كان المتوكل يُحدّث عن الحمّاز ، فكتبَ في
حَمَلِهِ ، فلما دخل عليه لم يقع الموقعَ الذي ظنّه ، فقال

(١) لاعن الرجل زوجته إذا قدمها بالزنى .

(٢) عبد الله بن رَوْنه العجاج ساعر اشتهر بالرجز .

(٣) الروازن : الكوى .

المتوكل . تكلم فإني أريد أن استبرئَكَ (١) . فقال الجمَّاز :
بحيضةٍ أو بحيضتين ، فضحكت الجماعة .

وقال له الصَّح : قد كاتمتُ أميرَ المؤمنين فيكَ حتَّى
ولاكَ جزيرة القروءِ ، فقال له الجمَّاز : أفَلَسْتُ في
السمع والطاعةِ أصلحك الله ؟ فحَصِرَ الفَتَّحُ وسَكَتَ .
فقال له بعضُ مَنْ حضر : إنَّ أميرَ المؤمنين يريد
أن يهبَ لك جاريةً . فقال : ليس مثلي مَنْ غَرَمَ نفسه ،
ولا كَذَبَ عندَ أمير المؤمنين . إن أرادني أن أقودَ عليها ،
وإلاَّ فمالها عندي شيء ، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف
درهم ، وأخذها وانحدر ، فمات فرحاً .

* * *

(١) من معاني استبرأ : إن الرجل لا يعطى امرأته إذا كانت متزوجة
قبله ، أو منه حتَّى تحيض .

الباب العاشر

نوادير المجانين

قال مجنونٌ — ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة — :
أيها الناس : (إنِّي رسولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جميعاً) (١) .
فقال له مجنونٌ آخر . (ولا تعجلُ بِالقُرْآنِ
أن يُقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) (٢) .

ومرَّ موسى بن أبي الروقاء ، فناداه صَبَّاحُ الموسوس :
يا بنَ أبي الروقاء أَسَمَنْتَ بِرذَوْنِكَ ، وَهَزَلْتَ دِينَكَ (٣) .
أما واللهِ إنَّ أَمَامَكَ لَعَقَبَةً لَا يَجُوزُهَا إِلَّا الْمُخِيفُ . فحبَسَ
موسى بِرذَوْنَهُ ، فقليل له : هذا صَبَّاحُ الموسوس . قال :
ما هو بموسوس ؟ .

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة طه ١١٤ .

(٣) هزل لازم ومتعد .

وقف رجلٌ على بُهلُول ، فقال له : تعرفُنِي ؟
فقال بُهلُول : إِيّ وَاللَّهِ ، وَأَنْتَ سَبَّكَ نَسْبَةَ الْكَمَاءَةِ ،
لَا أَصْلَ ثَابِتٍ ، وَلَا فَرْعَ ثَابِتٍ .

ودعا الرشيْدُ بُهلُولاً لِيَضْحَكَ مِنْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ دَعَا
لَهُ بِمَائِدَةٍ فَقُدِّمَ عَلَيْهَا خَبْزٌ وَحَلَدَةٌ ، فَوَلَّى بُهلُولٌ
هَارِباً ، فَقَالَ لَهُ : إِلَى أَيْنَ ؟ . قَالَ : أَجِئْتُكُمْ يَوْمَ الْأَضْحَى ،
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ لَحْمٌ .

أَخْرَجَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ (١) مِنْ حَبْسِهِ مَجْنُوناً
يَمَازِيحُهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَدْرِي لِمَ أَخْرَجْتُكَ ؟ قَالَ : لَا .
قَالَ : لِأَسْخَرَ مِنْكَ . قَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ حَكَّمُوا
حُكَمَاءَ فَنَسَخَرُوا أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ .

قَالَ الْمُبَرَّدُ : دَخَلْتُ يَوْمًا دَيْرَ هِزْقِيلَ ، فَرَأَيْتُ
فِي صَحْنِ الدَّارِ مَجْنُوناً ، فَدَلَعْتُ لِسَانِي (٢) فِي وَجْهِهِ ،
فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ مَنْ حَلُّوا
وَمَنْ رَبَطُوا .

(١) بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، أَمِيرُ الْبَصْرَةِ
وَقَاضِيهَا .

(٢) دَلَعَ لِسَانَهُ : أَخْرَجَهُ .

قال بعضهم : رأيتُ بحمصٍ مجنوناً يقول :
يا قوم ، مَنْ يتعلمُ : « لأأدري » ؟ يا هذا ، تعلم :
« لأأدري » ، فإنَّكَ إذا قلتَ : « لأأدري » علموك حتى
تدري وإذا قلتَ : « أدري » سألوكَ حتى لاتدري .
وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة ملساء ، فقال :
مَنْ يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد ؟ فعجبَ الناسُ
وأعطوه ، فأحرزَه ، ثم قال : هاتوا سلماً . قالوا :
ما كان السلم في الشرط . قال : وكانَ بلا سلم في الشرط ؟ .
ووقف بُهلُول على رَجُل ، وقال : خبرني عن
قول الشاعر :

* وإذا نَبَا بكَ منزلٌ فتحولَ *

كيفَ هو عندك ؟ قال : جيدٌ . قال : فإن كنت
في الحبس فكيف تتحول ؟ . قال : فانقطع الرجلُ ،
فقال بهلول : الصوابُ قولُ غيره :

إذا كُنْتَ في دارٍ يسوءُكَ أهلُها

ولم تَكُ مَكْبُولا بها فتحولَ

أصيب إسحاقُ بنُ محمدٍ بنِ الصَّحاح الكندي بابنِ

له ، فجزع ، فدخل أهل الكوفة يعزونه ، ودخل فيهم
بُهلول ، فقال : أيسرُّكَ أنه بقي وأنه مثلي ؟ . قال :
لا والله ، وإنها تعزية ! .

هرب مجنون من الصبيان ، ودخل دهليزا ، وأغلق
الباب في وجوههم وجلس ، فخرج إليه صاحب الدار ،
فقال : لِمَ دخلتَ دَارِي ؟ . قال : من أيدي هؤلاء
أولاد الزنّسى . فدخل صاحب الدار ، وأخرج طبقاً عليه
رُطبٌ كثيرٌ ، فجلس المجنون يأكل ، والصبيان يصيحون
على الباب ، فأخرج المجنون رأسه إلى صاحب الدار ،
فقال : بابٌ بسَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
العَذَابُ .

قيل لمجنون كان بالبصرة : عُدّ لنا مجانيّن البصرة .
قال : كلفتموني سُطْطاً ، أنا على عَدِّ عقلائهم أقدر .
قال الفزاري : رأيتُ مجنوناً يُسوِّي رأسَ سكران ،
ويقول له : يؤيِّؤ (١) ، والله لا أفلحت أبداً .

شدّ مجنونٌ على رجل بالبصرة ، فأخذه الرجل

(١) الويؤ : طائر صغير أصفر اللون يضرب إلى الزرقه .

ففضربه . فقال الناس : إنه مجنون ، وجعل المجنون يقول
مِنْ تَحْتِهِ : ويحكم أفهموه .

وجاز بهلول بسوق البرّازين ، فرأى قوماً مُستجِيعين
على باب دُكَّانٍ ينظرونَ إلى نَقَبٍ قد نُقِبَ على بعضهم ،
فاطَّلَعَ في النَقَبِ ، ثم قال : وكلّكم لا تعلمون ذَا مِنْ
عَمَلٍ مِّنْ ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعلم . فقال الناس :
هذا مجنونٌ يراهم بالليل ولا يتحاشونَه ، فأنعمُوا له
القول لعله يخبرُ بذلك . فسألوه أن يخبرهم . فقال : إني
جائع ، فهااتوا أربعةَ أرطال رقاقٍ ورأسين ، فأحضروا
ذلكَ وأَكَل ، فلما استوفى قال : هوذا أَشْتَهِي شيئاً حُلوا ،
فأحضروا له رطلين فالوذجَ فأكله . وفرغ منه وقام
وتأمَّلَ النقب ، ثم قال : كأنكم الساعةَ لستم تعلمون هذا
مِنْ عَمَلٍ مِّنْ ؟ قالوا : لا . قال : هذا من عمل اللصوص
لاشكَّ . وعدّا .

جاءت امرأةٌ دَنَدَنَ المجنونِ إلى القاضي ؛ فقالت .
أصابحك الله ، إنه يَجِيعُنِي ويضربُنِي ! قال القاضي .

ما تقول ؟ . قال دندان : أما الضربُ فنعم ، وأما
الجوعُ فهي طائقٌ ثلاثاً إن لم تعجء معي إلى منزلي
مع أصحابك أيها القاضي . فقال لأصحابه : قوموا بنا
لا يَحْنُثْ . فقام القاضي ، وذهب معه ، فلما دخل جاء
به إلى مَزْبَلَةٍ فيها رَجِيعٌ (١) عظيم ، فقال : أصلحك
الله . هذا يخرجُ مِن بطن جائعٍ ٢ . قال : أنزلك الله ،
فلأنك أحمق . قال : أحمقُ مني أطاع المجانين .

كان بُهلول يوماً جالساً والصبيان يؤذونه وهو
يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله . يُعيدهُ مِرَاراً ، فلما
طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال : حمي الوطيسُ .
وطابتِ الحربُ ، وأنا على بيئتي من ربِّي . ثم حمل
عليهم وهو يقول :

أشدَّ على الكتيبةِ لا أبالي
أفيها كان حَتْفِي أم سِوَاهَا (٢) .

(١) الرجيع : الروث .

(٢) البيت للعباس بن مرداس .

فتساقط الصبيانُ بعضهم على بعض ، وتهاربُوا ،
 فقال : هُزِمَ القوم وولَّوْا الدبر . أمرنا أمير المؤمنين —
 رضي الله عنه — ألاَّ نتبعَ مُوَلِّيَّاً ، ولا نُدَقِّقَ (١) على
 جريح ، تم رجوع وجلس وطرح عَصَاه ، وقال :

فألْقَتْ عَصَاهَا واستقرَّ بِهَا النَّوَى
 كما قرَّعِينَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ (٢)

* * *

(١) دَفَفَ على الجريح : أحجز عليه .
 (٢) ألْقَ المسافر عصاه : بلع موضعه واستقر به

الباب الحادي عشر

سواد البخلاء

قال بعضهم لبخيل . لم لا تدعوني يوماً ؟ . قال .
لأنك جيّد المَضْعَر ، سريع البَلْع ، إذا أكلت لُقْمَةً
هَبَّاتُ أُخْرَى . قال : فتريدُ مني إذا أكلتُ لُقْمَةً أن
أصِلِّي رَكَعَتَيْن ، ثم أعودُ إلى الثانية ؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضهم وهو يأكل ، ومعه آخر ،
فقال للدّاخِل : تعالَ كُلْ . قال : قد تَغَدَّيْتُ .
فقال : هذا أيضاً رعم أنه تَغَدَّي .

ودخل آخرٌ على بعضهم وبين يديه طبقٌ عليه تين ،
فلما أحسَّ بالدّاخِل غَطَّى الطَّبَّق بِذَيْلِهِ ، وأدخَلَ
رأسه في جيبه ، وقال للدّاخِل : كُنْ أَنْتَ في الحَجَرَةِ
الأُخْرَى حتّى أفرِّغَ من بُخُورِي

أكل ابن المدثر يوماً عند ابن الفياض (١) ، فقدّمت
جُوداً (٢) في نهاية الجوده ، وأمن ابن المدثر فيها .
فلم يصبر ابن الفياض حتى قال له : اليس رعمت
أنك لست صاحب جُوداب .

وقال بعض المبخّلين لرجلٍ على مائدته : اكسير
ذلك الرغيّف . فقال : دعه يُبْتَلى به عيري .

دعا بخيلٍ قوماً ، واتّخذ لهم طعاماً . فلما جلسوا
يأكلون وهو قائم يخدمهم ، وأمعنوا في الأكل جعل
صاحب البيت يتلّو فيما بينه وبين نفسه . (وَجَزَاهُمْ
لما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيْرًا) (٣)

وكان جعفر بن ساسان يحيل على الطعام ، فرُفِعَت
المائدة من بين يديه وعليها دحاجة ، فوثب عليها بعض
بنيه وأكل منها ، وأعيدت عليه من غدٍ ، فلما رآها
وقد أكل منها شيء . قال : من هذا الذي تعاطى فعقر (٤)

(١) علي بن محمد الفياض ، كاتب

(٢) الجوداب : طعام يتخذ من اللحم والزر والسكر والبدق .

(٣) سورة الإنسان ١٢٠

(٤) إشارة إلى الآية : (فادوا أصحابهم فتعاطى فمقر) سورة القمر . ٢٩ .

قالوا : ابنك فلان . فقطع أرزاقَ بنيه كلَّهم ، فلما طال عليهم قال بعضُ بنيه : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا (١) ، فأمر بردّ نصفِ أرزاقهم .

وقف واحدٌ على الخطيئة استقرّ به (٢) فسمعه . فقال : إنَّ الرَّمضاء قد أحرقت قدمي . قال . بلْ عليهما تبردا قال : وما عندك عرُّ هذا ؟ قال : بلى ، هراوةٌ من أرزن (٣) معجّرة . قال : إي ضيف . قال : للضيفان أعددتُها .

قال أبو الأسود الدؤلي - وكان بعيلاً - : أو أطعنا المساكين في أموالنا كنّا أسوأ حالاً منهم .

قال الجاحظ : حدثني بعضُ أصحابنا قال : كما منطلقين إلى رجلٍ من كبارِ أهلِ العسكر . وقد كان لستنا عنده بطولٍ ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعل

(١) إشارة إلى الآية : (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) سورة

الأعراف : ١٥٥ .

(٢) يستقرّ به . يطلب منه القرى ، وهو طعام الضيف .

(٣) الأرزن : شجر صلب والحشبة العجاء التي بها عقد .

أنا أماره إذا طَهَرْتُ خَفَعْنَا ، ولم تُنْعِمِكَ بالثُّغُود .
 وقد قال أصحابُ معاويةَ مثلَ الذي قلنا لك ؛ فقال :
 أماره ذلك إذا قلتُ : إذا شئتم . وقال أصحابُ يزيدَ
 مثلَ ذلك . فقال : إذا قلتُ : على بركةِ الله ، وقيل
 لعبدِ الملك ؛ فقال : إذا أَلْقَيْتُ الْحَبِيْرُادَةَ من يدي ،
 فأَيُّ شَيْءٍ تَجْعَلُ أنا أَصْلَحَكَ اللهُ ؟ فقال : إذا قلتُ :
 يا غلام ، الغداء .

قال جُحْظَةُ (١) : دخلتُ وأنا في بقايا عِلَّةٍ
 على كاتب ، فقدم إلينا مَضِيْرَةٌ ، فأَمَعْتُ فيها ، فقال :
 جُعِلْتُ فداكَ ، أنتَ عليلٌ ، وبدنُكَ نحيلٌ ، واللبنُ
 يستحيلُ ، فقالت : والعظيمُ الجليلُ لا تركتُ منها كثيراً
 ولا قليلاً ، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيلُ .

حُمَيْنَ عُمَرُ بنُ يزيدَ الأسدي (٢) بحُقْنَةٍ فيها
 دُهْنٌ ؛ فلما حَرَّكَهُ بطنُهُ كرهَ أن يذهبَ الدهنُ

(١) حُظْظَةُ . هو أحمد بن حمير بن موسى البرمكي ، لقب بحُظْظَةُ
 لِحُطُوطِ عَيْنِهِ ، أديبٌ ، وشاعرٌ ، وديمٌ ، ولد سنة ٨٢٢٤ ، وتوفي
 سنة ٨٣٢٤ .

(٢) هو عمر بن بريد الأسدي ، أحدُ الشَّعْبانِ المُقَدِّمِينَ في حُكْمِ بَنِي
 مروان .

صباحاً ، فدعا بطست وجلس عليه . ثم قال : صفوا
هذا الدهن فإنه يصلح للسراج .

وأوصى بعضهم ابنه : فقال : كن مع الناس
كلاعيب الشطرنج يحفظ شئته .

كان بالكوفة رجل من المصلحين — وهذا لقب
المقدمين منهم في اللوم — فبلغه أن بالبصرة رجلاً من
المصلحين مقدماً في شأنه ، فقام الكوفي ، وصار إلى
البصرة ليلقي صاحبه . فلما قدم عليه قال له : من
أنت ؟ . قال : أنا مصلح من أهل الكوفة ، وقد بلغني
خبرك ، فرحبت به ، وأدخله البيت وأجلسه ، وأخذ
قطعةً ومرّ ليشتري له شيئاً يأكله ، فلما خرج إلى السوق
دنا من البقال ، فقال : عندك خبز ؟ فقال : عندي خبز
كأنه السمن فقال المصلح في نفسه : ليم لا أشتري
ما نعت به ؟ فذهب إلى آخر ، وقال : أعندك سمن ؟
فقال : عندي سمن كأنه الرّيت فقال في نفسه : أذهب
فأخذ ما نعت به ، فذهب إلى بقال آخر ، فقال : عندك
زيت ؟ قال : عندي زيت كأنه الماء . فقال في نفسه :
عندي واللّه راوية ماء . فرجع إلى البيت ، وأخذ الماء

في غَضَارَةِ (١) وفدّمه إلى الكوفيّ وقال : كُلْ هذا ،
فإنّه نَعْتُ النّعتِ ، فقال الكوفي : أنا أشهدُ أنكم أحقُّ
بالإصلاح منّا بِألفِ درّجة .

قال بعضهم : بَيْتٌ عند رجلٍ من أهل الكوفة .
وهو من المؤسّرين المعروفين بحُسْنِ الحال ، وله
صبيانٌ نيامٌ بحَثِ أراهم ، فرأيتُهُ في الليلِ يقومُ فيقلبُهم
من جنبٍ إلى جنب ؛ فلما أصبحنا قلتُ له : رأيتك
يا أبا جعفر البارحة تفعلُ كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : نعم ،
هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامونَ على اليسار ، فيمريهم
الطعام فيصبحون جِيعاً ، فأنا أقلبُهم من اليسار إلى
اليمين ؛ لنلا ينهَضِمْ ما أكلوه سريعاً .

قال بعضهم : دخلتُ الكوفةَ فسمعتُ امرأةً تقول :
يا أبا جعفر الدّقاق ، حَسْبُكَ الله (٢) — وقد اجتمعَ
الناسُ عليهما — فقال الدّقاق : مالك ؟ قالت : أعطيتني
كَيْلَجَةً (٣) دقيقٍ ما جاء منها إلا ثمانون رغيفاً . قال :

(١) غصارة : إناء كالقلة .

(٢) حسيبك الله : انتقم الله منك .

(٣) الكيلجة والكيلقة : شيء يكال به .

يا مُسْرِفَةً ؛ إذا كنتِ تخبزين رُغفاناً مثل الأَرَحِبَةِ
فأيُّ ذنب لي ؟ .

قال آخرُ : رأيتُ بالكوفة صبيّاً ومعه قُرْصَةٌ (١) ،
وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شَقٍّ في بعض
الحيطان يخرج منه دُخَانٌ . ويأكلها . قال : فبقيتُ
أَتَعَجَّبُ منه ، إذْ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَرِهِ ؛
فقال الصبي : هؤلاء قد طبخُوا سَكْبَاجَةً (٢) حَامِضَةً
كثيرةَ التوابل ؛ فأنا أَتَأَدَّمُ برائحتها . قال : فصفِّعَهُ
أبوه صفِّعةً صُلْبَةً كادَ يقطعُ بها رأسَهُ وقال : تريدُ
تُعَوِّدَ نفسكَ من اليومَ ألاَّ تأكلَ خبزاً إلاَّ بِأَدَمَ .

نزل بكوفيٌّ ضَيْفٌ ، فقال الحارِيتُ : يا جارية .
أصلعني لضيفنا فالوذَجَا . قالت الحارِيةُ : ايس عندنا
شيء . قال : ويليكَ ! فهاتِي قطيعةَ إبريسم (٣) حتى يام .

(٣) القرصة . الحبة من اللعالم ، وثلاثها القرص .

(٤) السكباجة : طعام يصنع من لحم ونخل وبصل وكراث وعسل
مع الأفلاويه .

(١) الإبريسم . الحرير

قال الضيفُ : يا سيدي . فليس بين الفالودَجِ والقטיפَةِ
رغيفٌ وقليلٌ جبنٌ ؟ .

وقال آخر : رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جاراً له ويقائلُهُ ،
فقلت : ما قصَّتكما ؟ . فقال أحدهما : زارني زائرٌ ،
فتشهَّيَ عليَّ رؤوساً ، فأطعمتهُ ، وأخذتُ العظامَ ؛
فرميتُ بها على باب دَارِي أَتَجَمَّلُ بها ، وأَكْبِتُ
العدوَّ ، فجاء هذا . وأخذَهَا من باب داري ، وجعلها
على باب دارِهِ .

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدةٌ عجوزٌ ، فقيل
لها : كم يُجْري عليك ابنُك ؟ . قالت : درهماً في
كل أضحى . قيل : يا سبحانَ الله ! درهمٌ في كل
أضحى ! . قالت : نعم ، وربما أَدْخَلَ الأضحى في
الأضحى .

وكان بعضهم يأكلُ ومعه على المائدة ابنُهُ وروجهُ .
فقال : لعنَ الله الزَّحمةَ . فقال له ابنُهُ : يا أبهُ ،
تعنيني ؟ فليس ها هنا عَيْرِي وغيرُ أُمِّي ، قال : فتَرَى
أعْنِي نفسي ؟ .

خرج نفرٌ من أهل مَرَوْ في سَفَرٍ ، وصبروا على تَرْكِ
السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أَبْلَغَ ذلك
إليهم ، فاتفقوا على أن يُخْرِجَ كُلُّ واحدٍ منهم شيئاً
للسراج ، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعْطِيَ شيئاً ؛
فكانوا إذا أَسْرَجُوا شَدُّوا عَيْنِيهِ بِمَنْدِيلٍ إلى وَقْتِ النَوْمِ
وَرَفَعَ السراج .

قال المنصورُ للوضيْنِ بنِ عَطَاءٍ (١) : ما عِيَالُكَ ؟ .
قال : ثلاثُ بناتٍ والمرأةُ . قال ؛ أربعٌ في بيتك . قال :
فردَّدَ ذلكَ حتى ظننتُ أنه سَيَصِلُنِي . قال : ثم رفعَ
رَأْسَهُ ؛ فقال : أنتِ أَيْسَرُ العربِ ، أربعةُ مغازلٍ تدور
في بَيْتِكَ .

وسَقَى لِنَاسٍ "بُخِيلٌ" ضَمِيفاً له نَبِيلاً عَتِيقاً على الرِّيقِ .
فتَأَوَّهَ الرجلُ ؛ فقليلٌ له : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ فقال : لِيَنْ
سَكْتُ مَتٌ ، وإن تَكَلَّمْتُ مَاتَ رَبُّ الْبَيْتِ .
وكان بعضُ الْبُخْلَاءِ يَأْكُلُ نَصِيفَ اللَّيْلِ ، فقليلٌ له

(١) الوضين بن عطاء الشامي : محدث ثقة ، كان من الخطباء البلغاء ،

مات سنة ١٤٩ هـ

في ذلك ، فقال : يبردُ الماء وينقمعُ الدُّباب ، وآمن فجأة
الدَّاحِل ، وصَرَخَتِ السَّائِلُ . وصباحَ الصَّبِيان .

قال الواقدي : خرجتُ أنا وابنُ أبي الزناد (١) إلى
بعض المواضع بالمدينة ، ورجعنا نصفَ النهار في يومٍ
صائفٍ ؛ فقال : ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ ! فإذا
نحنُ بسعيد مولى ابن أبي الزناد ؛ فعلت له : ابعت لنا
شربة ماء ؛ فقال : نعم وكرامة ، اجلس . وبادر
مستعجلاً ، فدخل الدار ومكث طويلاً ، ثم خرج إلينا ؛
فقال : تعودون العشيَدَ إن شاء الله .

قال العتيبي : لو بُدِّلَتِ الحَنَّةُ للأَصمعي بدرهمٍ
لاستفص سناً .

سأل مُكفِّفُ الأَصمعي ؛ فقال : لا أرتضي لك
ما يحضرني ؛ فقال السائلُ : أنا أَرْضِي بِهِ ، فقال
الأَصمعي : هو ، سُورِكَ فَاك .

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد . من العلماء الأجلة ، ولد سنة
٨١٠٠ ، وتوفي سنة ٨١٧٤ .

أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم ندم ، فقال له : لا تنفق
هذا المال واحتفظ به ، وجعل يكرر عليه ذلك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم
القيامة فضحك وخلّاه .

كان رجلٌ على طعام بعض البخلاء ؛ فأخذ عُرَاقاً (١)
فلم يجد عليه لَحْماً ، فوضعه لئلاَّ يأخذ غيره ، فقال صاحبُ
البيت : العيب بِمَسَّكَ (٢) .

قال بعضهم : فلان عينُه دُولَابٌ لَقَمِ أضيافه .
قال بعضهم لعلامة : هاتِ الطعامَ وأغلقِ البابَ . فقال
العلام : هذا خطأ . أغلقِ البابَ ، ثم أقدمِ الطعامَ ،
فقال : أحسنت أنتِ حُرٌّ

* * *

(١) العراق العظم .

(٢) أى لم تحد الا بتقاء فلا تأخذ غيرها .

الباب الثاني عشر

كلام شطار^(١)

ومن يجيب بحراهر ، وسواهم .

حكى بعضهم أن شاطراً افتخر . قال : فحفظتُ
من كلامه :

أنا الموجُ الكَدِيرُ ، أنا القُفْلُ العَسِيرُ ، هذا وجهي
إلى الآخرة . تَأْمُرُ بشيءٍ ؟ لك حاجة إلى مالكٍ نخازنِ
النارِ . أنا النَّارُ ، أنا العارُ ، أنا الرَّحَا(٢) إذا دار ،
أنا مشيتُ سُبُوعِينَ (٣) بلا رَأْسٍ ، لولا أُنِّي عليلٌ
لنَسخَرْتُ نَحْرَهُ نصفُها صاعقة ونصفُها زلزلة . أَضَعَلْتُ

(١) الشاطر من أعيأ أهله خشياً .

(٢) الرحا مؤنث ، هكذا كتبها المؤلف ، مراعبا السجع ،

متحاوراً في الباب الثقيد نالقصيحى أحياناً

(٣) أسبوعين كتبها المؤلف بلهجة الشطار .

في حبي ، وأنسالك حتى يسمن الساعه . أفطفتُ ، أنسأك
 وأنجعلهُ زراً فمبهي . أو أنستشرك فتلا أعزلسأك إلا في
 الجحيم ، أو أثيرك فلا أنسوك إلا على الصراط إذا
 صاح آدم . واهمموداه . والماء (١) لو كاستحني القيل
 لم يخرس . أو المجرم لم يمس . أو عشتي الأسد لم يضرس ،
 أورآبي عمروذ (٢) لم يتمدس . أصدفائي أكثر من خوص
 البصره ، وخردل مصر ، وعادس الشام . وحصى
 الجزيرة . وشوك القاطول (٣) . وحينئذ الموصل وهصب
 السطائح (٤) . وذي الآوار . وروبو فاسطين

كان يرو رجل بفتشني وينسطنو . ولم يكن له يوم
 من أيام المعتان قط ولا هـ كنة من فتكنايسهم . إلى آل

(١) لعل أصلها . وآلك أووناك ، وهي من كلام الشطار .

(٢) ممرود - بالذال أو الدال - ملك جبار

(٣) القاطول - اسم نهر كان في موضع سامرا ، كأنه مقطوع

من دسله

(٤) البطائح . هي بطائح واسط أرض من واسط والبصره ،

كانت قديماً مدناً مسكاً ، ثم علا الماء فعدوها ، بعد انحساره ثبت بها
 مرن أكثر رديها

ووقع بنسبه وبين رجل فصّار فيمعبف سر . ونصير به ضرباً
وجعاً وأذلّه فكان يمسح ببلّاك ويسطاول عند الغتيان به ،
فتأذّى حبراً . ا احد فصّاب حياء . ففجاءوه وقالوا :
هلا فداؤنا . فكففت منّا سرّه وتدلّته . ويكففتنا .
وال : لا أدري من هلا . ولكن إن سستنا ضربت
لكم الفصّار وأنزلت كلّ مكروه به .

وقع بين ماطر وسبّاه له كلام ، فقال أحدهما
للآخر . لولا أنك أكثر سبّاً مني لحرّحتك . ثم مضى
غدير بعد ، فوقع دمه وبين آخر فقال : والله لولا أنك
أصغر مني لسانك . فقال له رميمه : يا من الزافه .
مى بنق لك ذم أم نساته .

قال بعضهم رأيت ساطراً يمشى بالقمّس (١) ،
وهو ينظر إلى الأرض . فلما راج الصرب منه قال له
الوالي . ارفع رأسك فقال : يا سبّاه . بسى رأسها .
قال . وما معنى بسى رأسها . قال الجلاء : كنت

(١) القلب . ميل مبطون حال السفن ، أه . حلل سحيم من اللب .

أَصْرَاهُ . مَهْرٌ مَسْمُورٌ بِرِجَاهِ فِي الْأَرْضِ بِطَّةٌ وَقَدْ بَنِي
رَأْسَهَا .

هال إسحاق بن إبراهيم الموصلي . دخلتُ على
عَمَلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِشَرِبُونِ ، وَإِذَا هُمْ مُتَكِنُونَ عَلَى
كَلْبٍ كَرْدِيَّةٍ . فَعَالَ بَعْضُهُمْ . هَاتُوا وَسَادَةَ لَأَبِي مُحَمَّدٍ ،
فَحَابُوا بِحَلَبٍ . فَمَا اتَّكَأَتْ عَلَيْهِ قَالُوا : هَاتُوا لَهُ أَيْضاً
مَخْنَأَهُ . فَعَجَّأُوا حَرُّو ، فَمَا تَنَاولُوا الْأَقْدَاحَ جَاءَ
تِلْكَمُ وَفِي يَدِهِ فَلَدَّاحَهُ فَعَدَّخَ فِي لَحْيِهِ مِنْ يَحْبَسُ الْقَدَحَ .

هال حارث بن راحبه . فَعَجَّأَ قَوْمٌ إِلَى الْمَعْزُولِ
رَبِّهِمْ . فَعَالَ بَعْضُهُمْ . أَوْ كَانَ عَرِيباً عَذْرَوَاهُ ،
فَإِذَا الْعَجَّاجُ أَنَّهُ أَخْبَهُكَ . فَمَا اعْذَرُوهُ فَإِنَّ الْمَلِكَ
يَعْلَمُ . وَرَأَيْتُ عَمَلَهُمْ

هال كان ساجسان بن طراد سهم ، وكان لا يقعد
في دهايرده . ولا يسرب من جناحه . بل يصير في قَصْرِ
من قصر الأشتات (١) . ولا يطلع في كوةٍ ، ويأمر

(١) الأشتات : بلاد على شاطئ دجلة . رواية الخليلج الذي يدخل البصرة ،
من أقدم بلادها .

بذلك أصدفاه وأصحابه . ويقول : إنَّ تَعَوَّدْتُم النظر
إلى الماء والخروج إلى المتنزّهات جزعتم من الحبس ، لم تدفعوا
ضيماً ، ولم تكسبوا مالاً .

كان يقول : لا يُعجبني الفتيّ يكونُ تلخاذاً . وكان
صاحبَ إيطراقٍ .

كان يقولُ : إياكم وفضولَ النظرِ ، يدعو إلى
فضولِ القول والعمل .

ومنهم بابويه ، وكان شيخاً كبيراً ذا رأي ونجدة ،
وصديق وأمانة وهمّة بعيدة ، وأنفةٍ شديدة وكان
محبوساً بعاثة دماء فلاناً نَسَبَ حميرُ بنُ مالك السجني وقام
على باب النقب يُشرب الناس ويحميهم ؛ ليستمَّ الكرامة ،
وجاء رسوله إلى بابويه ، فقال : أبو نعامة ينتظرك .
وليس له همٌّ سِوَاكَ ، وما برَدْتُ مِسْماراً ، ولا فككت
حلقَةً ، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج
الناسُ حتى الصبغاء ؛ فقال بابويه . لبس، متلي يخرجُ

في الغمار . وتَدَفَّعُ عنه الرجالُ . لم أَشاور ولم أَؤامر (١) .
ثم يقال لي الآن : كن كالظَّعِينَة (٢) . والآمة ، والشيخ
الفاني . والله لا أَكون في الجنة تابعاً ذليلاً .

فلم يبرح . وخرج سائرُ الناس — وإجرامه وحده
كإجرام الجميع — فإِذَا جاءَ الأَمِيرُ ودخلَ السجنَ فلم
يرَ فيه غَيْرَه قال للحرس : ما بالُ هذا ؟ . فقصُّوا عليه
القِصَّةَ ؛ فضحك وقال له : خُذْ أَيَّ طريقٍ شِئْتَ ؛
فقال بابويه : هذا عاقبةُ الصَّبْرِ .

* * *

(١) دؤامر . يشاور

(٢) والظَّعِينَة . الزَّوْجَة .

الباب الثالث عشر

العي ومكائبات الحمقى

كتب بعض الرؤساء إلى وكيل له في ضيعة : وقد
وصلت النعاج، هي : تسع نعاج . وتسع نعاج نصفها
أربع ونصف نعاج .

قال بعضهم : ما من شر من دين ؛ فقبل له : ولم
ذاك ؟ . قال : من جرأ يتعلمون .

قال قاسم التمار في كلام له . بينهما كما بين
السماء إلى قريب من الأرض .

وقال أيضاً : لو رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت
عنه الأيدي أول من أمس .

(١) أبقى المؤلف في هذا الباب على كلام الحمقى وذوي العي على
الرغم من مخالفة بعضه لقواعد اللغة ، لأنه أراد أن يقدمه كما نطقوه .

قال أبو هفّان : رأيت شيخاً بالكوفة قاعداً على باب دارٍ ، واه زيّ وهيئة وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ . ما هذا الصراخ ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ المبضع شادراً وانه فمات . يريد : بلغ المبضع شريانه .

وصف بعضهم امرأةً ؛ فقال : عينها الأخرى أكبر من عينها الأخرى .

كتب بعضٌ من وَزَرَ بالريّ أنفاً كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد — وكان قد حجّ أبوه — : هذا الكتابُ يوصله فلانٌ ابن فلان ، وهو والدي ، وقديمُ الصحة لي ، واجبُ الحق على ، ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد ، على أن يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر ، فقال لها : إني قد رأيتُ متاعك . فقالت هاشميةُ : قُلْ طعامك . قال : وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد خُمَّ وحَمِيَ (١) . وقد صار مثل

(١) خُم : أتنن .

الجيفة . قالت : يا أبا طالب . أليس قد قلبت الشعير .
فأعطينا ما شئت ، وإن وجدته فاسداً .

ودخل أبو طالب هذا على المأمون ، فقال : كان
أبوك يا أبا خيراً لنا منك ، وأنت يا أبا ليس تعدنا . وليس
تبعث إلينا . ونحن يا أبا تجمارك وجيرانك . والمأمون في
كل ذلك يتبسّم .

وكان ابن سعيد الجوهري يقول : صلى الله
تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان بالري ورّاق حسن الخط ، وكان إذا كتب
اسم الله تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتب بعده ،
ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ، فكان يكتب في
القرآن : « إن الله عز وجل — يأمر بالعدل والإحسان » (١)
« وما محمد — صلى الله عليه وسلم — إلا رسول »
قد خلت من قبله الرسل » (٢) . وكان يكتب في الشعر :

(١) زائد في الآية . « عز وجل » والآية في سورة النحل : ٩٠ .

(٢) زائد في الآية صلى الله عليه وسلم ، والآية في سورة آل

عمران . ١٤٤ .

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرُ نَقْلٍ
وبإذن الله - تبارك وتعالى - ربِّي وعجل (١)

ويكتب:

هجوت محمدًا - صلى الله عليه وسلم - فأجبت عنه
وعيند الله - تعالى - في ذلك الجزاء (٢)

وقال الجاحظ قلتُ لنفيس غلامي : بعثتك إلى
السوق في حاجة فلم تقضها ؛ فقال : يا مولاي ، أنا
ناقه من مرضي ، وليس في ركبتي دماغ .

وقال الجاحظ : قال الحجاج لأبي الجهم الخراساني
النخاس : أتبيع الدوابَّ المعيبة من جُنْدِ السلطان ؟ فقال :
شريكائنا في هوازها وشريكائنا في مدائننا ، وكما يعجبني
يكون . قال الحجاج : ما تقول ؟ . قال بعض من كان
قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية : يقول : شركاؤنا

(١) زاد في الشطر الأول : « عز وجل » . وفي الثاني « تبارك
وتعالى » والبيت للبيد .

(٢) زاد في البيت : صلى الله عليه وسلم « في الشطر الأول و » تعالى «
في الثاني ، والبيت لحسان يرد به على أبي سفيان .

بالأهواز وبالمداين يبعثون إلينا هذه الدّوابّ ؛ فنحن
نبيعُها على وجوهها .

قال ابن أبي فنن(١) : طلبتُ من عبد الله بن أحمد بن
الخصيب بخوراً ، فكتب إليه : فدتك نفسي من سوء
برحمته ، كتابي إليك وأنا وحدي ، والحواري عندي ؛
فأمّا البخور فإنّ أبا العباس في الحَمَام إن شاء الله .

وكتب بعضُ الشيوخ الفضلاء إلى شيخ مسن العدول
بالري نفقت بغلته : نُبِّئتُ أنّ الشيخَ قد مات بغلته ،
هيهات هيهات .

٢٤ ٢٥ ٢٦

(١) أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ، شاعر مملوك من شعراء العصر
العباسي .

٢٢٥ من نثر الدر - السفر الثاني - ١٥٣

الباب الأول

كلام للنساء الشرائف

فاطمة اسنر رسول الله عليها السلام

قالوا : لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماعُ أبي بكر منعها فداً (١) لاثت (٢) خمارها على رأسها ، واشتملت بجلابها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ديوولها ، ما تخرم (٣) ميسيتها ميسية رسول الله صلى الله عليه ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملأة ، ثم أنت أنه أجهد لها القوم

-
- (١) فداً : قرية بينها وبين المدينة يومان ، أفادها الله على رسوله ، ذكرت فاطمة أن الرسول تصدق عليها بها . ولم تستطع الإتيان بشاهدين على ذلك ، فحرمها أبو بكر منها
- (٢) لاثت الخمار ثلوثه : أدارته .
- (٢) ما تخرم ميسيتها . ما تنقص عنها .

بالبكاء . وارتجَّ المجلسَ ثم أَمَهَلَتْ هُنَيْةً (١) حتَّى
إذا سكنَ نشيجُ القومِ ، وهدأتْ هورتُهُم افتتَحَتْ
كلامتها بحمدِ الله والثناءِ عابه والصلاةِ على رسوله صلى
الله عليه . ثم قالت :

« ائْتَدُ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ » (٢) . فانْ تَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ آبَائِكُمْ ،
وَأَخَا ابْنَ عَمِّي (٣) دُونَ رَجَالِكُمْ ، فَبَلِّغِ الرِّسَالَةَ
صَادِعاً بِالنَّدَارَةِ ، بِالْغَا بِالرِّسَالَةِ ، مَائِلاً عَنْ سَنَنِ الْمُشْرِكِينَ
ضَارِباً لِشَجِيهِم (٤) ، يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، آخِذاً بِأَكْطَامِ (٥) الْمُشْرِكِينَ ، يُهَشِّمُ
الْأَصْنَامَ وَيَفْلُقُ الْهَامَ ؛ حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدُّبُرَ ،
حَتَّى تَقْرَى (٦) اللَّيْلُ عَنْ صَبْحِهِ ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ

(١) هنة : بمعنى هنية ، تصغير هنة ، وهي القياس في التصغير .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى مؤاخاة رسول الله لملي

(٤) اللجج : الوسط

(٥) الأكطام : سبع كظم وهو محرر النفس .

(٦) تقرئ ، تشقق .

مَحْضِهِ (١) ، ونطقَ زعيمُ الدين ، وخرستَ شَقَاشِقُ (٢)
 الشيطان ، وتَمَّتْ كلمةُ الإخلاص ، « وَكُنْتُمْ عَلَيَّ
 شَقَمًا حُمْقَرَةً مِنَ النَّارِ (٣) » . نُهْزَةُ (٤) الطامع ،
 وَمَذْفَقَةُ الشَّارِبِ (٥) ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ، وَمُوْطِيءُ
 الْأَقْدَامِ ، تَشْرِبُونَ الطَّرِيقَ (٦) ، وَتَقْتَاتُونَ الْقَيْدَ ،
 أَذْلَةٌ خَاسِتِينَ ، يَخْطِفُكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، حَتَّى
 أَنْقَذَكُمْ اللَّهُ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ ،
 وَبَعْدَ أَنْ مُسِّيَ بِهِمْ الرِّجَالُ (٧) وَذُؤْبَانُ الْعَرَبِ ،
 وَمَرْدَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ « كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا يُلْحَرَبُ
 أَطْفَافُهَا اللَّهُ » (٨) . أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ ، أَوْ فَعَرَتْ



- (١) المحض الخالص .
 (٢) والشقاشق القول فيه كذب .
 (٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .
 (٤) نهزة الطامع : اسم للشئ المرص لك كالغنيمة .
 (٥) المذقة : الشربة من اللبن المخلوط بالماء .
 (٦) الطرق : ماء السماء الذي تبول فيه الإبل . والقذ : السير يقذف
 الجلد . والقديد : اللحم المجفف .
 (٧) بهم الرجال : شجعانهم
 (٨) سورة المائدة ٦٤

فَاغِيرَةً لِّلْمُشْرِكِينَ ، قَدَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا ، فَلَا
يَنْكُفِي حَتَّى يَطْلَأَ صِمَاخَتَهَا (١) بِأَحْمَصِهِ ، وَيُطْفِئُ
عَادِيَةً لِّهَبِّهَا بِسَيْفِهِ . أَوْ قَاتَ وَيُخَمِّدُ لَهَبَهَا بِحَدِّهِ
مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ . وَأَنْتُمْ فِي رَهَابِهِ فَتَكِيهُونَ آمَنُونَ
وَادْعُونَ .

حتى إذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه داراً أنبيائه
ظهرت حسكة (٢) النفاق ، وسمل (٣) جلياب الدين ،
ونطق كاظم (٤) الغاوين ، ونبغ خامل الأفتان ،
وهدر فنيق (٥) المبطلين ، فخطر في عرصاتهم ،
وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم
الدعوتة مستجيبين وللعزة ملاحظين ؛ ثم استنهضكم
فوجدكم خيفاً وأحششكم (٦) فألفاكم غضاباً ؛

(١) الصماخ . فتحة الأذن الباطنة وفي القول استعارة .

(٢) الحسكة : الشوكة .

(٣) سمل الجلياب . بلى ورب .

(٤) الكاظم : المبطن للحقد .

(٥) الفنيق . الجمل الفعل .

(٦) أحششكم : جعلكم تغضبون ، ومن معانيها : ساقكم بغضب .

فَوَسَّمْتُمْ غَيْرَ إِبْلَاحِكُمْ ، وَأُورِدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ ، هَذَا
وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْكَلِمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمَلُ .
أَبَإِذَا زَعَمْتُمْ : خَوْفَ الْفِتْنَةِ ؟ « أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (١) » ، فَهِيَ هَاتَ فِيكُمْ ،
وَأَنْتَى بِكُمْ ، وَأَنْتَى تُؤْفِكُونَ ، وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ،
زَوَاجِرُهُ بَيِّنَةٌ ، وَشَوَاهِدُهُ لَائِحَةٌ ، وَأُأَمَرُهُ وَاضِحَةٌ ،
أَرْغَبَةٌ عَنْهُ تُرِيدُونَ ؟ أَمْ بَغِيرَهُ تَحْكُمُونَ ؟ « بَشْشَ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » (٢) « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣)
ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفَرَتُهَا تَشْرَبُونَ حَسُوا
فِي ارْتِغَاءِ (٤) ، وَتَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى
وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ لَا إِرْثَ لَنَا « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ
يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » (٥)

(١) سورة التوبة : ٤٩ .

(٢) سورة الكهف : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٤) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويبطن غيره .

(٥) سورة المائدة : ٥٠ .

لِهَا مَعَشَرَ الْمُسْلِمَةِ الْمُهَاجِرَةِ ؛ أَابْتَزَ إِرْثَ أَبِيهِ ؟
 أَبَى اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بَابِنَ قُحَافَةٍ ، أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا
 ارْثُ أَبِيهِ . لَفِدَ جِثَّتْ شَيْئًا فَرِيًّا (١) . فِدُونَكُمَا مَخْطُومَةٌ
 مَرَحُومَةٌ ، تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ ، فَنَعِمَ الْحَكَمُ اللَّهُ ،
 وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ، وَعِنْدَ
 السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ » وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ « (٢) .

نَمَّ انْكَفَاتٍ عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ :
 قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَشَةٌ (٣)

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثِرِ الْخُطْبُ
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْنَا الْأَرْضَ وَابِلَهَا
 وَاخْتَلَّ أَهْلُكَ فَاحْضُرْهُمْ وَلَا تَغِيبْ (٤)

* * *

هَقَات :

-
- (١) الْفَرِي : الْعَمَلُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ .
 (٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٧ .
 (٣) الْهَنْبَشَةُ . الْإِخْتِلَاطُ فِي الْكَلَامِ .
 (٤) فِي الْبَيْتَيْنِ إِقْرَأْ .

عائشةُ أمُّ المؤمنينَ (رضي الله عنها)

رَوِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ قَامَتْ عَائِشَةُ فَتَكَلَّمَتْ
فَقَالَتْ :

أيها الناسُ ؛ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقَّ الْأُمُومَةِ وَحَقَّ
الْمَوْعِظَةِ ، لَا يَتَّهَمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ . قُبِضَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَحْرِي (١)
وَنَحْرِي ، وَأَنَا لِحَدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، إِيَّاهُ ادَّخَرَنِي
رَبِّي ، وَخَصَّنِي مِنْ كُلِّ بُضْعٍ (٢) وَبِي مُيِّزَ مُؤْمِنِكُمْ
مِنْ مُنَافِقِكُمْ (٣) ، وَفِي رَحْصِ الْكَمِّ فِي صَعِيدِ الْأَبْوَاءِ (٤)
وَأَبِي رَابِعَ أَرْبَعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوَّلُ مُسَمِّي صِدِّيقاً .
قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُ
رَاضٍ فَوْقَ الدِّفَاقِ (٥) ، وَأَغْضَضَ نَبْعَ الرَّدَّةِ ، وَأَطْفَأَ

(١) السحر : الرئة . وقد توفي عليه الصلاة والسلام ورأسه على صدرها

(٢) البضع : الفرج . وربما أرادت أنها الزوج البكر من بين أزواجه

(٣) إشارة إلى حديث الألفك .

(٤) الأبواء : المفاضة .

(٥) وقد الدفاق : كسره ودمغه .

ماحشَّتْ (١) يَهُود ، وأنتم حينئذ جُحُظٌ . تنتظرون
العَدُوَّة . وتستمعون الصَّيْحَةَ ، فرأبَ الثَّأِي (٢) ،
وأوْذَمَ (٣) العَطِلَةَ ، وامْتاحَ من المَهَوَات ، واجْتَهَرَ
دُفْنَ الرِّوَاد : فتمضهُ اللّٰهَ واطئاً على هامة النفاق ،
مذكياً ناراً لحرب المشركين ، يقظاناً في نصرة الإسلام ،
صَفُوحاً عن الجاهلين .

ورُويَ أنه بلغها أن ناساً يتناولون أبا بكر ، فأرسلتْ
إلى أَرْفَلَةَ (٤) من الناس ، فلما حَضَرُوا أَسَدَتْ
أستارها ، وأعلتْ وِسَادَهَا ، ثُمَّ دَنَتْ فَحَمِدَتِ اللّٰهَ ،
وأثنتْ عليه . وصلتْ على نبيه صلى اللّٰه عليه وسلم ،
وعَدَلتْ وقرّعتْ وقالت :

أبي وما أبيّته ! أبي واللّٰه لا تَعْطُوهُ (٥) الأيدي ،
طَوْدٌ مُّسْتَيْفٌ ، وظلٌّ مديد ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتِ !

(١) حش الحرب . أشعلها .

(٢) رأب . أصلح ، والثأى : الفساد .

(٣) أوْذَمَ الشيء : جعل له وذاماً ، وهو سير للدلاء ، والمعلقة :
الدلاء ، التي بلا أوْذَمَ

(٤) أَرْفَلَةُ : جماعة من الناس ، وميلها أجفلة

(٥) تعطوه . تتاوله من قرب .

كذبت الظنون . أَنْجَحَ (١) والله إذْ أَكْدَيْتُمْ ، وسبقَ !
إِذْ وَنَيْتُمْ

* سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ (٢) *
فَتَى قَرِيشَ نَاشِئاً ، وَكَهْنُفُهَا كَهْلًا ، يَرِيشُ
مُمْلِقِهَا ، وَيَنْفُكُ عَانِيَهَا وَيُلْمُ شَعْنَهَا وَيَرَأُبُ صَدْعَهَا
حَتَّى حَلَمَتْهُ قُلُوبُهَا ، ثُمَّ اسْتَشْرَى فِي دِينِهِ فَمَا بِرَحْمَتِ
شَكِيمَتِهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، حَتَّى اتَّخَذَ بَعْنَاهُ مَسْجِدًا يُحْيِي فِيهِ
مَا أَمَاتَ الْمَبْطُلُونَ .

وكان رحمةُ الله عليه غزيرَ الدمعة ، وقيدَ الجَوَانِحِ (٣)
شَجِيئِ النَّشِيْجِ ، فَانْفَضَّتْ إِلَيْهِ نِسْوَانُ مَكَّةَ وَوَلَدَانُهَا
يَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ . ((اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
وَيَمْدَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (٤) وَأَكْبَرَتْ

(١) أي أصاب إذ أخطأتم .

(٢) صدره .

إلا للملك أو من أنت سابقه

والبيت للنابيه .

(٣) وقيد الجوانح : مجزوناً كأنه مكسور القلب .

(٤) سورة البقرة . ١٥ .

ذلك رجالات قريش ، فَحَنَسَتْ إِلَيْهِ قَسِيَّتُهَا ، وَفَوْقَ
 لَهُ سَهَامُهَا وَامْتَثَلُوهُ غَرَضًا (١) فَمَا حَلَّوْا لَهُ صَفَاةً ،
 أَوْ لَا قَصَصُوا لَهُ قَنَاطَةً ، وَمَرَّ عَلَى سَيِّئَاتِهِ (٢) حَتَّى إِذَا ضَرَبَ
 الدِّينَ بِحِجْرَانِهِ ، وَأَلْقَى بِرُكْبِهِ (٣) ، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ ،
 وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا ، وَمِنْ كُلِّ شِرْعَةٍ أَشْتَاتَا
 وَأَرْسَالَا اخْتَارَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ
 وَتَحِيَّاتُهُ مَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا قَبَسَ اللَّهُ رَسُولَهُ ضَرْبَ الشَّيْطَانِ
 بِرَوَاقِهِ ، وَمَدَّ طُنُجُومَهُ ، وَنَضَبَ حَبَائِلَهُ ، وَأَجْلَبَ
 بِخَيْلِهِ وَرَجَالِهِ ، وَاضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ ، وَمَرَجَّ عَهْدُهُ ،
 وَمَاجَ أَهْلُهُ وَبَغَى الْعَوَائِلُ ، وَظَنَّتْ رِجَالٌ أَنْ قَدْ أَكْثَمَتْ
 نُهُزَهَا ، وَلَاتَ حِينَ الَّتِي يَرْجُونَ ، وَأَنْتَى وَالصَّدِيقُ بَيْنَ
 أَظْهَرِهِمْ ؟ فَقَامَ حَاسِرًا مَشْمُورًا قَدْ جَمَعَ حَاشِيَتَيْهِ ،
 وَرَفَعَ قَطْرِيئَهُ ، فَرَدَّ نَشْرَ الدِّينِ عَلَى غَرِّهِ ، (٤) وَلَمْ

(١) امْتَثَلُوهُ : نَصَبُوهُ . وَالْقَسِي : جَمْعُ قَوْسٍ ، وَهُوَ آلَةٌ رَمَى السَّهَامِ .

(٢) السَّيِّئَاتُ مِنَ الدَّاءِ : ظَهَرُهَا .

(٣) بِرُكْبِهِ : صَدْرُهُ .

(٤) عَلَى غَرِّهِ : عَلَى كَسْرِهِ ، وَالْمُرَادُ تَقْدِيرُ أَمْرِ الدِّينِ ، وَكَسْرُ الرَّدَّةِ .

شَعَثَهُ بِطَبِيهِ ، وَأَقَامَ أَوْدَهُ بِتَقَافِهِ ، فَاْمُنْدَقَمَر (١) النِّفَاقُ
بِوُطْئِهِ . وَانْتَاَشَ الدِّينَ فَنَعَشَهُ .

فَلَمَّا أَرَاكَ الْحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَقْرَأَ الرَّؤُوسَ عَلَى
كَوَاهِلِهَا ، وَحَقَّنَ الدَّمَاءَ فِي أَهْبِهَا (٢) حَضَرَئُهُ مِنْشُهُ ،
نَضَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، فَسَدَّ ثَلَمَتَهُ بِنَظِيرِهِ فِي الرَّحْمَةِ
وَمُقْتَنِيهِ فِي السَّيِّرَةِ وَالْمَعْدِلَةِ ؛ ذَلِكَ ابْنُ الْخَطَابِ ،
لِلَّهِ أُمَّ حَمَلَتْ بِهِ ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ . لَقَدْ أَوْحَدَتْ ،
فَقَتَّخَ الْكَفْرَةَ وَدَنَخَهَا (٣) ، وَشَرَّدَ الشَّرْكَ شَدْرَ مَدَرٍ
وَبَعَجَ الْأَرْضَ وَنَجَعَهَا (٤) ، فَقَاتَ أَكْبَاهَا . وَلَفَظَتْ
خَيْبَاهَا ، تَرَامُهُ وَيَصْدُفُ عَنْهَا ، وَتَصْدَى لَهُ وَبَابَاهَا ،
ثُمَّ وَزَعَ فَيْسَتْهَا فِيهَا ، وَوَدَّعَهَا كَمَا صَحِبَهَا . فَأَرُونِي
مَاذَا تَسْرَتُونُ . وَأَيَّ يَوْمِي أَنِي تَنْقِيَمُونَ ؟ أَيُّومَ إِقَامَتِهِ
إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ أَوْ يَوْمَ ظَعْنِهِ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ . أَقُولُ
قُولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

(١) اْمُنْدَقَمَر اللَّيْنُ . تَفَرَّقَ .

(٢) جَمَعَ إِهَابَ : الْجِلْدَ .

(٣) فَنَخَ : أَذَلَّ وَقَهَرَ ، وَدَنَخَهَا : أَخْضَعَهَا

(٤) بَعَجَ الْأَرْضَ : شَقَّهَا ، وَنَجَعَهَا : أَذَلَّهَا .

وقالت : لو نزل بالجلال الراسيات ما نزلَ بأبي
لهاضها ، قُبُضَ رسولُ الله صلى الله عليه ، فاشربَ
النَّفَاقُ ، وارتدت العرب قاطبةً . وعاد أصحابُ محمدٍ
كأنهم مِعْزَى مَطِيرَةٍ فِي خِفَشِ (١) ، فما اختلفوا
فيه من أمر إلا طار أبي بَغْلَته وغنائيه .

ومن رأى ابنَ الحَطَّابِ علم أنه كان عَوْنًا للإسلام ،
كان والله أَحْوَذِيًّا (٢) نَسِيحَ وَحْدِهِ ، قد أعدَّ للأمور
أَفْرَاسَهَا .

وقالت : مَنْ أَرْضَى الله بِإِسْخَاطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِإِسْخَاطِ اللهِ جَلَّ
ذِكْرُهُ وَكَتَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ .

وقالت : إِنَّمَا النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ
يُرِيقُ كَرِيمَتَهُ .

وقالت : خَرَجْتُ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ يَوْمَ الْحَنْدَقِ ،

(١) الخفش : البيت الدليل .

(٢) الأحوذى والأحوزي : الحسن السياق للأمور .

فسمعتُ وَثِيدَ الْأَرْضِ (١) خَلَفَنِي ، فَالْتَفَتُ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ (٢) .

وَقَالَتْ لَهَا امْرَأَةٌ : أَأَقِيدُ جَسَمِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ،
قَالَتْ : أَقِيدُ جَسَمِي ؟ فَلَمَّا عَامَتْ مَا تَرِيدُ قَالَتْ : وَجْهِي
مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ ؛ تَعْنِي بِالْجَمَلِ زَوْجَهَا أَيْ أَوْحَدَهُ
عَنِ النِّسَاءِ .

وَقَالَتْ : لَا تَوْدِي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا
نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ (٣) لَمْ تَمْنَعَهُ .

* * *

أُمُ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ (٤)

رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ : رَأَيْتُ أُمَّ كَلْثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ

(١) وَثِيدُ الْأَرْضِ : شِدَّةُ الْوَطْءِ ، يَسْمَعُ كَاللَّوِيِّ مِنْ بَعِيدٍ .

(٢) سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ الْأَوْسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، صَحَابِيُّ جَلِيلٍ ، وَهُوَ الَّذِي
حَكَّمَ عَلَى يَهُودِ بَنِي قَرِيظَةَ وَتَوَيَّ فِي نَفْسِ السَّنَةِ ، وَلَهُ مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ فِي
الْإِسْلَامِ .

(٣) أَيْ عَلَى ظَهْرِ جَمَلٍ . وَالْقَتَبُ : الرَّحْلُ الصَّغِيرُ عَلَى قَدَرِ سَنَامِ الْبَعِيرِ .

(٤) أُمُ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ أُخْتُ الْحُسَيْنِ وَلِدَتْ قَبْلَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ،
تَزَوَّجَهَا عَمْرُ بْنُ الْهَطَابِ . وَلَهُ مِنْهَا ذُرِّيَّةٌ .

بالكوفة ، ولم أرَ خَفيَرةً^١ والله أنطقَ منها ، كأنما تنطق
وتُقرِّع عن لسانِ أميرِ المؤمنين رضيَ الله عنه ، وقد
أومأت إلى الناس وهم يبيكونَ على الحسين - رضي الله
عنه - أن اسكتوا فلما سكنتَ فورتهم ، وهَدأت
الأجراسُ . قالت :

أبدأُ بحمدِ الله والصلاةِ على أبيه . أما بعد ،
يا أهل الكوفة يا أهلَ الخَمرِ (١) والخلدِ ؛ ألا فلا
رَقَاتِ العِبرةُ . ولا هَدَاتِ الرِّثةُ^٢ ، إنما مَثَلُكُمْ
كمثلِ التي ((نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا
تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)) (٢) ألا وهل
فيكم^٣ إلا الصَّلَافُ^٤ والشَّنَفُ^٥ (٣) ، مَاتَ الإمامُ
وغمَرُ^٦ (٤) الأعداءِ وهل أنتم^٧ إلا كمرعى على دِمْنَةٍ^٨ ،
وكفضية على سَاحْوَةٍ^٩ . ألا ساءَ ما قدَّمَتْ لَكُمْ
أنفُسُكُمْ^{١٠} أن سَخَطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وفي العذابِ أنتمُ خالدون .

(١) الخمر : أسوأُ القدر .

(٢) سورة النحل : ٩٢ .

(٣) الشنف : البغض .

(٤) الغمر : الحقد .

أَتَبْكُونَ ؟ إِيَّيَّيَّ وَاللَّهِ ، فَابْكُوا ، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَحْرَبَاءُ
 بِالْبَكَاءِ ، فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ، فَلَقَدْ فَرْتُمْ
 بِعَارِيهَا ، وَشَتَارِيهَا ، وَلَنْ تَرَحَّضُوهَا (١) بِغُسْلٍ
 بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَأَنْتِ تَرَحَّضُونَ قَتْلَ سَالِيلِ خَاتَمِ النَّبِوَّةِ ،
 وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ الْجَنَّةِ ، وَمَشَارِ
 مَحَجَّتِكُمْ ، وَمِدْرَه (٢) حُجَّتِكُمْ . وَمَنْزَعِ
 نَازِلَتِكُمْ ؟ فَتَعَسَّأَ وَنُكَّسَا ! اَقْدَ خَابَ السَّعْيُ ، وَخَسِرَتِ
 الصِّفْقَةُ ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ
 الدُّلَّةُ وَالْمُسْكِنَةُ . ((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ
 السَّمَاوَاتُ بِتَغْطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًّا)) (٣) .

مَا تَلْسُرُونَ أَيَّ كَبِيدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَأَيَّ كَرِيمٍ لَهُ أُبْرُزْتُمْ ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سُفِكْتُمْ . لَقَدْ جِئْتُمْ
 بِهَا شَوْهَاءَ نَحْرَقَاءَ طِبْلَاعَ (٤) الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،

(١) رَحَضَ الثَّوْبَ : غَسَلَهُ .

(٢) الْمَدْرَه : الْمَدَافِعُ عَنِ الْجَمَاعَةِ .

(٣) سُورَةُ مَرْيَمَ : ٨٩ ، ٩٠ . وَالْإِدَّ : الْأَمْرُ الدَّاهِي الْمُنْكَرُ .

(٤) طِلَاعُ الْأَرْضِ : مَلَأُهَا

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتِ السَّمَاءُ دُمًّا ،)) وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)) (١) .

* * *

حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

خطبت حفصة بنت عمر فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفرْد الذي لا شريك له .
وأما بعدُ ، فكلُّ العَجَبِ من قوم زَيْنَ الشَّيْطَانِ
أفعالهم ، وارعَوَىٰ إلى صَنِيعِهِمْ ، ودَبَّ في الفِتْنَةِ لَهُمْ ،
ونَصَبَ حِبَائِلَهُ لِيُخْتَلِهُم ، حتَّى همَّ عَدُوُّ اللَّهِ بِإِحْيَاءِ
الْبِدْعَةِ ، ونَبَشَ الفِتْنَةَ ، وتَجَدَّدَ الْجَوْرُ بعد
دُرُوسِهِ (٣) ، وإِظْهَارِهِ بعد دُثُورِهِ (٤) ، ولِمَ رَاقَةِ
الدَّمَاءِ ، وإِبَاحَةِ الْحَمَى ، وانْتِهَاكَ مَسْحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ بعد تَحْصِينِهَا ، فَتَضَرَّعَ وَهَاجَ ، وتَوَغَّرَ وَثَارَ

(١) سورة فصلت : ١٦ .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، تزوجها الرسول

سنة ٥٣ هـ . توفيت سنة ٤١ هـ . أو سنة ٤٥ هـ .

(٣) الدروس : البلى .

(٤) الدثور : الهلاك .

غَضَبًا لِلَّهِ وَنُصْرَةً لِدِينِ اللَّهِ ، فَأَخْسَأَ الشَّيْطَانَ وَوَقَمَ (١) كَيْدَهُ ، وَكَفَّفَ إِرَادَتَهُ ، وَقَدَعَ مُحْسَنَتَهُ ، وَصَعَّرَ خَلْقَهُ السَّبْقَةَ إِلَى مُشَايَعَةِ أَوْلَى النَّاسِ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، الْمَاضِي عَلَى سُنَّتِهِ ، الْمُقْتَدِي بِدِينِهِ ، الْمُقْتَصِرُ لِأَثَرِهِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ سِرَاجُهُ زَاهِرًا ، وَضَوْؤُهُ لَامِعًا وَنُورُهُ سَاطِعًا .^١

له من الأفعال الغررُ ، ومن الآراء المصااصُ (٢) ، ومن التقدم في طاعةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ اللُّبابُ ، إلى أنْ قبضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، قَالِيًا لما خَرَجَ مِنْهُ ، شَانِيًا لما نَزَلَ مِنْ أَمْرِهِ ، شَنِيفًا (٣) لما كَانَ فِيهِ ، صَبِيًا إلى مَا صَارَ إِلَيْهِ ، وَائِلًا (٤) إلى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، عَاشِقًا لما هُوَ فِيهِ .

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الَّتِي وَصَفْتُ ، وَعَايَنَ مَا ذَكَرْتُ أَوْمًا بِهَا إِلَى أَخِيهِ فِي الْمَعْدَلَةِ وَنَظِيرِهِ فِي السَّيْرِ ، وَشَقِيقِهِ فِي الْمَدْيَانَةِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ أَرَادَ لِأَمَالِهَا إِلَى

(١) وقم الكيد : أذله وقهره .

(٢) المصااص . خالص كل شيء .

(٣) شنفا . مبغضا كارها .

(٤) وائلا : لاجئا .

ابنه ، ولصيرها في عقبه ، ولم يُخْرِجْهَا مِنْ
 ذُرِّيَّتِهِ ، فَأَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَقَامَ فِيهَا بِقِسْطِهَا ، لَمْ
 يُوَدِّهِ نَيْقُلُهَا ، وَلَمْ يَبْهِيظْهُ حِفْظُهَا ، مُشَرِّدًا لِلْكَفْرِ
 عَنْ مَوْطِنِهِ وَنَافِرًا لَهُ عَنْ وَكْرِهِ ، وَمَثِيرًا لَهُ مِنْ مَجْثَمِهِ ،
 حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍّ عَلَى يَدَيْهِ أَقْطَارَ الْبِلَادِ ، وَنَصَرَ
 اللَّهَ يَقْدُمُهُ ، وَمَلَأَتْكَهُ تَكْنُفُهُ ، وَهُوَ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٌ ،
 وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلٌ ، حَتَّى تَأْكُودَتْ عُرَا الْحَقِّ عَلَيْكُمْ
 عَقْدًا ، وَاضْمَحَلَّتْ عُرَا الْبَاطِلِ عَنْكُمْ حَلًّا ، نَوْرُهُ
 فِي الدُّجُنَّاتِ سَاطِعٌ ، وَضَوْؤُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَامِعٌ ،
 قَالِيًا لِلدُّنْيَا إِذْ عَرَفَهَا ، لَافْظًا لَهَا إِذْ عَجَمَهَا ، وَشَافِيًا لَهَا
 إِذْ سَبَّرَهَا ، تَخْطُبُهُ وَيَقْلَاهَا ، وَتَرِيدُهُ وَيَأْبَاهَا (١) ،
 لَا تَطْلُبُ سِوَاهُ بَعْلًا ، وَلَا تَبْغِي سِوَاهُ نُحْلًا (٢) أَخْبَرَهَا أَنْ
 الَّتِي يَخْطُبُ أَرْغَدُ مِنْهَا عَيْشًا ، وَأَنْضَرُ مِنْهَا حُبُورًا ،
 وَأَدْوَمُ مِنْهَا سُرُورًا ، وَأَبْقَى مِنْهَا خُلُودًا ، وَأَطْوَلُ مِنْهَا
 أَيَّامًا ، وَأَغْدَقُ مِنْهَا أَرْضًا ، وَأَنْعَمَتْ مِنْهَا جَمَالًا ،

(١) تريد : عمر بن الخطاب .

(٢) النحل : العطاء .

وَأَتَمُّ مِنْهَا بُلْهَنِيَّةً ، وَأَعَذِبُ مِنْهَا رُفْهَنِيَّةٌ (١) فَبَشَّعَتْ
نَفْسَهُ بِذَلِكَ لِعَادَتِهَا ، وَاقْشَعَرَّتْ مِنْهَا لِمَخَالَفَتِهَا ، فَعَرَّكَهَا
بِالْعَزْمِ الشَّدِيدِ حَتَّى أَجَابَتْ ، وَبَارَأَيِ الْجَلِيدِ حَتَّى
انْقَادَتْ ، فَأَقَامَ فِيهَا دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ . وَقَوَاعِدَ السُّنَّةِ
الْجَارِيَةِ ، وَرَوَاسِيَ الْأَثَرِ الْمَاضِيَةِ وَأَعْلَامَ أَخْبَارِ
النَّبُوءَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَظَلَّ خَمِيصًا مِنْ بَهْجَتِهَا ،
قَالِيًا لِأَثَانِهَا ، لَا يَرِغُبُ فِي زِيَرَتِهَا (٢) وَلَا تَطْمَحُ
نَفْسُهُ إِلَى جِدَّتِهَا ، حَتَّى دُعِيَ فَأَجَابَ ، وَنُودِيَ
فَأَطَاعَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَاحْتَسَدَى فِي النَّاسِ بِأَخِيهِ
فَأَخْرَجَهَا مِنْ نَسْلِهِ ، وَصَيَّرَهَا شُورَى بَيْنَ إِخْوَتِهِ ،
فَبَإَيِّ أَفْعَالِهِ يَتَعَلَّقُونَ ؟ . وَبَإَيِّ مَذَاهِبِهِ يَتَمَسَّكُونَ ؟
أَبِطَرَائِقِهِ الْقَسْوِيَةِ فِي حَيَاتِهِ ، أَمْ بَعْدُ لَهُ فِيكُمْ عِنْدُ وَفَاتِهِ ،
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ طَاعَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتُمْ فَتَقِي
حِفْظَ اللَّهِ وَكَلَامَهُ .

* * *

(١) الرفهنية : رغد العيش وخصبه .

(٢) الزبرج : الوشي .

أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ

قيل : دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوزٌ كبيرةٌ ، فلما رآها قال : مَرَحَمًا بك يا عَمَّةٌ . قالت : كيف أئت يا بن أخِي ، لقد كَفَرَت بعدي بالنعمة ، وأسأت لابن عمك الصُّحبة ، وتسميتُ بغير اسمك ، وأخذت غير حَقِّك ، بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام ؛ ولقد كفرتم بما جاء به محمدٌ صلى الله عليه . فأتى عيسى الله الجُدودَ ، وصَغَّرَ منكم الجُدودَ ، حتى رَدَّ الله الحقَّ إلى أهله ، وكانت كلمةُ الله هي العليا . ونسبنا محمد صلى الله عليه هو المنصورُ على مَنْ نأواه ولو كَرِهَ المشركون .

* * *

رُؤْيَا رُقَيْيَةَ (١)

قال مَخْرَمَةُ بنُ نُوْفَلٍ (٢) : حدثني أُمِّي رُقَيْيَةُ بنتُ أَبِي صَيْفِي بنِ هَاشِمٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، قالت :

-
- (١) رقية بنت أبي صيفي بن هاشم ، قبل كانت صحابية .
 (٢) مخرمة بن نوفل القرشي الزهري ، أمه رقبعة ، كان من مسلمة الفتح ، ومن المولقة قلوبهم شهد حيننا مع النبي . توفي سنة ٥٤ هـ وعمره ١٥ سنة .

تَتَابَعَتْ عَلَى قَرِيْشٍ سَنُوْنَ أَقْحَحَلَتْ (١) الضَّرْعَ
وَأَرْقَتْ اللَّحْمَ ، وَأَدَقَّتِ الْعِظَمَ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمَةٌ ، لَاهِمٌ
أَوْ مُهُوِّمَةٌ (٢) إِذَا أَنَا بِهَاتِفٍ يَهْتَفُ بِصَوْتِ صَحْلٍ (٣)
أَقْشَعْرَ لَهُ جِلْدِي : مَعَاشَرَ قَرِيْشٍ إِنَّ النَّبِيَّ الْأَمِّيَّ الْمَبْعُوْثَ
مَنْكُمْ قَدْ أَظْلَمْتُكُمْ أَيَّامُهُ ، وَهَذَا أَوَّانٌ نُسْجُوهُ (٤)
أَلَا فَحَيَّ هَلَا (٥) بِالْخَصْبِ وَالْحَيَا ، أَلَا فَانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا
وَسَيْطًا (٦) عِظَامًا جُسَامًا أَبْيَضَ بَضًّا أَوْ طَفَّ الْأَهْدَابِ (٧)
أَشْمَ الْعَرْنَيْنِ (٨) سَهْلَ الْخَسَدَيْنِ ، لَهُ نَجْرٌ يَكْظُمُ
عَلَيْهِ (٩) وَسُنَّةٌ تَهْدِي إِلَيْهِ . أَلَا فَايْدُلُّفْ هُوَ وَوَلَدُهُ ،

(١) أَقْحَحَلَتْ الضَّرْعَ : أَيْبَسَتْهُ .

(٢) التَّهْوِيمُ : هَزَّ الرَّأْسَ مِنَ النَّعَاسِ ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا : الْاسْتِغْرَاقُ .

فِي النَّوْمِ .

(٣) صَحْلٌ : فِيهِ بَحَّةٌ .

(٤) النَّجْمُ : الظُّهُورُ .

(٥) حَيَّ هَلَا : أَسْرِعُوا .

(٦) الْوَسَيْطُ : النَّسِيبُ .

(٧) أَوْ طَفَّ الْأَهْدَابِ : غَزِيرَهَا .

(٨) الْعَرْنَيْنِ : الْأَنْفُ . وَأَشْمُ الْعَرْنَيْنِ ، كُنَايَةٌ عَنِ الرَّفْعَةِ .

(٩) الْمَرَادُ : لَا يَظْهَرُ .

وليدئلف معه من كل بطن رجل ، فليستشئوا (١)
من الماء ، وليمسئوا من الطيب ثم ليستسائموا الركن ،
وليرقوا أبا قبئس (٢) ، وليدع الرجل ، وليؤمن
القوم على دعائه ، فغنئتم ما شئتم (٢) .

قالت : فأصبحت - عليم الله - مدعورة قد
وله قلبي ، واقشعر جلدي لما رأيت في منامي فقصصت
رؤياي ، ونمت في شعاب مككة ، فوالحُرمة والحرم ،
ما بقى أبطحي إلا قال : هذا شئبنة الحمد ، هذا
عبد المطلب . فتنامت (٤) إليه رجالات قريش ، وهبط
إليه من كل بطن رجل ، فشئوا ومسئوا واستلموا ،
ثم ارتقوا أبا قبئس ، وطفقوا يزفون (٥) حواله ،
ما أن يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استووا بذروة
الجبل قام عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله

(١) شن الماء : صبه متفرقا ، وسنه : صبه مجتمعا .

(٢) جيل بمكة .

(٣) أتاكم الغيث : وغنتم : فعل مبني للمجهول . .

(٤) تنامت إليه : تناهت إليه .

(٥) يزفون : يسرعون الخطو مع تقارب وسكون .

عليه ، غلامٌ قد أبيعَ أو كُربَ (١) ، فرفعَ يدهُ إلى السماء وقال :

اللهمَّ كاشفَ الكُربةِ ، وسادَّ الحِلَّةِ ، أنتَ عالمٌ (٢)
غيرَ معلَّم ، مَسْئُولٌ غيرَ مُبْتَخَلٍّ هذه عبْدُك (٣)
ولِماؤُك بَعْدَرَات (٤) حَرَمُكَ ، يشكونَ إليك سَنَتَهُم
التي أذهبتَ الظِّلْفَ والخُفَّ (٥) ، فاسمعنَّ اللهمَّ لنا ،
وأَطرُنَّ غَيْثاً مُغْدِقاً مَرِيحاً (٦) . فما رامُوا الكعبةَ (٧)
حَتَّى تَفْجَرَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا ، وَكَظَّ الوادي بِشَجِيحِهِ (٨)
فَلَسَمِعَتْ شَيْخَانُ قَرِيشٍ وَجِلَّتَها : عبدُ اللَّهِ بنُ
جُدعان ، وَحَرَبَ بنُ أُمَيَّةَ ، وهشامُ بنُ المَغيرةِ
يقولون لعبدِ المطلب : هَنِيئاً لكَ أَبَا البَطِّحَاءِ هَنِيئاً لكَ .

* * *

-
- (١) كُرب . أوْشك .
(٢) في أسد الغابة : أنتَ معلَّم .
(٣) عداك : عبيدك .
(٤) عذرات : أفنية .
(٥) المراد : الغُفم والإِبل .
(٦) مَرِيح : تَرْتَفِعُ فِيهِ الدَّوَاب .
(٧) رامَ يَرِيم : فارق .
(٨) الشَّجِيح : السَّيْل .

هِنْدُ بِنْتُ عُثْبَةَ (١)

قالت هندُ بنتُ عُثْبَةَ لأبيها : إني امرأةٌ قد ملكْتُ
أمرِي ، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ . فقال :
لكِ ذاك . وقال لها ذاتَ يومٍ : إنَّه قد خطَبَكَ رجلانِ
من قومك ، ولستُ مُسَمِّياً لك واحداً منهما ، حتى
أصِفَه لكِ ، أمّا الأولُ ففي الشَّرَفِ الصِّمَمِ ، والحَسَبِ
الكَرِيمِ ، تخالين به هوجاً من غفلته ، وذلك إسْجَاحٌ (٢)
من شيمته ، حَسَنُ الصَّحَابَةِ ، سَرِيعُ الإِجَابَةِ ، إن
تَابَعْتِهِ تَابَعَكَ ، وإنْ مَلَسْتَ كَانَ مَعَكَ ، تَقْضِيْنَ عَلَيْهِ
فِي مَالِهِ ، وَتَكْتَفِيْنَ بِرَأْيِكَ عَنْ مَشُورَتِهِ .

وأما الآخرُ ففي الحَسَبِ الحَسِيبِ ، والرأي
الأَرِيبِ ، بَدْرُ أَرْوَمَتِهِ ، وَعِزُّ عَشِيرَتِهِ ، يُؤَدِّبُ أَهْلَهُ
وَلَا يُؤَدِّبُونَهُ ؛ إِنْ اتَّبَعُوهُ أَسْهَلَ بِهِمْ ، وَإِنْ جَانَبُوهُ
تَوَعَّرَ عَنْهُمْ ، شَدِيدُ الْغَيْصَةِ ، سَرِيعُ الطَّيْصَةِ ، ضَعِيبُ

(١) هند بنت عتبة القرشية الهاشمية زوج أبي سفيان ، أسلمت يوم
الفتح ، وعفا عنها الرسول . بعد تمثيلها بحمزة بعد أن قتل ، وتوفيت
في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) الإسْجَاح : حسن العفو .

حجائب القُبَّة ، إن حَسَّاجٌ فغير مَنزور (١) ، وإن
تُوزع فغيرُ مَقْسُور ، قد بينتُ لك كليهما .

قالت : أما الأول فسيِّدُ مضِياعٍ لكريمته ، مُواتٍ
لها ؛ فما عسى إن لم تَعْتَصِ أَنْ تَلينَ بعد إِبائِها ،
وتَضَيِّعَ تحتَ خبايِها ؛ إن جاءتهُ بولدٍ أَحْمَقَّتْ وإن
أُنْجِبَتْ فَعَرْنَ خَطَأُ ما أُنْجِبَتْ . اطوِ ذَكَرَ هَذَا عَنِّي
لا تُسَمِّهِ لِي .

وأما الآخرُ فَبَعْلُ الحُرَّةِ الكَرِيمَةِ ، لِي لأخلاقٍ
هذا لَوامِقَةٌ ، وَلِي له لِمَوافِقَةٌ ، وَلِي لآخِذُهُ بِأَدَبِ
البَعْلِ ، معَ اِزْوَاجِي قُبَّتِي وَقَلْبِي تَلَقُّفِي ، وإنَّ السَّيْلَ
يَبْنِي وَيَبْنِي لِحَرِّيٍّ أَنْ يَكُونَ المَدافِعَ عَن حَرِيمِ
عَشِيرَتِهِ ، الذائِدَ عَن كَتَيْبَتِهَا المَحامِي عَن حَقِيقَتِهَا ،
المُتَشَبِّتَ لأرْوَمتِهَا ، غيرَ مُتَوَاكِلٍ وَلَا زُمَيْلٍ (٢)
عندَ صَعَصَعَةِ (٣) الحُرُوبِ .

(١) غير منزور : غير قليل في حجته .

(٢) الزميل : الضعيف .

(٣) صعصة الحروب : حركتها أو اضطرابها .

قال : ذلك أبو سفيان بن حَرْب . قالت : فزوجه
ولا تُلْقِنِي إِيَّاهُ لِإِقَامَةِ الشَّكْسِ وَلَا تَسْمُهُ سَوَمَ
الضَّرْسِ (١) ، ثم استخبر الله عزَّ وجلَّ في السماء
بِخَرْكَ في القضاء . فزوجها أبا سفيان . وكان الآخرُ
سهيل بن عمرو (٢) .

* * *

رُؤْيَا عاتِكةَ بنتِ عبدِ المطلبِ (٣)

كانت عاتِكةُ بنتُ عبدِ المطلبِ عَمَّةُ رسولِ
الله صلى الله عليه ، ساكنةً بمكةَ مع أخيها العباس بنِ
عبدِ المطلب ، فرأت رؤيا قبلَ يومِ بدرٍ ، وقبل قُدومِ
ضمَمِهم عليهم ، ففزعتُ منها ، فأرسلت إلى أخيها
العبَّاس بن عبدِ المطلب من ليلتها ، فجاءها فقالت :

(١) الضرس : السية الخلق .

(٢) سهيل بن عمرو القرشي أحد أشراف قريش ، وهو الذي منع
قريشاً عن الارتداد بعد وفاة الرسول ، خرج إلى الشام مجاهداً واستشهد
سنة ١٤ هـ .

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب ، اختلف في إسلامها ، فقال بعض
العلماء : لم يسلم من عمات النبي غير صفية .

رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْهَا ، وَخَشِيتُ عَلَى قَوْمِكَ
الْهَلَكَةَ . قَالَ : وَمَاذَا رَأَيْتَ ؟ قَالَتْ : لَنْ أَحْدَثَكَ
حَتَّى تَعَاهِدَنِي أَلَّا تَذْكُرَهَا لِقَوْمِكَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوهَا
أَذَوْنَا وَأَسْمَعُونَا مَا لَا نُنْجِبُ . فَعَاهَدَهَا الْعَبَّاسُ فَقَالَتْ :

رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ يَصِيحُ
بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ غُدْرَ (١) ، اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَصِيحُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ
فَصَاحَ ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ ، وَمَالَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ
وَالصَّبِيَّانُ ، وَفَزَعَ النَّاسُ لَهُ أَشَدَّ الْفَزَعِ . قَالَتْ :
ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَاحَ
ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ فَقَالَ : يَا آلَ غُدْرَ ، يَا آلَ فُجْرَ (٢)
اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ . ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى أَبِي
قُبَيْسٍ كَذَلِكَ يَقُولُ يَا آلَ غُدْرَ وَيَا آلَ فُجْرَ حَتَّى أَسْمَعَ
مَنْ بَيْنَ الْأَخْشَبِيِّينَ (٣) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، ثُمَّ عَمَدَ
لِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَتَزَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى أَهْلِ

(١) غدر : معلول عن غادر .

(٢) فجر : معلول عن فاجر .

(٣) الأخشبيان : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمي .

مكة ، فأقبلت الصخرة لها حسٌ شديدٌ ، حتى إذا كانت عند أصلِ الجبلِ ارفضتُ ، فلا أعلمُ بمكة بيتاً ولا داراً إلا وقد دخلتها فلقةً من تلك الصخرة ، فقد خشيتُ على قومك .

ففرجَ من رؤياها العباسُ ثم خرجَ من عندها ، فلقى الوايدَ بنَ عُقبةَ بنِ ربيعةَ من آخرِ تلكَ الليلةِ ، وكان خليلاً للعباس ، فقصَّ عليه رؤيا عاتكةَ وأمره ألا يذكرها لأحد ، فذكرها لأبيه عُتبةَ ، وذكرها عتبةَ لأخيه شيبةَ ، فارتفع الحديثُ حتى بلغَ أباً جهلٍ واستفاضَ في أهلِ مكة .

* * *

فاطمةُ بنتُ عبدِ الملكِ بنِ مروان

روي عن عطاء ، قال : قلت لفاطمةَ بنتِ عبد الملك : أخبريني عن عُمرَ بن عبد العزيز . قالت : أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت . إن عمرَ - رحمه الله - كان قد فرغَ للمسلمين نفسَه ، ولأموارهم ذهنه ، فكان إذا أمسى مساءً لم يَقْرُغْ فيه من حوائج الناس في يومه دعا

بسراجه الذي كان يُسَرِّجُ له من ماله ثم صلى ركعتين ،
ثم أقعى واضعاً رأسه على يديه ، تسيلُ دموعه على
خديه يشهقُ الشهقة تكادُ ينصدعُ لها قلبه ، أو تخرجُ
لها نفسه ، حتى يرى الصُّبحَ .

وأصبحَ صائماً فدنوتُ منه فقلت : يا أميرَ المؤمنين ،
أشيءُ كان منك ما كان ؟ قال : أجلُ ، فعليكِ بشأنكِ ،
وخليني وشأني . فقلت : إني أرجو أنْ أتعظَ . قال :
إذاً أخبركِ ، لي نظرتُ قد وجدتُني ونيتُ أمرَ هذه
الامةِ أحمرها وأسودها ، ثم ذكرتُ الفقيرَ الجائعَ ،
والغريبَ الضائعَ ، والأسيرَ المقهورَ ، وذا المالِ القليلِ
والعيالِ الكثيرِ ، وأشياءَ من ذلك في أقاصي البلادِ ،
وأطرافِ الأرضِ ، فعلمتُ أن الله عزَّ وجلَّ سائلي
عنهم ، وأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حَجَّيجِي (١) ،
لا يقبلُ الله مني فيهم معذرةً ، ولا يقومُ لي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حُجةٌ ، فرحمتُ واللهِ يافاطمةُ

(١) حجيج المرء : من يحاجه ويجادله .

نَفْسِي رَحْمَةً دَمَعَتْ لَهَا عَيْنِي ، وَوَجَعَ لَهَا قَلْبِي ، فَأَنَا
كَلِمًا ازددتُ ذِكْرًا ازددتُ خَوْفًا فَأَيَّقِيظِي أَوْدَعِي .

* * *

أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ

في حديث أم سلمة أنها أتت عائشة لما أرادت
الخروجَ إلى البصرة فقالت لها :

إِنَّكَ سُدَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
وَحِجَابُكَ مَضْرُوبٌ عَلَى حُرْمَتِهِ ، وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ
ذِيكَ فَلَا تَسُدِّحِيهِ (١) وَسَكِّنْ عُقَيْرَكَ فَلَا تُصْحِرِيهَا .
اللَّهُ مِنْ وَارِءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَوْ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْكَ عَهْدًا . عُلَّتِ عُلَّتِ (٢) بَلْ
قَدْ نَهَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْفُرْطَةِ (٣) فِي
الْبِلَادِ ، إِنَّ عَمُودَ الْإِسْلَامِ لَا يُثَابُ (٤) بِالنِّسَاءِ إِنَّ مَالَ

(١) لَا تَسُدِّحِيهِ : لَا تَوْسِعِيهِ بِالْحُرْكََةِ وَالْخُرُوجِ . وَعُقَيْرُكَ : مَنْ
عَقَرَ الدَّارَ .

(٢) عُلَّتِ : مِنْ الْعَوْلِ ، وَهُوَ الْمِيلُ .

(٣) الْفُرْطَةُ : مِنَ الْفَرْطِ وَهُوَ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ .

(٤) لَا يُثَابُ : لَا يَصْلَحُ ، مَنْ ثَابَ الرَّجُلُ . إِذَا صْلَحَ بَدَنُهُ .

ولأيرأب (١) بهن أن صدع ، حُمَادِيَاتُ النساءِ غَضُ
الأطرافِ ، وخَفَرُ الأعراضِ ، وقَصَرُ الوَهَاذَةِ (٢) .

* * *

مُلْتَقَطَاتٌ مِنْ كَلَامِهِنَّ

قالت هندُ بنتُ عتبةَ وقد عُرِيتُ عن يزيدَ بنِ
أبي سفيانَ (٣) لما مات فقيل لها : إنا لنرجو أن يكون في
معاويةَ خلفاً منه . قالت : أو مثلهُ معاويةَ يكون خلفاً من
أحد ؟ والله لو جُمِعت العربُ من أقطارها ثم رُمي به فيها
لخرجَ من أيّها شاء .

قالت خالدةُ بنتُ هاشمٍ بنِ عبدِ منافٍ لأخيها — وقد
سمعتُه تَجَهَّمُ صديقاً له : أيُّ أَخِيَّ ، لا تطلع من الكلام
إلا ما قد رَوَاتَ (٤) فيه قبل ذلك ، ومزجته بالحلم ،

(١) يرأب : يصلح .

(٢) الوهازة : مشية الخفرات .

(٣) يزيد بن أبي سفيان صحابي ، أسلم يوم الفتح ، وشهد غزوة
حنين ، وهو أحد القادة الذين وجههم أبو بكر إلى الشام ، وولي فلسطين
لعمر ، وتوفي سنة ٨١٨ .

(٤) رَوَا في الشيء : نظر إليه وعرف عاقبته .

وداويته بالرَّفْقِ ، فإن ذلك أشبهُ بك . فسمعها أبوها
هاشمٌ فقامَ إليها فاعتنقها وقبَّلها وقال : واهاً لك
ياقُبَّةَ الديباجِ فلُقِّبَتْ بذلك .

قالت عائشةُ للنبي عليه السلام وقد دخل عليها :
أينَ كنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : « كنتُ عندَ أمِّ سلمة . »
قالت : أما تشيعُ ؟ فتبسَّسَ . وقالت : يا رسولَ الله ،
لو مررتُ بعدُ وتين (١) لإحداهما عافيةٌ لم يرعَها أحدٌ ،
وأخرى قد رعَاها الناسُ ، أيَّها كنتَ تنزلُ ؟ قال :
« بالعافيةِ الّتي لم يرعَها الناسُ » قالت : فلستُ كأحدٍ
من نسائك .

روِيَ أن عمرَ نَهَى أبا سفيانَ عن رشِّ بابِ منزله
لثلاثِ يَمَرٍّ به الحاجُّ فيزلقون فيه . فام يته . ومَرَّ عمرُ
فَرَاقَ ببابه فعلاه بالمدرةِ وقال : ألم آمرُك ألا تفعلَ هذا .
فوضعَ أبو سفيانَ سَبَّابَتَهُ على فيه . فقال عمرُ : الحمدُ لله
الذي أراني أبا سفيانَ بَسَّطَ حَاجَ مَكَّةَ أَضْرَبُهُ فلا ينتصرُ ،
وَأَمْرُهُ فَيَأْتِمُرُ . فسمعتُهُ هَندُ بنتُ عتبةَ فقالت : إحمَدُهُ
يا عمرُ فإنَّك إن تَحْمَدُهُ فَقَدْ أَرَاكَ عَظِيماً .

(١) العذرة : شاطئ الوادي أو جانبهِ .

الباب الثاني

نكت من كلام النساء ومستحسن جواباتهن والفاظهن

مرّت امرأةٌ جميلةٌ على مسجدِ بني نُمَيْرٍ بالبصرةِ
وعليه جماعةٌ منهم فقال بعضهم : ما أكبرَ عَجِيزَتِها ،
وقال آخرُ : إنها مَلْفُوفَةٌ . وقال آخرُ : أنا أجيشكم
بخبزها . فتبسمَها وضربَ يدهَ على عَجِيزَتِها . قال :
فالتفتت إليه وقالتُ : ((الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ)) (١) ثم انصرفتُ إلى بني نُمَيْرٍ فقالت :
يا بني نُمَيْرِ - واللهِ ما حفظُشُم في قولِ اللهِ جلَّ وعزَّ ،
ولا قولَ الشاعرِ ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ((قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)) (٢) وقال الشاعر :

(١) سورة البقرة : ١٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٠

فَغَضَّ الطَّرْفَ لِنُكِّ مِنْ نُسَيْرِ
 فَلَ كَعْبًا بَاغَتْ وَلَا كِلَابَا (١)
 قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نُسَيْرٍ وَحَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ ، وَأَهْلُهَا
 يَجْتَمِعُونَ : مَنْ الَّذِي يَقُولُ :
 لَعَمْرُكَ مَا رَمَّاحُ بَنِي نُسَيْرِ
 بِطَائِشَةِ الصُّوْرِ وَلَا قِصَارِ (٢)
 قَالُوا : زِيَادُ الْأَعْجَمِ (٣) . قَالَتْ : فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ
 أَنَّ لَهُ الثُّلُثَ مِنْ مَالِي . وَكَانَ كَثِيرًا .
 وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لَزَوْجِهَا : إِنْ أَكَلْتُكَ لَا قِتْفَافُ ، (٤) ،
 وَإِنْ شَرِبْتُكَ لَا شَتْفَافُ ، وَإِنْ ضَمَعْتُكَ لَا لَتْفَافُ ،
 تَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ ، وَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ .

-
- (١) الببت بلرير . البيان والتبيين : ٢٤٣/٢ ، وذكر الجاحظ بعدها : وأخلق بهذا الحديث أن يكون له ولدًا .
 (٢) مختار الأغاني : ١٣٧/٣
 (٣) زياد بن سليمان ، لقب بالأعجم لغلبة العجمة على لسانه ، شاعر جزل اللفظ ، ولد ونشأ بأصفهان ، وأقام بخراسان إلى أن مات .
 (٤) الاقتفاف : الاتيان على جميع الطعام شرها .

طلّقت أعرابي امرأته فقالت له : جزاك الله خيراً ؛
لقد كنت كثير المرقّ طيب العرق ، قليل الأرق ،
قال : وأنت فجزاك الله خيراً ؛ لقد كنت لذيذة
المُعتنق ، عند الكسرى والأرق ، ولكنّ ما قضى الله
قد سبق .

تزوج أعرابي امرأةً أشرف منه حسباً ونسباً فقال :
يا هذه : إنك مهزولة . فقالت : هُزالي أو لخي بيتك .
قالت أعرابيةٌ وقد دُفع إليها عليك لتضغته :
ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الخنجر .

نظر رجلٌ إلى امرأتين يتلاعبان فقال : مرّاً لعلكما
اللهُ فإنّكن صوامحاتٌ يوسف . فقالت إحداهما :
يا عَمِّي فمن رمى به في الحبّ . نحنُ أو أنتم ؟
ومرّت بجاريةٌ يقوم ومعهما طَبَقٌ مغطّى فقال
بعضهم : أيُّ شيء معك على الطبق ؟ قالت : فليمن
غطّيناه ؟ .

قال الجاحظ : ومن الأسجّاع الحسنة قولُ
الأعرابية حين خاصمت ابنها إلى عامل الماء : أما كان

بطيني لك وعاء؟ أما كان حيجري لك فناء؟ أما كان
نديبي لك سقاء .

وقالت امرأة : أصبحنا ما برقنا لنا فرس* ، ولا ينام
لنا حرس .

مرّ رجل بامرأة من غاضرة ، وإذا ابن لها مسجى
بين يديها ، وهي تقول : يرحمك الله يا بني . فوالله ما كان
مالك لبطنك . ولا أمرك لعرسك ، ولا كنت إلا ليسن
العظيمة . يرضيك أقل مما يسخطك . قال : فقلت
لها : يا أمّة ، ألك منه خائف؟ قالت : بلى ما هو خير
منه . ثواب الله والصبر على المصيبة .

ولما قتل الفضل بن سهل (١) دخل المأمون
إلى أمّه يعزيها فيه . وقال : يا أمّة ؛ لا تحزني على الفضل ؛
فلاني خلف لك منه . فقالت له : وكيف لا أحزن على
ولد عوضني خلفاً مثلك؟ فتعجب المأمون من جوابها .
وكان يقول : ما سمعت جواباً قط كان أحسن منه ولا
أخلف للقلب .

(١) الفصل من سهل ذو الراسين وزير للمأمون كان عادلاً حكيماً .

توفي سنة ٢٠٢ هـ

حُكي أَنَّ عَجُوزاً مِنَ الْأَعْرَابِ جَلَسَتْ فِي طَرِيقِ
مَكَّةَ إِلَى فُتَيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرِبُونَ نَبِيذاً طَهِمَ ، فَسَقَوْهَا
قَدْحاً فَطَابَتْ نَفْسُهَا وَتَبَسَّمتْ ثُمَّ سَقَوْهَا قَدْحاً آخَرَ ،
فَاَحْمَرَّتْ وَجْهُهَا وَصَحَكَتْ فَسَقَوْهَا قَدْحاً ثَالِثاً ، فَقَالَتْ :
أَخْبِرُونِي عَنْ نِسَائِكُمْ بِالْعِرَاقِ ، أَيَسْرَبْنَ مِنْ هَذَا
الْشَرَابِ : قَالُوا : نَعَمْ . قَالَتْ : زَنَيْنَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

سُئِلَتْ أَعْرَابِيَّةٌ فَقِيلَ لَهَا : أَتَعْرِفِينَ النَّجُومَ ؟ قَالَتْ :
سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا أَعْرِفُ أَشْيَانَهَا وَقَوْفاً عَلَيَّ كُلِّ لَيْلَةٍ ؟
قِيلَ لَامْرَأَةٍ أُصِيبَتْ بِوَلَدِهَا : كَيْفَ أَنْتِ وَالْجَزَعُ ؟ .
قَالَتْ : لَوْ رَأَيْتُ فِيهِ دَرْكاً مَا اخْتَرْتُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ دَامَ
لِي لِدُمْتُ لَهُ .

خَطَبَ رَجُلٌ ابْنَةَ عَمٍّ لَهُ فَأَخْبَرَهَا أَبُوهَا بِذَلِكَ
فَقَالَتْ : يَا أَبَاهُ ، سَلِّهُ مَالِي عِنْدَهُ ؟ فَسَأَلَهُ فَقَالَ :
الْطَفُ بَرَّهَا ، وَأَحْمِلْ ذِكْرَهَا ، وَأَعْصِي أَمْرَهَا . فَقَالَتْ :
زَوْجَنِيهِ .

لَمَّا أَهْدَيْتِ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ إِلَى الْحِجَّاجِ
نَظَرَ إِلَيْهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَعَبَّرَتْهَا تَجُولُ فِي خَدِّهَا ،

فقال ممّ بآبي أنت ؟ . قالت : من شرفٍ اتّضع ،
ومن ضعة شرفت .

ولما كتب عبدُ الملكِ إلى الحجاج بطلاقها قال لها :
إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بطلاقكِ قالت : هو أبرُّ بي ممّن
روّجنيك .

حكّم بلالُ بنُ أبي بُردة (١) بالتفريق بين رجل
وامراتيه . فقالت له المرأةُ : يا بنَ أبي موسى
إنما يُعشيتُم بالتفريق بين المسلمين .

نزلَ رجلٌ بامرأة من العرب فقال لها : هل من
لبنٍ أو طعام يُباع ؟ فقالت : إنك للثيم أو حديث عهد
باللثام . فاستحسن ذلكَ منها وخطبها فتزوجها .

حدّث بعضهم قال : خرجتُ إلى ناحية الطُّفَاوة (٢)
فإذا أنا بامرأةٍ لم أر أجملَ منها . فقلت : أيتها المرأةُ ،
إن كان لكِ زوجٌ فباركَ اللهُ له فيكِ ، وإلاّ فأعلميني .

(١) بلال بن أبي بُردة يتصل نسبه بأبي موسى الأشعري ، ولده خالد
أبو العسري قضاة الحيرة .

(٢) الطُّفَاوة : حي من قيس بن عيلان .

قال : فقالت : وماتصنع بي وفي شيء لا أراك ترتضيه .
 قلت : وما هو ؟ قالت : شيب في رأسي . قال : فثبثت
 عنان دابتي راجعاً . فصاحت بي : على رسلك
 أخبرك بشيء . فوقفت وقلت : ما هو يرحمك الله ؟
 فقالت : والله ما بلغت العشرين بعد ، وهذا رأسي -
 فكشفت عن عناقيد كالحمم - وما رأيت في رأسي
 بياضاً قط ، ولكن أحببت أن تعلم أنا نكره مثل ما يكره
 منّا . وأنشدت :

أرى شيب الرجال من الغواني
 بموضع شيبهن من الرجال

قال : فرجعت خجلاً كاسف البال .
 وصفت امرأة نساء فقالت : كن صدوفاً في
 صفاً ليس لعاجز فيهن حظ .

قيل لابنة الخس (١) : من تريد أن تتزوجي ؟
 فقالت : لا أريد أخا فلان ولا ابن عم فلان ، ولا الظريف

(١) هي هند بنت الخس ، لها أخبار مروية في كتب الأدب .

ولا المتظرف ، ولا السمين اللحم ولكني أريدُه كسوباً
إذا غدا ، ضَحُوكا إذا أتى .

وقيل لها : مَنْ أعظمُ الناس في عينك ؟ قالت : مَنْ
كانت لي إليه حاجةٌ .

قيلَ لأعرابيةٍ قد حملت شاةً تبيعُها : بكم ؟
قالت : بكذا . قيل لها : أحسني . فتركت الشاةَ
ومرت لتنصرف . فقيل لها : ما هذا ؟ قالت : لم تقولوا :
أنقصي ، وإنما قلتم : أحسني . والإحسان تركُ الكلِّ .

قالت قريبةُ الأعرابية : إذا كنتِ في غير قومك
فلا تنس نصيبك من الدَّل .

قيل لأعرابية : ما أطيبُ الروائح ؟ قالت : بَدَنٌ
تُحِبُّه ، وولدٌ تُرَبِّيه .

سأل رجلٌ الخيزرانَ (١) حاجةً ، وأهدى إليها
هديةً فردَّتْها وكتبت إليه : إن كان الذي وجَّهته ثمناً
لرأي فيك فقد بخستني في القيمة ، وإن كان استزادةً
فقد استغششتني في النصيحة .

(١) الخيزران : أم هارون الرشيد .

قتل قتيبة^(١) أبا امرأة وأخاها وزوجها ثم قال لها :
أتعرفين أعدى لك مني ؟ قالت : نعم : نمسي طالبتني
بالغداء بعد من قتلت لي .

تقدمت امرأة إلى قاضٍ فقال لها القاضي : جأ معك
شهودك كدأهم ؟ فسكتت فقال كاتبه : إن القاضي
يقول : جاء شهودك معك ؟ قالت : نعم . ثم قالت
للقاضي : ألا قلت كما قال كاتبك . كبر سنك ،
وذهب عقلك . وعظمت لحيثك فغطت على عقلك ،
وما رأيت ميتاً يحكم بين الأحياء غيرك .

قالت أعرابية لزوجها ، ورأته مهملوما : إن
كان همك بالدنيا فقد فرغ الله منها ، وإن كان الآخرة
فزادك الله همّاً بها .

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : إلهي ،
مأضيّق الطريق على من لم تكن دليله ، وأوحشه على
من لم تكن أنيسه !

قالت عائشة للخنساء : إلی کم تبکین علی صخر ،

(١) قائد أمير ولي خراسان .

وإنّما هو جَمْرَةٌ في النار ؟ قالت : ذاك أَشدُّ لجزعي عليه .

جاءت امرأةٌ إلى عَدِيّ بن أَرْطَأَةَ (١) تستعديه على زوجها ، وتشكو أنّهُ عَنِينٌ لا يَأْتِيها ، فقال عدي : لئنّي لأستحيي للمرأة أن تستعدي على زوجها من مثل هذا ، فقالت : ولم لأرغبُ فيما رغبتُ فيه أمّاك فلعلَّ الله أن يرزقني ابناً مثلك .

وقالت أعرابيةٌ لرجلٍ : مالك تُعطي ولا تُعِدُّ ؟ فقال لها : مالك وللوعد ؟ قالت : ينفسُ به الصَّبْرُ ، ويتشّير فيه الأمل ، وتطيبُ بذِكره النَّفْسُ ، ويرجى به العيشُ ، وتربحُ أنت به المرح بالوفاء .

قيل لامرأة : صفي لنا النافقة النجبة ، قالت : كالعقرب إذا هَوَتْ ، وكالحية إذا التوت ، تطوي الفلاة وما انطوت .

خطب أعرابي امرأةً وكان قصيراً فاحش القصر ، عظيم الأنف جداً فكرهتهُ فقال : ياهذه ، قد عرّفتِ

(١) عدي بن أَرْطَأَةَ الفزاري ، ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز .

شَرَفِي وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ كَرِيمُ الْمَعَاشِرَةِ ، مُحْتَمِلُ الْمَكْرُوهِ .
 فَقَالَتْ : صَدَقْتَ مَعَ حَسَمَلِيكَ هَذَا الْأَنْفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .
 اسْتَعْمَلَ الْمَنْصُورُ رَجُلًا عَلَى خِرَاسَانَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ
 فِي حَاجَةٍ فَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ غَنَاءً ، فَقَالَتْ : أَتَدْرِي لَمْ وَلَاكَ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا : قَالَتْ : لِيَنْظَرَ هَلْ يَسْتَقِيمُ
 أَمْرُ خِرَاسَانَ بِلَا وَالٍ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : خَطَبَتْ امْرَأَةٌ فَأَجَابَتْ ، فَقُلْتُ :
 إِنِّي سَيِّءُ الْخُلُقِ : فَقَالَتْ : أَسَوُّ خُلُقًا مِنْكَ مَنْ يُلْجِئُكَ
 إِلَى سُوءِ الْخُلُقِ .

قِيلَ : إِنَّ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ
 قُرَشِيَّةً وَجُعْفِيَّةً وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَشْرِينَ
 أَلْفًا . وَقَالَ لِلرَّسُولِ : احْفَظْ مَا تَقُولُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا
 فَقَالَتِ الْقُرَشِيَّةُ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا . وَقَالَتِ الْجُعْفِيَّةُ :
 مَتَاعَ قَلْبِلٍ مِنْ حَبِيبٍ مَفَارِقٍ . فَرَاغَتْهُمَا وَطَلَّقَ الْأُخْرَى .

وكَانَتْ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ امْرَأَةٌ فَضَجِرَ
 يَوْمًا وَقَالَ : أَمْرُكَ فِي يَدِكَ . فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ
 كَانَ فِي يَدِكَ عَشْرِينَ سَنَةً فَحَفِظْتَهُ ، أَفَأُضَيِّعُهُ فِي سَاعَةٍ

صارَ في يدي . قد رددتُ إليك حقك . فأعجبه قولها
وأحسن صحبتها .

قالت الخيزران : قبح الله الخدمَ ليس لهم حزمُ
الرجالِ ولا رِقَّةُ النساءِ .

كتب المأمونُ إلى شِكْلَةَ (١) أمِّ إبراهيمَ بنِ المهدي (٢)
يتوعدُّها فأجابته : أنا يا أميرَ المؤمنين أمُّ من أمهاتِكَ ،
فإن كان ابني عَصَى اللهَ فيكَ فلا تعصهُ فيَّ ، والسلام .
عُرِضَتْ عَنَّا ، جاريةُ الناطقيِّ على الرشيد وهو
يتبخَّرُ ، فقال لها : أتُحِبِّين أن أشتريكَ ؟ فقالت : ولمَ
لا يا أحسنَ الناسِ خُلُقًا وخُلُقًا ؟ فقال : أمّا الخلقُ
فقد رأيتُهُ ، فالخلقُ أنسى عَرَفتِهِ ؛ قالت : رأيتُ
شرارةَ طاحتُ من المسجِمةِ فلمعتُ في خدك فما
قطبتُ لها ولا عاتبَتُ أحداً .

(١) شكلة أم إبراهيم بن المهدي ، سبيت ، وحملت إلى المنصور
فوهبها لأم ولده ، أخذها المهدي فولدت له إبراهيم .

(٢) إبراهيم بن المهدي أديب شاعر له صنعة في الغناء ، ولي الخلافة
بعد قتل الأمين ، ولما جاء المأمون استتر ثم استعطفه فغفا عنه .

كان معاوية^١ يمشي مع أمه فَعَثَرَ ، فقالت له :
 قم^٢ لا رَفَعَكَ اللَّهُ - وأعرابي^٣ ينظر إليه - فقال : لم
 تقولين له هذا ؟ فوالله إنني لأظنه سيسود قومه .
 فقالت . لا رفَعَهُ اللَّهُ إن لم يسُدْ إلا قومه .

قال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان :
 جمَعَتْنَا أمنا فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقالت :
 يا بنيَّ إنَّه والله ما نال أحدٌ من أهل السَّفَةِ بسفهِهم
 شيئاً ، ولا أدركوه من لذَّاتهم إلا وقد ناله أهلُ
 المروءات بمروءاتهم . فاستتبروا بيسرِّ الله .

لما قصَّصَ المعتضد^(١) بني شيبان اصطفَى منهم
 عجوزاً سريعةَ الجوابِ فصيحَةً ، فكان يُغري بينها
 وبين الجلساء . فجاءت يوماً فقعدت بلا إذنٍ فقال لها
 خفيف^٢ السمرقندي الحاجبُ : أتجلسين بين يدي أمير
 المؤمنين ، ولم يأذنْ لك ؟ فقالت : أنت جارٌ ذلك وحاجبه ،
 كان يجبُ أن تعرفي ما أعملُ قبل دخولي إذْ لم تَكُنْ

(١) هو أحمد بن الموصي ، الخليفة العباسي ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ
 وتوفي سنة ٢٨٩ هـ ، وكان شجاعاً فاضلاً .

لي عادة" بمثله . ثم قامت . فتغافل المعتضد عنها فقالت :
يا سيداهُ ؛ أقيامٌ إلى الأبد ، فمتى بنقضي الأمد ؟
فضحك وأمرها بالجلوس . .

قالت هند بنت عتبةَ لأبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ لما
رجع مُسلماً من عند رسول الله صلى الله عليه إلى مكة
في ليلة الفتح فصاح : يا معشرَ قريشٍ ، ألا إنِّي قد
أَسْلَمْتُ ، فأسلموا ، فإن مُحَمَّداً قد أتاكم بما لا قبيلَ
لكم به . فأخذت هند رأسه وقالت : بنسَ طليعة القوم .
والله ما خَدَشْتُ خَدُشاً . يا أهلَ مكة . عليكم
الحمية (١) الدسم فاقتلوه .
وقالت هند : إنَّما النساءُ أغلالٌ ، فليخزِ الرجلُ
غلاً لِيَدِهِ .

وذكرت هندُ بنتُ المهلبِ النساءَ فقالت : ما زُيِّنَ
بشيءٍ كأدبِ بارعٍ تحته لبُّ ظاهرٌ .
وقالت أيضاً : إذا رأيتَ النعمَ مستدرةً فبادروا
بالشُّكر قبلَ حلولِ الزَّوالِ .

(١) الحمية : الزق . شبهته به إعظاماً لما قال .

قدمت ليلى الأختيائية على الحجاج ومدحته . فقال :
يا غلامُ ؛ أعطيتها خمسمئة ، فقالت : أيها الأمير ،
اجعلها أدماً (١) . فقال قائلٌ : إنما أمر لك ببشاةٍ
قالت : الأميرُ أكرمٌ من ذاك . فجعلها إبلاً إنثاءً ،
استحياءً . وإنما كان أمر لها بشاةٍ أولاً .

كانت آمنة بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن
عبد الملك ، فلما مات عبد الملك سعت بها إحدى
صرااتها إلى الوليد . وقالت : لم تبك على عبد الملك
كما بكّت نظائرها . فقال لها الوليد في ذلك : فقالت :
صدق القائل لك . أكنت قائيةً : يا ليتني بقيت حتى
تقتل أخا لي آخر كعمرو بن سعيد .

كانت ابنة هانيء بن قسيصة عند لقيط بن زُرارة ،
فقُتِل عنها وتزوجها رجلٌ من أهلها ، فكان لا يزال
سراها تذكر لقيطاً . فقال لها ذات مرة : ما استحسنيت
من لقيط ؟ فقالت : كلُّ أموره كانت حسنةً . ولكنني
أحذثك إنه خرج مرة إلى الصيد وقد انتشى ، فخرج

(١) الأدم . البض من الجمال ، وهي بما تمدح .

إليّ وبضميصة نَضَحُ من دَمِ صَيْدِهِ وَالْمِسْكُ يَضُوعُ
من أعطافه ، ورائحةُ الشَّرَابِ من فيه . فضمني ضَمَّةً
وشمّني شَمَّةً ، فليتني كنتُ مِيتٌ ثَمَّةً . قال : ففعل
زوجُها مثل ذلك تم ضَمَّتها إليه وقال : أين أنا من لَقِيْطٍ ؟
فقلت : ماءٌ ولا كَصَدَاءٍ ، ومرعى ولا كالسعدانِ .

قالوا : كان ذو الإصبع العدواني (١) غَيُوراً ،
وكان له بناتٌ أربع لا يزوّجنَّ غَيَّرَةً ، فاستمع عليهنَّ
مرّةً وقد خَلَّوْنَ يتحدثنَ . فذكرنَ الأزواجَ حتّى
قالت ، الصُّغرى منهنَّ : زَوْجٌ من عُودٍ خَيْرٌ من قُعودٍ .
فخُطِبَ فزوّجنَّ .

ثم أمهلنَّ حَوَلاً ، ثم زارَ الكبرى فقال لها : كيف
رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ قالت : خَيْرُ زَوْجٍ يُكْرَمُ أَهْلُهُ ، وَيَنْسَى
فَضْلَهُ . قال : حَظِيَّتْ وَرَضِيَّتْ . فَمَا مَالُكُمْ ؟ قالت : خَيْرُ
مالٍ . قال : وما هو ؟ قالت : الإِبْلُ ، نَأْكُلُ لَحْمَانَهَا
مِزْعاً ، ونَشْرَبُ أَلْمَانَهَا جِرْعاً ، وَتَحْمِلُنَا وَضَعَتَنَا مَعاً .
فقال : زَوْجٌ كَرِيمٌ وَمَالٌ عَمِيمٌ .

(١) ذو الإصبع العدواني . سرثان بن عمرو ، شاعر فارس من
شعراء الجاهلية .

ثم زار الثانية فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت :
يكره الحليّة ويقرب الوسيلة (١) ، قال : فما مالكم ؟
قالت : البقر قال : وما هي ؟ قالت : تألف الفئاة ،
وتملأ الإناء ، وتودك السفاء (٢) ، ونساء مع نساء . قال :
رضيت وحظيت .

ثم زار الثالثة فقال : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت :
لا سمح بذر ، ولا بخيل حكير (٣) . قال : فما لكم ؟
قالت : المعزى . قال : وما هي ؟ قالت : لو كنا
نولدّها فطمّا ، ونسلخها أدمّا . لم نفع بها نعاماً .
فقال : جنوة مخنية (٤) .

ثم زار الرابعة فقال : كيف رأيت زوجك ؟
فقالت : شرّ زوج ، يكره نفسه ، ويهين عيرته .
قال : فما مالكم ؟ قالت : شرّ مال ، الضأن . قال :
وما هي ؟ قالت : جوف يشبعن ، وهيم لا ينقعن ،

(١) الوسيلة . الحاحه .

(٢) تودك : من الودك ، وهو الدم .

(٣) الحكر : السىء العشرة .

(٤) جنوة : مطعة .

وصمَّ لا يسمعنَ ، وأمر مغويتهنَّ يتسعنَ (١) . فقال :
أَتَسَمَّ امرأً بعضُ بَزْد (٢) . فإرسالها مثلاً

قال الأصمعي : قيل لامرأة : سلامَ تمنعينَ زوجك
القيضة (٣) ؟ فإنه بعثتلُ بك . فقالت : كَذَبَ واللَّهِ ،
لني لأطاطيئ الوِسادَ وأُرْخِي السُّبَادَ (٤) .

قال بعضهم : سمعتَ أعرابيةً بالحجاز تَرْقِي رجلاً
من العين فقالت :

أعيذكَ بكلماتِ الله التامة ، التي لا تعجورُ عليها
هامة (٥) ، من شرِّ الجنِّ وشرِّ الإنسِ عامة ، وشرِّ
النظرة واللامَّة (٦) . أعيذكَ بمطلعِ الشمسِ ، من
شرِّ ذي مَسْشِي هَمَسَسَ ، وشرِّ ذي نظري خَلَسَسَ ،

(١) أي إن الشاة الواحدة قد تقع فيمع وراهها باقي القطيع .

(٢) البز : الثياب .

(٣) القيضة : اذراع العذراء

(٤) نوع من القباء ؛ أو هو اللود التي تمرس كالبساط .

(٥) الهامة : الواحدة من خنافس الأرض نحو العقرب

(٦) اللامه . العين تصيب بالسوء

وشرُّ ذي قولٍ دسّ ، من شرِّ الحاسدينَ والحاسداتِ ،
والنّافسينَ والنّافساتِ ، والكائدينَ والكائداتِ .

نَشَرْتُ عَنْكَ بِنُشْرَةٍ نَشَّارَ (١) ، عن رأسِكَ ذي
الأشعار ، وعن عَيْنَيْكَ ذَوَاتِي الْأَشْفَار ، وعن فَيْكَ
ذِي الْمَحَارِ (٢) ، وَظَهْرِكَ ذِي الْفَقَار ، وَبَطْنِكَ ذِي
الْأَسْرَار ، وَفَرْجِكَ ذِي الْأَسْتَار ، وَيَدَيْكَ ذَوَاتِي
الْأَظْفَار ، وَرَجْلَيْكَ ذَوَاتِي الْآثَار ، وَذِيكَ ذِي الْعُبَار ،
وعنكَ فضلاً وَذَا لِزَار ، وعن بَيْتِكَ فُرْجاً وَذَا أَسْتَار .
رَشَشْتُ بَمَاءٍ بَارِدٍ نَاراً ، وعَيْنَيْنِ وَأَشْفَاراً ، وَكَانَ
اللَّهُ لَكَ جَاراً .

ذُكِرَ أَنَّ الْجُمَانَةَ بِنْتَ الْمَهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
نَظَرَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَرْقِي الْمَنْهَرَ ،
يَخْطُبُ بِالنَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَقَالَتْ حِينَ رَأَتْهُ رَقِيَ الْمَنْهَرَ :
أَيَا نَقَّارُ انْقُرْ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ فَوْقَهُ نَجِيبٌ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةَ ، أَوْ صَقَرٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ لَقَالَ الْمَنْهَرُ :

(١) النشرة : الرقية ، ونشر عنه : رقاها .

(٢) المحار : إما بمعنى الصدف تشبيهاً للأسنان به وإما بمعنى باطن الخنك

طَيْقُ طَيْق . قال : فَأَنْسِيَّ كَلَامُهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَى بِهَا فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي بَلَغَنِي
عَنْكَ يَا لِكَتَّاعٍ ؟ قَالَتْ : الْحَقُّ أَبْلَغْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قال : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : لَا تَعْلَمُ الْحَسَنَاءُ
ذَاماً (١) . وَالسَّاحِطُ لَيْسَ بِرَاضٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا عَدَوْتُ
فِيمَا قُلْتُ لَكَ أَنْ نَسْبِتُكَ إِلَى التَّوَّاضِعِ وَالِدِينَ ،
وَعَدَوْتُكَ إِلَى الْحَسِيَاءِ وَالطَّمْعِ . وَلِئِنْ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ
لَتَحْمَدَنَّ عَاقِبَةَ شَانِكَ ، وَلَيْسَ مِنْ قَالَ فَكَلَبَ كَمَنْ
حَدَّثَ وَصَدَّقَ . وَأَنْتَ بِاللَّهِ جَاوِزٌ جَدِيرٌ ، وَنَحْنُ لِلْعَفْوِ
أَهْلٌ ، فَاسْتُرْ عَلَيَّ الْحُرْمَةَ ، تَسْتَتِمُ النِّعْمَةَ ، فَوَاللَّهِ
مَا يَرْفَعُكَ الْقَوْلُ وَلَا يَضَعُكَ . وَإِنَّ قَرِيشاً لَتَعْلَمُ
إِنَّكَ عَابِدُهَا وَشَجَاعُهَا ، وَسَنَانُهَا وَلِسَانُهَا ، حَاطَ
اللَّهُ لَكَ دُنْيَاكَ ، وَعَصَصَ أُنْحَرَاكَ ، وَاللَّهِمَّ كَرِّ شُكْرَ
مَا أَوْلَاكَ .

ذكر الأصمعيُّ عن أبان بن تغلب (٢) قال : خرجتُ
في طلبِ الكتَّاءِ ، فانتَهيتُ إلى ماءٍ من مياهِ كَلَبٍ ؛

(١) الذَّام : العيب ، والقول من الأمثال .

(٢) أبان بن تغلب ، فقيه معروف وقارئ مشهور .

وإذا أعرابيٌّ على ذلك الماءِ ومعه كتابٌ منشورٌ يقرؤه
عليهم ، وجعل يتوَعَّدُهم . فقالت له أمُّه وهي في خبايِها .
وكانت مُتَّعِدَةً كِبَرًا : ويلَكَ ! دعي من أساطيرِكَ .
لا تحمِلْ عُقُوبَتَكَ على من لم يُحْمِلْ عَلَيْكَ ، ولا تتطاولُ
على من لا يتطاولُ عليك . فإنكَ لا تدري ما يُقَرِّبُكَ إليه
حوادثُ الدهورِ ، ولعلَّ من صَيَّرَكَ إلى هذا اليوم أن
يُصَيِّرَ غيرَكَ إلى مثله غدًا ، فينتقمَ منك أكثرَ ممَّا
انتقمْتَ منه ، فاكفُفْ عَمَّا أسمعُ منك ألمَ تسمعُ إلى
قول الأوَّل (١) .

لا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عَمَلَكَ أَنْ
تَرُكَّعَ يَوْمًا وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية — وكانت
من أعقل النساء — إنِّي أريد الحَجَّ فأوصيني . قالت :
أُوجِزُ فَأُبْلِغُ ، أم أَطِيلُ فَأُحْكِمُ . فقلت : ما شِئْتِ .
قالت : جُدْ تَسُدْ . واصبرْ تفز . قلت : أيضًا قالت :
لا يتعدَّ غضبُكَ حِلْمَكَ ، ولا هَوَاكَ عِلْمَكَ ، وقِ

(١) هو الأضبط بن قريع . شاعر جاهلي .

دينك بدنياك ، وفير عيرضك بعرضك ، وتفضل
تخدم ، واحلم تقدم .

قلت : فمن أستعين ؟ قالت : الله . قلت : من
الناس ؟ قالت : الجسد النشيط ، والتأصح الأمين .

قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرب الكيس ،
أو الأديب الصغير .

قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديق المسلم ،
أو المداحي المتكرم . ثم قالت : يا أبتاه ، إنك تفيد
إلى ملك الملوك ، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

روي أن رسول الله صلى الله عليه خرج ليلة هاجر
من مكة إلى المدينة وأبو بكر رحمه الله وعامر بن
فهيصة (١) ودليهما الليثي عبد الله بن أريقط .
فسروا على خيمة أم مسعود الخزاعية (٢) - وكانت
امراة برزة جادة ترحمني بفناء الكعبة ، ثم تسقي

(١) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، من السابقين إلى الإسلام ، شهد
ندراً وأحداً ، وقتل يوم بدر معونة .

(٢) اسمها عاتكة ، وهي أخت حبيش بن خالد .

وَتُطْعَمُ — فَسَأَلُولَهَا لَحْمًا وَتَمَرًا لِيَشْتَرَوْهُ مِنْهَا ، فَلَمْ يَصِيبُوا
عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِينَ (١) ،
فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى شَاةٍ فِي كَيْسَرِ الْحَيْصَةِ .
فَقَالَ : مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبُدٍ ؟ قَالَتْ : شَاةٌ نَخَلَتْهَا
الْجَهْدُ عَنْ الْغَنَمِ . قَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ : هِيَ
أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبُهَا . قَالَتْ :
بِأُيِّ وَأُمِّي أَنْتَ . نَعَمْ ، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَاحْلُبْهَا . فَدَعَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِالشَّاةِ فَمَسَحَ ضَرْعَهَا ، وَسَمَّى
اللَّهَ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِيهَا ، فَتَفَاجَّتْ (٢) عَايَهُ وَدَرَّتْ
وَأَخْتَرَتْ (٣) ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ (٤) فَحَنَبَ
فِيهِ ثَجًّا (٥) حَتَّى غَلَبَهُ الثُّمَالُ (٦) . ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى
رَوَيْتَ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ

(١) أصابتهم السنة أي الفقر .

(٢) تفاجت : بالغت في تفريج رجلها .

(٣) اخترت : أكثرت .

(٤) يربض الرهط : يرويه ويشبههم .

(٥) ثجا : لبنا سائلا كثيرا .

(٦) الثمال : جمع ثمالة وهي الرغوة .

وقال : سَأَقِي الْقَوْمَ آخِرَهُمْ شَرًّا . فشرّبوا جميعاً عللاً
بعدنهل ، ثم أراضوا (١) ، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على
بدءٍ حتّى ملأ الإذناء ، ثم غادره عندها وباعها وارتحلوا
عنها .

كانت حميدة بنت النعمان (٢) بن بشير بن سعد
تحت رّوح بن زنباع (٣) فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه
جُدام وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى
إلا جُداماً ؟ فوالله ما أحبُّ الحلالَ منهم فكيف الحرام .

قالت الجُمَانَةُ بنتُ قيس بن زُهَيْرِ العبَّاسيِّ لآبيها
لما ترق ما بينه (٤) وبين الربيع بن زياد (٥) في الدّرع :
دعني أناظرُ جدي ، فإن صالِحَ الأمر بينكما ، وإلا كنتُ
من وراء رأيك . فأذن لها ، فأثت الربيع فقالت : إن كان

(١) أراضه : صب اللبن على اللبن وروي .

(٢) شاعرة مجيدة ، كانت تهجو زوجها رّوح بن زنباع .

(٣) رّوح بن زنباع أمير فلسطين ، كان ذا رأي مقدما عند
الخلفاء توفي سنة ٨٨٤ .

(٤) شرق : اختلط واضطرب .

(٥) الربيع بن زياد العبَّاسي أحد شجعان العرب .

قَيْسُ "أَبِي فَإِنَّكَ يَا رَبِّيعُ جَدِّي ، وما يجبُ له من حقِّ
الأبوة عليَّ إلا كالذي يجب عليك من حقِّ النبوة لي .
والرأيُ الصحيحُ تبعثُهُ العنايةُ ، وتُجَلِّي عن مَحْضِيهِ
النصيحة . إِنَّكَ قد ظلمتَ قيساً بأخذِ درْعِهِ ، وأجد
مكفأته إيمانك سوءَ غرمة ، والمُعَارِضُ مُنْتَصِرٌ ،
والبادي أظلم ، وليس قيسٌ ممَّنْ يخوفُ بالوعيد ولا
يردعه التهديد ، فلا تركزنَّ إلى مُتَابَلَتِهِ ، فالخزمُ في
مُتَارَكَتِهِ ، والحربُ مَسَلَفَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بِالطَّارِفِ
والتلاد ، والسَّلامُ أرخى للمال . وأبقى لأنفسِ
الرجال . وبحقِّ أقول ، لقد صدَّعتُ بِحُكْمِ ، وما بدفعُ
قولي إلا غيرُ ذي فهم .

دخل عبد الله بن الزبير على أمِّه أسماء بنتِ أبي بكر
في اليوم الذي قُتل فيه ، فقال : يا أُمَّة ! دخلني الناسُ
حتى أهلي وولدي ولم يبقَ معي إلا اليسيرُ ومن لا دفع
عنده أكثرُ من صبر ساعةٍ من النهار . وقد أعطاني القومُ
ما أردتُ من الدنيا فما رأيك ؟ قالت : إن كنتَ على
حقٍّ تدعو إليه فامضِ عليه ، فقد قُتل عليه أصحابُك ،
ولا تُسَكِّنُ من رقبتيك غلمانَ بني أُمَيَّةٍ فيتاعَبُوا بك .

وإن قلت : إني كنتُ على حقٍّ فليمتَّ وهن أصحابي
صعفتُ نيتي فليسَ هذا فعلَ الأحرارِ ، ولا فعلَ
من فيه خير ، كم نخلودُك في الدنيا ؟ القتلُ أحسنُ ما تقعُ
به يا بنَ الزبير . والله لضربةٌ بالسيفِ في عزٍّ أحبُّ إليَّ من
ضربةٍ بسوطٍ في ذلٍّ .

قال لها : هذا والله رأيي ، والذي قمتُ به داعياً إلى
الله . والله ما دعاني إلى الخروجِ إلاَّ الغضبُ لله عز وجل
أن تهتكتَ محارمه . ولكني أحببتُ أن أطلعَ رأيك
فيزيدني قوةً وبصيرةً مع قوتي وبصيرتي . والله ما
تعمدتُ إتيانَ منكبرٍ ولا عملاً بفاحشة ، ولم أجُرْ
في حُكْمٍ ، ولم أغدرَ في أمان ، ولم يبلغني عن عمالي
فرضيتُ به . بل أنكرتُ ذلك ولم يكن شيءٌ عندي أثر
من رضا ربِّي .

اللهم إني لا أقول ذلك تزكيةً لنفسي ، ولكن أقوله
تعزيةً لأنَّمي لئلا تسلمَ عنِّي . قالت له : والله إني لأرجو أن
يكون عزائي فيك محسناً بعد أن تقدمتني أو تقدمتك ،
فإن في نفسي منك حرجاً حتى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرك .

ثم قالت : اللهم ارحم طول ذاك النحيب والظمأ
في هواجر المدينة ومكة وبره بأُمَّه . اللهم إني قد سلمت
فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك ، فأثبني في عبد الله
نواب الشاكرين . فودعها وقال : يا أُمَّه لا تدعي الدعاء
لي قبل قتي ولا بعده . قالت : ان أدعه لك . فمن قبل
على باطل فقد قتلت على حق . فخرج وهو يقول :
فلمست بمبتاع الحياة سببة

ولا مرتق من خشية الموت سلماً (١)
وقال لأصحابه : احملوا على بركة الله . وحارب
حتى قُتل .

وروي أنه دخل على أُمِّه أسماء وهي عليه ، فقال :
يا أُمَّه . إنني الموت لراحة . فقالت : يا بني ، أهلك
تتمنى موتي فوالله ما أحب أن أموت حتى تأتي على أحد
سرفتيك ، فلما أن نظمت بعدوك فتقر عيني وإما أن تقتل
فأحتسبك . قال : فالتفت إلى أخيه عروة (٢) وضحك .

(١) السبت للحصين بن الحمام المري .

(٢) عروة بن الزبير ، المدني الفقيه ، جمع العلم
والسيادة وكان بصوم الدهر ، ولد سنة ٢٩ هـ وتوفي
سنة : ٩٤ هـ .

فلما كان في الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها دخل في
السحر عليها فشاورها ، فقالت : يا بُنيَّ لا تجيبَنَ إلى
خُطَّةٍ تخافُ على نفسك القتلَ . قال : إِنَّمَا أَخَافُ
أَنْ يُسْأَلُوا بِي . قالت : يا بُنيَّ ؛ إِنْ الشاةَ لَا تَأْكُلُ
السَّلَخَ بعد اللَّبَنِ .

حجَّتْ أُمُّ حَبِيبِ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَهْتَمِ فَبَعَثَ
إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَعَضَبَهَا ،
فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ آتِ هَذَا الْبِلَادَ لِلتَّزْوِيجِ ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لَزِيَاوَةِ
هَذَا الْبَيْتِ فَإِذَا قَدِمْتُ بِلَدِي وَكَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَشَأْنُكَ .
قال : فَازْدَادَ فِيهَا رَغْبَةً ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ أَرْسَلَ
إِلَيْهَا فَعَضَبَهَا ، فَقَالَ إِخْوَتُهَا : إِنَّهَا امْرَأَةٌ لَا بُفْسَاتٍ
عَلَى مِثْلِهَا بَرَأِي ، وَأَتَوْهَا فَأَنْهَبُوهَا الْخَبَرَ ، فَقَالَتْ : إِنْ
تَزَوَّجَنِي عَلَى حُكْمِي أَجْمَعُ . فَأَدَّوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ :
امْرَأَةٌ مِنْ تَمِيمٍ ، أَتَزَوَّجُهَا عَلَى حُكْمِهَا . ثُمَّ قَالَ : وَمَا
عَسَى أَنْ يَبْلُغَ حُكْمُهَا ؟ قَالَ : فَأَعْطَاهَا ذَلِكَ . فَقَالَتْ :
قَدْ حَكَمْتُ بِصَدَاقِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَنَاتِهِ ؛
إِنِّي عَشْرَ أَوْقِيَّةٍ . فَتَزَوَّجُهَا عَلَى ذَلِكَ ، وَأَهْدِي لَهَا مِائَةَ
أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَمَجَّاءَتْ إِلَيْهِ فَبَسَنَى بِهَا فِي لَبْلَةٍ قَائِظَةٍ عَلَى سَطْحِ

لا حظّارَ (١) عليه ، فلمّا غلبته عينه أخذتُ خِمارها
فشدّته في رجله ، وشدّت الطرف الآخر في رجلها .

فلما انتبه من نوميه رأى الخمار في رجله . فقال :
ما هذا ؟ قالت : أنا على سطح ليس عليه حظّار ، ومعى
في الدار ضرائرُ ، ولم آمن عليك وسنّ النوم ، ففعلتُ
هذا حتى إذا تحركت تحركت معك . قال : فازداد فيها
رغبة ، وبها عجباً . ثم لم يلبث أن مات عنها فكلّسوها في
الصلح عن ميراثه . فقالت : ما كنت لأخذ له ميراثاً أبداً ،
وخرجت إلى البصرة ، فبعث إليها نَقَرٌ يخطبونها منهم
يزيدُ بن معاوية وعبدُ الله بن الزبير وسعيدُ بن العاص (٢)
وعبدُ الله بن عامر (٣) فأتاها إخوتها فقالوا لها : هذا ابنُ
أمير المؤمنين . وهذا ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه ،
وهذا ابنُ حواريّه ، وهذا ابنُ عامرٍ أميرُ البصرة .

(١) الحظّار بفتح الحاء وكسر ها : بناء يمنع السقوط من السطح .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ، قائد وأمير شجاع

افتتح طبرستان ، توفي سنة ٥٥٩ هـ .

(٣) عبد الله بن عامر الأموي أمير قائد ولاء عثمان على العراق وافتتح

خراسان وأطراف فارس وتوفي سنة ٥٥٩ هـ .

اختراري من شئت منهم . قال : فردّتهم جميعاً . وقالت :
 ما كنت لأتخذ حتماً بعد ابن رسول الله صلى الله عليه .

وقال المدائني : أتتني عبيد الله بن زياد (١) بامرأة
 من الخوارج ، فقطع رجلها وقال لها : كيف ترين ؟
 فقالت : إنّ في الفكر في هول المطلق لشغلاً عن
 حاد يدتك هذه . ثم قطع رجلها الأخرى وجلد بها ،
 فوضعت يدها على فرجها . فقال : إنك لتسترينه .
 فقالت : لكنّ سُميّة أمك (٢) لم تكن تستره .

قال المهدي للخيزران أم موسى وهارون ابنيه :
 إن موسى ابنك يتيه أن يسألني حوائجه . قالت : يا أمير
 المؤمنين ، ألم تك أنت في حياة المنصور لا تبدئه بحوائجك
 وتُحب أن يبتدئك هو ؟ فموسى ابنك كذلك يحب
 منك . قال : لا ، ولكنّ التّيه يمنعه . قالت : يا أمير
 المؤمنين ، فمن أين أتاه التّيه ؟ أمن قبلي أم قبلك ؟

(١) عبيد الله بن زياد ، الذي أرسل الجيش للمحسين فقتله ، ولي العراق
 بعد أبيه ، قتله المختار الثقفي سنة ٨٦٧ هـ .
 (٢) تريد : أم أبيه زياداً .

روي عن بعضهم أنه قال : بينا أنا ذات يوم بالبادية ،
فخرجت في بعض الليالي في الظلمات ، فإذا أنا بجارية
كأنّ لها عظم ، فأردتها على نفسها فقالت : ويحك !
أمالك زاجرٌ من عقلٍ إذ لم يكن لك ناهٍ من دين ؟
قلت لها : والله ما يراننا شيءٌ إلا الكواكب . قالت :
ويحك . وأين مكوكبها ؟ !

قال الحافظ : لما مات رقية بنت مصقلة (١) أوصى
إلى رجلٍ ودفع إليه شيئاً . فقال : ادفعه إلى أختي .
فسأل الرجلُ عنها فخرجت إليه فقال لها : أحضريني
شاهدين يشهدان أنك أخته . فأرسلت جارتها إلى الإمام
والمؤذن ليشهدا لها . واستندت إلى الحائط . فقالت :
الحمد لله الذي أبرزَ وجهي ، وأنطقَ عني ، وشهرَ
بالفاقة اسمي . فقال الرجل : شهدت أنك أخته حقاً .
ودفع الدنانير إليها ، ولم يحسبْ إلى شهادة من يشهد لها .
خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان . فقالت :
لا أتزوجُ به والله أبداً ، فقل لها : ولم ذلك ؟ قالت :

(١) رقية بنت مصقلة العبدي الكوفي ، من سادات العرب ، كان ثقة
منوها ، توفي بعد سنة ٥١٤٠ هـ .

لأنّه أحقق ، له بيرذونانِ أشْهَبانِ ، فهو يتحملُ مؤونة
اثنينِ واللونُ واحد .

ذكر رجلٌ من قريشٍ سوءَ خلقِ امرأته بين يدي
جاريةٍ له كانَ يَسَحَظُّهَا فقالت له : إنَّما حُظوظُ
الإماءِ لسوءِ خلأئِقِ الحِرائِرِ .

اختلف الحجاج وهيندُ بنتُ أسماءَ بنِ خارجةٍ
في بناتِ قَيْسٍ ، فمعت إلى مالك بنِ أسماء (١) فأخرجه
من الحبس ، وسأله عن الحديث فحدثه ثمَّ أقبل على هند .
فقال لها : قومي إلى أخيك . فقالت : لأقومُ إليه وأنتَ
ساخطٌ عليه . فأقبل الحجاجُ على مالك فقال : إنك واللهِ —
ما علمتُ — للخائنُ لأمانته ، اللئيمُ حَسَنُهُ ، الزَّاني
فَرَجُهُ . فقالت هند : إنَّ أذنَ الأميرِ تكَلَّمتُ فقال :
تكَلِّمي . فقالت : أما قول الأميرِ : الزَّاني فرجُهُ ،
فواللهِ لهو أحقرُ عند اللهِ وأصغرُ في عين الأميرِ من أن
يَجِبَ لله عليه حدٌ فلا يقيمَه .

(١) مالك بنِ أسماء بنِ حارجه الفزاري شاعر من الأشراف ،
توفي سنة ثيف ومائة هجرية .

وأما قول الأمير : اللئيمُ حسبُهُ فوالله لو علمَ مكانَ رجلٍ أشرفَ منه لصاهرَ إليه .

وأما قوله : الخائنُ أمانته . فوالله لقد ولّاهُ الأميرُ فوفّر ، فأخذَه بما أُخِيده به فباعَ ماوارءَ ظَهْرِهِ . ولو ملكَ الدنيا بأسرها لافتدى بها من مثل هذا الكلام . أتى البردُ على زرعٍ عجوزٍ بالبادية ، فأخرجت رأسها من الخباء ونظرتُ إلى الزرع قد احترق فقالت — ورفعت رأسها إلى السماء — : اصنعُ ماشئتَ فإنَّ رزقي عليك .

قيل لرابعة (١) : إنَّ الزوجَ فرضُ الله عز وجل فلم لاتزوجين ؟ فقالت : فرضُ الله قطعني عن فرضه . كانت عاتكةُ بنتُ زيد بن عمرو بن نفيل (٢) عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقتلَ عنها ، فخلفَ عليها عمرُ بن الخطاب فقتلَ عنها ، فخلفَ عليها

(١) رابعة العدوية العابدة الزاهدة ولدت سنة ١٠٠هـ وتوفيت سنة ١٨٠هـ

(٢) عاتكة بنت زيد القرشية العدوية ، كانت من المهاجرات للمدينة ، كادت تحصر صلاة الجماعة في المسجد .

الزبير ، فقتل ، فخلف عليها محمد بن أبي بكر فقتل (١) .
فقال عبد الله بن عمر : من سره الشهادة فليتزوج عاتكة .
فبلغها ذلك فقالت : من سره أن يكون بيضة البلد ، حبلى
لاتطير ولا تلد ، فليكن كعبد الله . فبلغ ذلك عبد الله بن
جعفر الطيسار (٢) فضحك وقال : ما هو كما قالت إنه
لمصباح بلد ، وابن كهنف الإسلام .

وقد روي عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه قال :
من اشتاق إلى الشهادة فليتزوج عاتكة .

قال بعضهم : مررت على هند بنت المهلب ، فرأيت
بيدها مغزلاً تغزل به ، فقلت لها : تغزلين ؟ قالت :
نعم سمعت أبي يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أعظم كن أجراً أطول كن طاقة ، وهو يطرد
الشیطان وينهب بحديث النفس » .

(١) هو : ابن أبي بكر الصديق ، ولي مصر من قبل علي ، أرسل
إليه معاوية حسداً فهزم ، وقتل سنة ٥٣٨ هـ .
(٢) أحد أجواد العرب ، ولد بالحينة ، وهو آخر من رأى الرسول
من بني هاشم . توفي سنة ٥٨٠ هـ .

وروي عن عائشة أنها قالت : الميغزلُ في يد المرأة
مثلُ الرُمحِ في يد الغازي .

قيل للخنساء : لم يكن صخرٌ كما وصفتِ . قالت :
وكيف ذلك ؟ فوالله لقد كان نديَّ الكفَّين ، يابسَ
الجنين ، يأكلُ ما وجدته ، ولا يسأل عما عهده .

قيل لحبي (١) المدينة : ما السقم الذي لا يبرأ ، والجرح
الذي لا يندمل ؟ قالت : حاجةُ الكريم إلى اللئيم لا يُجدي
عليه . قيل : فما الشرف ؟ قالت : اعتقادُ المِنَنِ في
أعناق الكرام ، يبقى للأعقاب على الأحقاب .

ذكرَ نوسةٌ أزواجهنَّ فقالت إحداهن : زوجي
عَوْنِي في الشدائد ، والعائِدُ دونَ كلِّ عائِد ، إن
غضبتُ عَطَفَ ، وإن مرضتُ لَطَفَ .

وقالت الأخرى : زوجي لما عَنَانِي كافٍ ، ولما
أَسَقَمَنِي شافٍ ، عناقُه كالخلد ، ولا يملُّ طولُ العهد .

(١) حبي المدينة امرأة كانت مزواجا على كبر سنها .

وقالت الأخرى زوجي الشعارُ (١) حين أُجردُ ،
والأنسُ حين أُفردُ ، والسكّنُ حين أُرقدُ .

قال بعضهم : رأيتُ بالمدينة امرأةً بين عينيها
سجّادةٌ ، وعليها ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، فقلتُ لها : ما أبعد
زيّك من سمّتكِ ! فقالت :

وللهِ مِنّي جانبٌ لا أضيقُهُ
وللهِ مِنّي جانبٌ ونصيبُ

قال الزّبير بن بكار (٢) : قالت بنتُ أخي زوجي :
خالي خيرُ رجلٍ لأهليه ، لا يتخذُ ضرةً ولا يشتري
جارية . فقالت المرأة : واللهِ لهذه الكتّيبُ أشدُّ عليّ من
ثلاثِ ضرائرٍ .

حجّتُ فاطمةُ بنتُ الحرّ شَبَّ الأُمّارية أمّ الكمّلةِ ؛
الربيعِ وعمارةَ وقيسَ وأنسَ ، وكانت محبّتها هذه في
الجاهلية ، فقال لها رجلٌ من أهل مكّة : من أشرفُ

(١) الشعار : الثوب الذي يلبس على الجسد ويلى الشعر فيه .
(٢) الزّبير بن بكار الزبيري ، قاضي مكّة ، إخباري مؤلف ،
توفي سنة ٢٥٦ هـ .

ولذلك ؟ قالت : الربيع . لا بل عمارة . لا بل قيس .
لا بل أنس . شكياتهم إن كنت أدري أيهم أسود .

وكان يقال للربيع الكامل ، ولأنس الطويل ، ولقيس
الوقاعة ، ولعمارة داليق وإنما قيل له ذلك أنه كان
يدلّ على الخيل في كل وجه .

خرج محمد بن واسع (١) في يوم عيد ومعه رابعة :
فقال لها : كيف ترين هذه الهيئة ؟ فقالت : ما أقول
لكم ؟ خرجتكم لإحياء سنة وإماتة بدعة ، فأراكم قد
تباهتكم بالنعمة ، وأدخلتكم على الفقير مضرة .

قالت امرأة من بني تغلب للجحاف بن حكيم (٢)
في وقعة البشر التي يقول فيها الأخطل . :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة
إلى الله فيها المشتكى والمعول
فص الله عمادك ، وأكبت زنادك ، وأطال

(١) محمد بن واسع الأزدي من الورعين المباد . توفي سنة ٨١٢٣ .
(٢) الجحاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، عاش في أيام عبد الملك بن
مروان ، وله حروب مع بني تغلب .

سُهِدَاكَ . وَأَقْسَلَّ زَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ قَتَلْتَهُ
إِلَانِسَاءَ أَصَابِلُهُنَّ دُمِّي وَأَعَالِيَهُنَّ تُدِي — وَكَانَ قَدْ
قَتَلَ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ — فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلَدَ
مِثْلَهَا لَأَسْتَبَقِيْتُهَا وَأَمَرَ بِقَتْلِهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ
فَقَالَ : إِنَّمَا الْجَحَدُافُ جَدَّوَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .

قال أبو عمرو بن العلاء (١) : خرجت ذات ليلة أطوف ،
فإذا أنا بامرأة قد فضح وجهها ضوء القمر متعلقة وهي
تقول : إلهي ! أما وجدت شيئا تُعَذِّبُ به إلا النار .
ثم ذهبت ، فمنت ثم عدت فوجدتها وديدها أن تقول
ذلك . قلت : لو عذِّبَ بما سوى النار ، فكان ماذا ؟
قالت : يا عمّاه ، أمّا واللّهِ لو عذِّبَ بغير النار
أقمضينا أوطاراً .

قال بعضهم : كنت عند فاطمة بنت المهلب أعرض
عابها طيباً فقممت وتركت المتاع بين يديها ، فلما جئت
قالت : يئس ما صنعت ، لا تأمن امرأة قط على رجل
ولا على طيب .

* * *

(١) قيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسمه زيان بن جبر ، عالم أهل
البصرة ، ومن أوسمهم علما بكلام العرب ، توفي سنة ١٥٤ هـ .

الباب الثالث

الحمل والنحر

قدّم بعضهم رجلاً إلى القاضي وادّعى عليه مالا فقال : صدّقوا ، أسألهم أن يؤخروني حتى أبيع مالي أو عقاري أو رقيقتي أو أجلي . فقالوا : كذب أيها القاضي . ماله قليل ولا كثير . ولكنه يريد مدافعتنا فقال : أصلحك الله . فقد شهدوا بالعدم . فخلّني سبيله .

قال بعضهم : خرجت ليلة فإذا أنا بالطائف قد أقبل : فلما رأيته من بعيد صحت : المستغاث بالله وبالطائف فقال لي الطائف : مالك ؟ قلت : قوم سكارى في بيتي قد عربدوا ، وسلّوا السكاكين ، وجئت في طلبك لتخاضعتي منهم فقال : امشي بين يدي . فمشيت ودخلت البيت ، وأغلقت الباب ، وصعدت السطح ، وتطلّعت عليه وقلت : انصرف مأجوراً فقد تصالحوا .

سُئِلَ بعضهم عن رجل أرادوا أن يزوجه فقال :
 إِنَّ لَهُ شَرَفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا (١) فنظروا فإذا هو ساقطٌ .
 سَفَلَةٌ . ففعل له في ذلك ، فقال : ما كذبت . شرفه
 أَذْنَاهُ ، وَقَدَمُهُ التي يمشي عليها ، ولابد من أن يكونَ
 له بيتٌ يأوي إليه .

لما بايع الرشيدُ وَلَدَهُ تَخَلَّفَ رجلٌ مذكورٌ من
 المُقْبِهَاءِ ، فأحضره وقال له : لِمَ تَخَلَّفْتَ عن البيعة ؟
 قال : عاقني يا أميرَ المؤمنين عاتقٌ . فأمر بقراءة كتاب
 البيعة عليه . فلما قُرِئَ قال : يا أميرَ المؤمنين هذه البيعةُ
 في عتقي إلى قيامي الساعة . فلم يفهم الرشيد ما أراد ،
 وقدَّرَ أَنَّهُ يريدُ إلى قيام الساعة . وذهب ما كانَ في
 نفسه عليه .

فيل لبعض الفقهاء : لم استعجزتُم استعمال الحَيْلِ
 في الفقه ؟ فقال : الله تعالى علَّمنا ذلك فإنه قال :
 « وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ (٢) » .

(١) القدم : الساق

(٢) سورة ص : ٤٤ ، وفي التفسير . أن سيدنا أيوب حلف
 ليضرب امرأته مئة سوط فقال له الله تعالى : خذ حزمة فيها مائة عود
 فاضربها بها صرقة واحدة . . والضغث : الشمراخ .

جحد رجلٌ مالَ رجلٍ فاحتكمَ إلى إياس بن معاوية (١) فقال للطَّالِب : أين دفعتَ إليه هذا المال ؟ قال : عند شجرة في مكان كذا . قال : فانطلقْ إلى ذلك الموضعِ لعلَّكَ تتذكَّرُ كيفَ كان أمرُ هذا المال ، وعلَّ اللهَ يوضحُ لك سبباً . فمضى الرجلُ وخصمهُ فقال إياس بعد ساعة : أترى خصمُكَ بلغ موضعَ الشجرة . قال : لا بعدُ . قال : يا عدوَّ الله ، أنتَ خائن . قال : أقلني أقالك الله . فاحتفظَ به حتى أقرَّ وردَ المال .

قال معاويةُ لعمرو : أنتَ أدهى أم أنا ؟ قال عمرو : أنا للبديةِ . وأنتَ للأناة . قال : كلا . قال عمرو : أدنِ منِّي رأسك أسأركَ ، فأدنى رأسه فقال عمرو : هذا من ذاك . هل ها هنا أحدٌ غيرك .

قال المخيرةُ بنُ شعبةَ : ما خدعني غيرُ غلامٍ من بني الحارثِ بنِ كعب . فإني ذكرتُ امرأةً منهم فقال : أيها الأميرُ لا خيرَ لكَ فيها . قلت : ولم ؟ قال : رأيتُ

(١) إياس بن معاوية فاضي البصرة ، يصرب بدكائه المثل ، توفي

سنة ٨١٢٢ .

رجلاً يقبلها . فأضربتُ عنها فتزوجها النبي . فأرسلتُ
إليه : ألم تعلمتي كذا وكذا من أمرها . قال : بلى رأيت
أباها يقبلها .

كان لعبد الله بن مُطيع غلامٌ مؤنثٌ قد أدبه
وخرجه وصيره قهرمانه ، وكان أتاهاهم قومٌ من العدو
في ناحية البحر . فرآه يوماً يبكي فقال : مالك ؟ قال :
تمنيتُ أن أكون حراً ، فأخرجُ معَ المسلمين . قال :
وتحب ذاك ؟ قال : نعم . قال : فأنت حرٌّ اوجه الله
فأخرج . قال : فإنه قد بدا لي ألاّ أخرج . قال :
خُذ عني والله .

كان عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ (١) أمياً لا يقرأ ولا يكتب .
وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظرَ فيه كأنه يقرؤه فإذا
نهض من مجلسه حُمِلَتِ الكتبُ معه . فيدعو جاريةً
كاتبَةً ويدفعُ إليها الكتبَ فتقرؤها عليه ويأمرها فتوقعُ
بما يريد ، ويخرج الكتاب ، فاسترابَ به بعضُ كُتَّابِهِ
فكتب كتاباً على لسان بعض العمال وطواه مُنَكَّساً أعلاه

(١) أمير العرائين : عزله هشام سنة ٨٩٧ ، وتوفي حوالي سنة ٩١٣ هـ .

إلى أسفله ، فلمّا أخذَهُ ونظرَ فيه ولم ينكرهُ تحقّق
أنّه أُمِّيّ .

قال بعضُ القُضاة لرجل : كيف أقبلُ شهادتك
وقد سمعتك تقول لمغنيّة : أحسنت ؟ قال : أليس إنّما
قامتُ ذلك بعد سكوتها . فأجاز شهادته .

أتى معنُ بنُ رائدةَ (١) بثلاث مئة أسيرٍ من
حَضْرَمَوْت فأمرَ بضرب أعناقهم ، فقام منهم غلامٌ حين
سالَ عِذاره فقال : أنشدك الله أن تقتلنا ونحن عِطّاشٌ
فقال : استقوهم ماء فلمّا شربوا قال : اضربوا أعناقهم .
فقال الغلام : أنشدك الله أن تقتلَ ضييفانك . قال :
أحسنت . وأمر باطلاقهم .

كان بالأهواز رجل له زوجةٌ ، وكانت له أرضٌ
بالبصرة ، فكان يكثر الانحدارَ إليها فارتابت زوجته
وتتبعته أثره ، فوقفَت على أنّه قد تزوّج بالبصرة
فاحتالت حتّى صار إليها خطٌّ عَمَّ البصريّة ، وبعثت

(١) أمير قائد شجاع ولي سجستان وقتلته الخوارج سنة ٥١٥ هـ .

به إلى رجل يحكي كلَّ خطِّ رآه ، وأجازته ، حتى كتب كتاباً عن لسان عمِّ البصريَّة إلى روحها بذكر أنَّ المرأة قد ماتت ، ويسأله التعجيلَ إليه لأخذ ما تركت وسمَّى مالها وجاريته . ودسَّت الكتاب مع ملاح قدم من البصرة ، فلمَّا وصل إليه الكتابُ قرأه فلم يشك فيه ، ودخل وقال لامرأته : اعلمي لي سفرة . قالت : ولم ؟ قال : أريدُ البصرة . قالت : كم هذه البصرة ؟ ! قد رابني أمرُك . لعلَّ لك بها امرأة ، فأنكر ، فقالت : احلف . فحلف أن كلَّ امرأة له غيرَها طالق ، سكوناً إلى أن تلك قد ماتت ، وما يضرُّه ذلك . فامسَّ حلف قالت : دَعِ السفرة . قد أغناك الله عن البصرة . قال : وما ذاك ؟ قالت : قد طلَّقت الماسقة . وحدَّثته بالقصة فندم .

قال الأعمش (١) : أخبرني تميمُ بنُ سَلَمَة أن رجلاً شهد عند شُرَيْح (٢) وعليه جُبَّة ضيقة الكُميين .

(١) سليمان بن مهران الأعمش ، محدث الكوفة وعالمها ، كان له دعابة ، توفي سنة ١٤٨ هـ .

(٢) ابن الحارث الكلبي ، ولي القضاء لعمر وتوفي سنة ٧٨ هـ .

فقال شريح . أتتوضأ وعليك جبتك هذه ؟ احسر عن
دراعتك . فحسر ، فلم يبلغ كُمُّ جُبَّتِهِ إلى نصفِ السَّاعدِ .
وردَّ شهادته .

فدَّعَتْ امرأةٌ روجهما إلى أبي عمر القاضي ، وادَّعَتْ
عليه مالا . فاعترف به فقامت : أيَّها القاضي خُذْ بحقي
ولو بحسبه . فتأطَّفتْ لها لثلا تحبسه ، فأبتْ إلا ذلك ،
فأمر به ، فاما مئىَ خُطُواتِ صاحِ أبو عمر بالرجل وقال
له : أَلَسْتَ مِسْنُ لا يصبرُ على النساءِ ؟ فَفَطِنَ الرَّجُلُ
فقال : بلى أصلح الله القاضي . فقال : خذْها معك إلى
الحبس . فلما عرفت الحقيقة ندمتْ على لَمَجَّاجِهَا
وقالت : ما هذا أيَّها القاضي ؟ قال : لَكَ عَلَيْهِ حَقٌّ ،
واه عليك حقٌّ . وما لَكَ عَلَيْهِ لا يُبْطَلُ مَالُهُ عَلَيْكَ .
فعادت إلى السَّلَاسَةِ والريضا .

أخذ عبدُ الملك رجلاً كان يرى رأيَ الخوارج
فقال له : أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

وَمِنْهَا سُوَيْدُ الْبَطِينِ وَقَعْنَبُ
وَمِنْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ

فقال : إنما قلت : ومنا أمير المؤمنين وناديتك ،
فخاسي سبيله .

كان يختلف إلى أبي حنيفة رجلٌ يتَحَسَّلُ بالسَّترِ
الظَّاهر ، والسَّعَتِ البَيْتِ فَقَدِمَ رجلٌ غريبٌ وأودعه
مالاً خطيراً ، وخرج حاجاً ، فلمَّا عادَ طالبه بالوديعة
فجَحَدَهُ . فَأُلِحَّ الرَّجُلُ عَلَيْهِ فتمادى ، فكاد صاحبُ
المالِ يَهِيمُ ، ثم استشار ثِقَةً له فقال له : كُفْ
عنه ، وصِرْ إلى أبي حنيفة . فدواؤك عنده .
فانطلق إليه وخلا به وأعلمه شأنه ، وشرح له
قَصَّتَهُ فقال له أبو حنيفة : لا تُعْلِمُ بهذا أحداً . وامض
راشداً ، وعدْ إليَّ غداً . فلمَّا أمسى أبو حنيفة جلسَ
كعادته للناس . وجعلَ كما سئل عن شيء تنفَّسَ
الصُّعْدَاءَ . ففصّل له في ذلك فقال : إنَّ هؤلاءِ — يعني
السُّلطانَ — قد احتاجوا إلى رجلٍ يبعثونه فاضياً إلى مكان .
وقالوا لي : اختر من أحببت . ثم أسهلَ كُفْمَهُ وخلا بصاحبِ
الوديعة ، وقال له : أترغبُ حتى أُسَمِّيَّكَ . فذهب
يتمنّع تحليّة . فقال له أبو حنيفة : اسكت فاني أبلغُ

لك ما تحب . فانصرف الرجل مسروراً يظنُّ الظنونَ
بالجاه العريض ، والخال الحسنة .

وصار ربُّ المال إلى أبي حنيفة فقال : امض إلى
صاحبك ولا تخبره بما بيننا ، ولوَّحْ بذكرى وكتفأك ،
فمضى الرجلُ وافتضاه وقال له : ارددْ علي مالي وإلا
شكوتك إلى أبي حنيفة . فلما سمعَ ذلك وفتاه المال .
وصارَ الرَّجُلُ إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه
فقال له : استره عليه .

ولما غدا الرجلُ إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء نظر
إليه أبو حنيفة وقال له : نظرتُ في أمرك فرفعتُ قدركَ
عن القضاء .

أتى وكيعُ بنُ أبي سودٍ (١) ليأسَ بن معاوية وهو
قاصٌّ ليشهد عنده بشهادة . فقال : مرحباً بك يا أبا
ميطرف ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأشهد . قال : مالك
وللشهادة . إننا يشهد الموالي والتجار والسُّقَّاط . قال :

(١) وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ، ولي خراسان بعد قتيبة
ابن مسلم حتى نزعها منه يزيد بن المهلب .

صدقت وانصرف . ففيل له : خذك ولم يقبل شهادتك
فردك . فقال : لو علمت لعاوته بالتضيب .

كان أبو بردة (١) ولي القضاء بعد الشعبي (٢) بالكوفة .
فكان يحكم بأن رجلاً لو قال لعمرك لا يملكه : أنت حر .
أنه يعتق ويؤخذ المعتق بتمنه .

قال : فعشق رجل من بني عيس جاريةً بشار له
فجئ بها وجئت به ، فكان يشكو ذلك إليها . فأتتها
يوماً فقال لها : إلى الله أشكو . قالت : بلى والله إن لك
لحيلةً ، ولكنك عاجز . هذا أبو بردة يقضي في العتق
بما قد عادت . فقال لها : أشهد إنك لصادقة .

ثم قادت معها إلى مجلس يتجمع فيه قوم يعدلون فقال :
هذه جارية آل فلان أشهدكم أنها حرة . فألقت ما عندها
على رأسها . وبلغ ذلك مواليها فجاءوا ففدّتهم إلى أبي
بردة وفدّموا الرجل فأفقد عتقها ، وألرم الرجل ثمنها .
فلما أمر به إلى السجن خاف إذا مَلَكت أمرها أن تصير

(١) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قاضي الكوفة . توفي سنة ١٠٤ هـ

(٢) عامر بن سراحيل الشعبي ، عالم زمانه ، ولد لست سنين من

خلافة عثمان وتوفي سنة ١٠٤ هـ

إلى أوّل مَنْ يطلبها ، وأن تخيّبَ فيما صنع في أمره .
 فقال : أصلح الله القاضي ، لا بدّ من حبسي ؟ قال : نعم
 أو تُعْطِيَهُمْ ثَمَنَهَا . قال : وليس مثلي يُحبَسُ في شيء
 يسير . أشهدكم أنّي قد اعتقتُ كلّ مملوكٍ لأبي بُرْدَةَ .
 وكلّ مملوكٍ لآل أبي موسى ، وكلّ مملوكٍ للمدحج .
 فخالني سبيله ، ورجع عن ذلك القضاء فلم يحكم به .

كتب معاوية إلى عمرو بن العاصِ والمغيرة بن
 شُعْبَةَ أن يقدما عليه ، فقدم عمرو من مصرَ والمغيرة
 من الكوفة فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا إلا ليعزلنا ،
 فإذا دخلت عليه فاشك الضعفَ واستأذنه أن تأتي الطائفَ
 أو المدينةَ ، فإنّي إذا دخلت عليه سألتُه ذلك فإنه يظنّ
 أنا نريد أن نُفسد عليه .

فدخل المغيرة فسأل أن يُخفِيَه ويأذن له . ودخل
 عليه عمرو فسأله مثلاً ذلك . فقال له معاوية : قد تواطأتما
 على أمر ، وإنكما لتريدان شرّاً . ارجعا إلى عمليكما .
 كان الإسكندرُ لا يدخلُ مدينةً إلّاّ هدمها وقتل
 أهلها حتّى مرَّ بمدينة كان فيها مودّبُهُ . فخرج إليه

وَأَلْهَلَفَهُ الْإِسْكَندَرُ وَأَعْظَمَهُ فَقَالَ لَهُ مُؤَدِّبُهُ : إِنْ أَحَقَّ
 مِنْ زَيْنَ رَأْيِكَ وَسِدِّدَهُ وَأَتَى كُلَّ مَاهُوَيْتَ لَأَنَا ، وَإِنْ
 أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ قَدْ طَمَعُوا فِيكَ لِمَكَانِي مِنْكَ فَأَنَا أَحَبُّ
 إِلَا تَشْفَعْنِي فِيهِمْ . وَأَنْ تَحْلِفَ لِي يَجِبُنَا أَعْتَدُّ بِهَا عِنْدَ
 الْقَوْمِ فَاحْلِفْ لِي عِنْدَهُمْ أَنْكَ لَا تُشْفَعُنِي فِي شَيْءٍ أَسْأَلُكَ ،
 وَأَنْ تَخَالَفَنِي فِي كُلِّ مَا سَأَلْتُكَ . فَأَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا
 يَقْدَرُ عَلَى الرِّجْوَعِ عَنْهُ فِي دِينِهِ ، فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ :
 فَإِنْ حَاجَتِي أَنْ تَدْخُلَهَا وَتَخْرُجَهَا وَتَقْتُلَ مِنْ فِيهَا .
 قَالَ : مَا لِي ذَلِكَ سَبِيلَ وَلَا بَدَّ مِنْ مَخَالَفَتِكَ وَقَدْ كُنْتُ
 مُؤَدِّبِي وَأَنَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحْجُوجُ . فَلَمْ يَدْخُلْهَا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

أَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ^(١) بِخُرَّاسَانَ . فَمَرَّ فِيهِمْ
 شُعْبَةُ بْنُ ظَهِيرٍ عَلَى بَغَاةٍ لَهُ فَرَأَاهُ بَعْضُ الرِّجَالَةِ فَنَقَدَ^(٢)
 لَهُ عَلَى جَيْدِهِ^(٣) حَائِطًا ، فَلَمَسَا حَازِي بِهِ حَالٍ فِي عَجْزٍ
 بَغْلَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهَا لَا تَحْمِلُنِي وَإِيَّاكَ .

(١) الجَوْلَةُ . الْفِرَارُ مِنَ الْعَدُوِّ ثُمَّ الْعَوْدَةُ إِلَى قِتَالِهِ .

(٢) نَقَدَ . تَبَنَّى

(٣) الْجَيْدُ . الْأَصْلُ .

قال : امض ، فإنني والله ما أقدرُ أن أمشي . قال : إنَّكَ تقتلني وتقتلُ نفسك . قال : امض فهو ما أقولُ لك . قال : فصَرَفَ شُعْبَةَ وَجْهِهِ الْبَغْلَةَ قِبَلَ الْعَدُوِّ . فقال له : أين تريد ؟ قال : أنا أعلمُ أني مقتول ، فَلَأَنْ أُقْتَلَ مُقْبِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ مُدْبِرًا . فنزل الرَّجُلُ عَنْ بَغْلَتِهِ وَقَالَ : اذْهَبْ فِي حُرْقِ اللَّهِ .

اشترى شريكُ بنُ عبد الله (١) جاريةً من رجلٍ فأصابَ بها عيباً ، فقال للذي اشتراها منه : قد ظهر بها عيبٌ . قال : ما عليك . هي رخيصة ، وإن أحببتَ بِعْسُهَا لك بريح . قال : فافعل . فدفعَ الجاريةَ إليه وأقامَ أياماً ثم أتاه فقال له : لم أصِبْ بها ثمناً أرضاه . فقال له شريك : فخذها وارُدْهُ عليَّ الثمنَ . فقال له الرَّجُلُ : أبعدَ ما وكَّلْتُني لأبيعَها ورضيتَ ، تردُّها عليَّ ؟ فقال : صدقتَ ، والله خدعتني .

ورأى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه ابنَه عبدَ الله جالساً مع رجلٍ فقال له : يا بني ، احذرْ هذا ، لا تشتريَنَّ

(١) شريك بن عبد الله النخعي القاضي ، فقيه إمام توفي سنة ١٧٧ هـ .

منه شيئاً ، فإنه يتبرأ إلى الرجل من العيب . والرجل لا يفتن لذلك .

قال : فمرَّ عبدُ الله بنُ عمرَ بذلك الرجلِ يوماً ومعه غلامٌ وصيٌّ . فقال له : تبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بكذا . قال له : هل به عيبٌ . قال : ما علمت أن به عيباً إلا أننا ربما أرسلناه في الحاجة فيبطيء فلا يأتينا حتى نبعث في طلبه . فقال عبد الله : وما هذا ؟ فاشتراه منه .

فأما صار إليه أرسلاه في حاجة فهرب ، فطلبه أياماً حتى وجده ، فأتى صاحبه ليرده عليه بالإيق ، فقال له : ألم أخبرك أننا ربما أرسلناه في الحاجة فلا يرجع حتى نرسل في طلبه ؟ فعلم أنه قد خدعه .

قيل لأعرابي : أشرب قدحاً من لبَنٍ حازرٍ (١) ولا تمنحنج ؟ قال : نعم . فأخذه في حلقة مثل الزجاج ، فقال : كبشٌ أماعٌ . فقيل له : إنك تمنحنجت . فقال : من تمنحنج فلا أفلح . ومدَّ صوته ففضى وطره .

(١) الحازر . الحامض .

قال عبّيد الله بن زياد بن ظبيان (١) : إياكم والطّمع
فإنه يردي . والله لقد هممت أن أفتيك بالحجّاج ، فإنني
لواقفٌ على بابه بدّيسر الجّسماجيم (٢) ، إذا بالحجّاج قد
خرجَ على دابة ، ليس معه غيرُ غلام ، فأجمعتُ على قتله
فكأنه عرّف مافي نفسي فقال : ألقيت ابنَ أبي مُسلم ؟
قلت : لا . قال فالقّه ، فإن عهدك معه على الري . قال :
فطمعتُ وكففتُ فأثيتُ يزيدَ بنَ أبي مسالم فسألته
فقال : ما أمرني بشيء .

وقال عمرو بن يزيد الأسدي : خفنا أيام الحجّاج ،
وجعلنا نودّع متاعنا ، وعلم جارك لنا ، فخشيتُ أن يُظهِرَ
أمرنا ، فعصمتُ إلى سقَط فجعلتُ فيه لبنا ودفعته إليه ،
فمكثَ عنده حتى أمّنا . فطلبتُ منه ، فقال لي : أمّا
وجدت أحدا تودعه لبناً غيري .

توجّه عمرو بن العاص حث فتح قيساريّة (٣) إلى

-
- (١) أحد فتاك العرب ، ومن خطبا لهم وهو الذي حمل رأس مصعب
ابن الزبير إلى عبد الملك .
(٢) دبر بظاهر الكوفة على بعد سبعة فراسخ منها .
(٣) هناك مدينتان هذا الامم في فلسطين والروم والمراد هنا التي
من أعمال فلسطين .

مصر وبعث إلى عيالِجها (١) فأرسل إليه : أن أرسل إليّ رجلاً من أصحابك أكلمه . فنظروا فقال عمرو : ما أرى لهذا أحداً غيري . فخرج ودخل على العليج ، فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط ، فقال : حدثني . هل في أصحابك مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هواري عليهم ، إلا أنهم يبعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني لا يدرون ما تصنع بي . فأمر له بهجائزة وكسوة وبعث إلى البواب : إذا مرّ بك فاصبر عنته ، وخذ ما معه .

فخرج من عنده ، فمرّ برجلٍ من نصارى العرب من غسانَ فعرفه فقال : يا عمرو ، إنك قد أحسنت الدخولَ فأحسن الخروجَ . فرجع فقال له الملك : ما ردك ؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتني فلم أجدهُ يسعُ بني عمي ، فأردتُ أن أجيثلكَ بعشرةٍ منهم تعطيهم هذه العطيّة ، وتكسوهم هذه الكسوة ، فيكون معروفك عند عشرةٍ خيراً من أن يكون عند واحدٍ . قال : صدقت . فاعجل بهم . وبعث إلى البواب أن يخلّ سبيلَه ، فخرج عمرو

(١) العليج : الرجل من كفار العمم .

وهو يلتفتُ حتى إذا أمِنَ قال : لا أعود لمثلها أبدا .
فما فارقتها عمرر حتى صالحه ، فلما أتيت بالعلاج قال :
أنت هو ؟ قال عمرو : نعم على ما كان من غدرِكِ .

قُدِّمَ هُدْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ (١) لِيُقَادَ بَابِنَ عَمَهُ
زِيَادَةَ ، وأخذ ابنُ زيادَ السَّيْفَ وقد ضُوعِفَتْ
له الدِّيَّةُ حَتَّى بَلَغَتْ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَخَافَتْ أُمُّ الْغَلَامِ
أَنْ يَقْبَلَ ابْنُهَا الدِّيَّةَ وَلَا يَقْتُلَهُ فَقَالَتْ : أُعْطِيَ اللَّهُ
عَهْدًا لَنْ لَمْ تَقْتُلْهُ لِأَنْتَ وَجَنَّهُ فَيَكُونُ قَدْ قَتَلَ أَبَاكَ وَنَكَحَ
أُمَّكَ . فَقَتَلَهُ .

وَحَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُسْرُوا قَوْمًا مِنَ
الرُّومِ وَكَانَ فِيهِمْ فَتَيَانٌ لِخَوْفٍ فَضَرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ .
وَأَخَذُوا أُمَّهُمْ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهَا ، فَأَحْبَبَتْ أَنْ تُقْتَلَ
وَلَا تَبْقَى بَعْدَ وَلَدِهَا ، فَقَالَتْ لِلَّذِي صَارَتْ لِيْلِهِ :
إِنْ عَلِمْتُكَ شَيْئًا تَسْخِذُهُ فَلَا يَحِيكَ فِيكَ السَّلَاحُ ،
تُخَلِّئِي سَبِيلِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَتْ أَشْيَاءَ سَتَرَتْهَا عَنْهُ
فَطَلَتْ بِهَا رَقَبَتَهَا وَقَالَتْ : دُونَكَ اضْرَبْ وَشُدَّ ،

(١) هُدْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ بْنُ كُرْزٍ شَاعِرٌ فَصِيحٌ مِنْ بَادِيَةِ الْحِجَازِ ، كَانَ
رَاوِيَهُ لِلْحَظِيثَةِ .

فإن السيف لا يعمل في . ففرض رقبته فحز رأسها
فعلم أنها خدعته .

لما بلغ يزيد مروان ابنا عبد الملك لعاتكة بنت
يزيد بن معاوية (١) قال لها عبد الملك : قد صار ابنك
رجلين ، فلو جعلت لهما من مالك ما يكون لهما به
فضيلة على إختوتهما . قالت : اجتمع لي أهل معدلة
من موالي ومواليك . فجمعهم وبعث معهم روح بن
زنباع الجندامي - وكان يدخل على نسائهم - فدخل
كهولتهم وجلسهم وقال له : أخبرها برضائي عنها ،
وحسن لها ما صنعت . فلمّا دخلوا عليها أخذ روح
في ذلك فقالت : يا روح ، أتراني أخشى على ابني
عيلة وهما ابنا أمير المؤمنين ، أشهدكم أني قد تصدقت
بما لي وضياعي على فقراء آل أبي سفيان . فقام روح ومن
معه . فلمّا نظر إليه عبد الملك مقبلاً قال : أشهد
بالله لقد أقبلت بغير الوجه الذي أدبرت به . قال : أجل .
تركت معاوية في الإيوان آنفاً . وخبره بما كان . فغضب .

(١) عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، أم يزيد بن عبد الملك توفيت

حوالي سنة ١٢٠ هـ .

فقال : مَهْ يا أمير المؤمنين ، هذا العقلُ منها في ابنك خير لهما مما أَرَدْتَ .

قال المدائني : أنيَ عليّ عليه السلام برجل ذي مروءة قد وجبَ عليه حدٌّ . فقال لخصمائه : ألكم شُهود؟ قالوا : نعم . قال : فأتوني بهم إذا أمسيتم ولا تأتوني بهم إلاَّ مُعْتَمِنِينَ . فامسا أمسوا اجتمعوا فأثوه ، فقال لهم علي عليه السلام : نشدتُ الله رجلاً لله عندَه مثلُ هذا الحدِّ إلاَّ انصرفَ قال : فما بقي أحدٌ فدرأ الحدَّ .

عرض شُرَيْحٌ ناقةً لابیيع ، فقال له المشتري : كيف غزارتُها ؟ قال : احلبُ في أيِّ إناءٍ شئتَ . قال : فكيف وثاقتُها ؟ قال : احملُ على الحائط ما شئتَ . قال : فكيف وطأوها ؟ قال : افرشْ ونم . قال : كيف نجاؤها (١) قال : هل رأيتَ البرقَ قَطُّ ؟

قال بعضهم : ركضَ رجلٌ دابةً وهو يقول : الطريقَ ، الطريقَ . فصدمَ رجلاً لم يُنَحِّ ، فاستعدى عليه فتخارسَ الرجلُ فقال العاملُ : هذا أحرصُ .

(١) التجاء : السرعة والسبق .

قال : أصلحك الله . يتخارسُ عَمْدًا ، والله ما زال
يقول : الطَّريقَ . الطَّريقَ . فقال الرجلُ : فما تريدُ
وقد قلت لك الطَّريقَ ؟ قال العامل : صدقَ .

قال : كانت ابنةُ عبدِ الله بنِ معروفٍ عند أبي
حرثان فماتَ ، ولم يصل إليها لِقْوَتُها . فتزوجها أبو
دُلَيفٍ (١) . فكانت تمانعه سنة لا يصلُ إليها . فقال له
مَعْقِلٌ "أخوه : ما أنت برجل . وقد عجزت عن امرأة .
فقال : أحبُّ أن تبعثَ جاريتك فلانة تكلِّمُها . فبعثَ
بها وأمر أبو دُلَيفٍ امرأته أن تلوي العمودَ في عنقِ
الجارية إذا أثمتها وتركتهُ . ففعلت فرجعت إلى مَعْقِلٍ
فقال : أشهدُ أنَّ أخي معذورٌ . فما قدر عليها أبو دلفٍ
حتَّى احتالَ عليها . بأن قال لها يوما : ما أظنك ببكرٍ .
فأمكننتُ من نفسها .

كان بالكوفة لعبد الملك بن رامير مولى بشر بن
مروان (٢) جارية يقال لها : سَلَامَةُ الزَّرْقَاءُ . وكان

(١) أبو دلف بن عيسى العجلي ، أمير شاعر مدح ، توفي سنة ٢٢٥ هـ .

(٢) بشر بن مروان أخو عبد الملك ، ولي العراقين بعد مصعب .

روحُ بنِ حاتمٍ المهلبِي (١) يهواها ولا تهواه ، ويُكثر
غشيانَ منزلِ مولاها . وكان محمدُ بن جَمِيل (٢)
يهواها وتهواه . فقال لها : إن روحُ بن حاتمٍ قد ثَقُلَ
علينا . قالت : فما أصنعُ ؟ قد غَمَرَ مولايَ ببرّه .
قال : احتالي .

فبات عندهم روحٌ ليلةً من الليالي فأخذت سراويله
فغسلته . فلمّا أصبحَ سأل عن سراويله . فقالت : غسلناه .
فظنّ أنه قد أَحْدَثَ فيه فاحتيجَ إلى غسله ، واستحيّا
من ذلك . وانقطع عنها . وخلا وجهُها لابن جميل .

لما استخلف سليمانُ بن عبد الملك دفع عُمّالَ أخيه
الوليدِ إلى يزيدَ بن المهلب وأمره ببسط العذاب عليهم ،
واستخراج المال منهم . وكان فيهم رجلٌ من بني مرة ،
فقال ليزيد : أمّا أنا فلست بلدي مال ، ولا تنتفعُ بتعديبي
ولكن عشريني تَمْكُنني بأموالهم ، فأذن لي في أن أجولَ
فيهم . فأذن له فقال لهم : إنّ أمير المؤمنين قد أخذني

(١) روح بن حاتم بن قبيصة المهلبِي ، تولى على السند الخلفاء العباسيين ،
وعزله الرشيد توفي سنة ١٧٠ هـ .

(٢) محمد بن جميل كان أحد المقربين للمنصور .

بمال . والمالُ عندي . ولكن أكره أن أُقِرَّ بالخيانة .
فاضمنوا له هذا المالَ عنِّي وأطلقوني من حبسه . ولا
غُرمَ عليكم فإني مضطلع بأداء هذا المال .

فنهض وجوهُ عشيرته في أمره ، وضمنوا المال عنه
وأطلقوه . فلما أخذوا بالمال قالوا للرجل : أدِّ المال كما
زعمت . فقال : يا نوكي (١) . أتظنون أنني اختنت مالا
تعرضتُ فيه للمأثم ، وسُخِطَ الخليفة وعقوبته ، وأؤديه
اليومَ طائعا ، وقد صيرتُ ما أطلبُ به في أعناقكم .
لبسَ ما ظننتم ، إغرموه من أعطياتكم وأنا فيه كأحدكم
ففعّلوا ذلك وهو كأحدكم .

هَمْ الْأَزَاقَةُ (٢) بقتل رجل فنزع ثوبه واتزرَّ
ولبَّسَ وأظهرَ الإحرامَ فخلَّوا سبيلَه لقول الله جلَّ وعزَّ
« لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ » (٢) .

غضب المأمونُ على رجل وقال : لأقتلنَّك ولأخذنَّ

(١) النوكي : الحق .

(٢) الأزاقة : فرقة من الخوارج .

(٣) سورة المائدة : ٢ .

مالك . اقتلوه . فقال أحمد بن أبي دؤاد (١) : إذا قتلته
فمن أين تأخذ المال ؟ قال : من ورثته . فقال : إذا
تأخذ مال الورثة . المال للورثة . وأمير المؤمنين يأبى
ذلك . فقال : يؤخر حتى يستصفى ماله . فأنقرض
المجلس وسكن غضبه وتوصل إلى خلاصه .

جاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت : إن زوجي
حلف بطلاقي أن أطبخ قيدا أطرح فيها مكوكا (٢) من
الملح فلا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها . فقال لها :
خذي قيدا واجعلي فيها الماء واطرحي فيها مكوك ملح ،
واطرحي فيها بيضا واسلقيه ، فإنه لا يوجد طعم الملح
في البيض .

افعل رجل كتاباً عن المأمون إلى محمد بن الجهم
في دفع مال إليه ، فارتاب به محمد ، وأدخله على المأمون .
فقال المأمون : ما أذكرك هذا . فقال الرجل : أكلت

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة للمعتصم ، كان مذهبه الاعتزال ،
وكان جواداً فصحاً مدحاً توفي سنة ٢٤٠ هـ .
(٢) المكوك . مكيال يسع صاعاً ونصفاً .

منعروفك تذكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : فاعل هذا
بما نسيته وقد فعلت . قال : ادفع إليه يا محمد ما في
الكتاب .

كان حوثه الضمري صديقاً لعبد الملك وخرج مع
ابن الزبير فلمّا قُتل ابنُ الزبير استاء من الناس وأحضر
حوثه فقال له عبد الملك : كنت متّي بحيث علمت
فأعنت ابنَ الزبير . قال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيتني
قطّ في حرب أو سباق أو نضالٍ إلاّ والثمة مغلوبة
بحرقي ، وإنّما خرجت مع ابن الزبير لتغلبه بي على رسمي .
فضحك عبد الملك وقال : قد والله كذبت ولكنّي قد
عفوت عنك .

قالت خيرة بنت ضمرة التميمية امرأة المهلب للمهلب :
إذا انصرفت من الجمعة فأحبّ أن تمرّ بأهلي . فقال لها :
إن أخاك أحقق . قالت : فأحبّ أن تمرّ بنا . فجاء
وأخوهما جالس فلم يوسّع له فجلس المهلب ناحية
ثمّ أقبل عليه فقال : ما فعل ابنُ عمك فلان ؟ قال :
حاضر . قال : أرسل إليه . ففعل فلمّا نظر إلى المهلب
غير مرفوع المجلس قال : يا ابنَ الآخناء ، المهلب

جالسٌ ناحية ، وأنتَ في صدرِ المجلسِ وواثبه . فتركه
المهلبُ وانصرفَ فقالت له خيرةٌ : أمّرت بأهلي ؟
قال : نعم وتركْتُ أخاكِ الأحمقَ يُضربُ .

قالوا : إنَّ الحجاجَ بن يوسف قال ذات يومَ لمحمد
ابن عُمير بن عطار (١) : اطلب لي امرأةً حسينةً
أتزوجها : قال : طلبتها إن زوجتها . قال : ومن هذا
هذا الذي يمتنع من تزويجي ؟ قال : أسماءُ بن خارجة (٢) .
يدعي أنه لا كفءَ لبناته إلا الخليفةُ .

قال : فأضمرها الحجاجُ إلى أن دخلَ إليه أسماءُ
فقال : ما هذا الفخرُ والتَّطاولُ ؟ قال : أيها الأمير ؛
إنَّ تحتَ هذا سبباً . قال : بلغني أنَّكَ تزعمُ أن لا كفءَ
لبنائِكَ إلا الخليفةُ . فقال : والله ما الخليفةُ بأحبَّ
أكفائهنَّ إليّ ، ولستُظرأني من العشيرةِ أحبَّ إليّ منه ،
من خالطني منهمُ حفِظني في حرمتي ، وإن لم يحفظني

(١) محمد بن عمير بن عطار ، كان سيد أهل الكوفة .

(٢) أسماء بن خارجة بن حذيفة ، من أشراف العرب ، توفي

سنة ٥٦٦ هـ .

تدبرت على أن أنتصفت منه والخليفة لا نتصفت إلا
بمشيئته . وحرمتته مضيئة بطرحه يقدم عاينها من ليس
مثله . ولسان ناصرها أقطع . قال : فما تقول في الأمير ؟
فإن الأمير خاطيف هندي . قال : قد روجتته إيتاها بصداق
نساءها . وحوّلها إليه .

فلما أتى على الحديث حولان دخل إلى الحجاج فقال :
هل أتى الأمير ولد . نُشِرُ ونَحْمَدُ الله على هتته .
قال : أما من هند فلا . قال : ولد الأمير من هند وغير
هند عباي بمنزلة . فقال : والله إني لأحب ذلك من هند .
قال : فما يمنع الأمير من الضر (١) ، فإن الأرحام
تتغير . قال : أو تقول هذا القول وعندي هند ؟ قال :
أحب أن يمشي ونسل الأمير . قال : فممن ؟ قال على
الأمير بهذا الحبي من تميم . فمساؤهم مناجيب . قال :
فأينهن ؟ قال : ابنة محمد بن عمير . قال : إنه يزعم
أن لا فارغة له . قال : فما فعلت فلانة ابنته ؟

فلما دخل إليه محمد بن عمير قال : ألا تزوج الأمير ؟
قال : لا فارغة لي : قال : فأين فلانة ؟ قال : روجتها

(١) الضر : اتخاذ الصرة .

من ابنِ أنحي البارحة . قال : أحضر ابنَ أخيك ؛ فإن أقرَّ بها ضربتُ عنقه . فجيء بابن أخيه ، وقد أبلغ ما قال الحجاجُ . فلما مشل بين يديه قال : باركَ الله لك يا فـي . قال : في ماذا ؟ قال : في مصاهرتك لعمك البارحة . قال : ما صاهرته البارحة ولا قبأها . قال : فانصرف راشداً . ولم ينصرف محمدٌ حتى زوجَه ابنته .

وحضر بعد ذلك يوماً من الأيام عمة من الأشرافِ بابَ الحجاجِ فحجب الجميع غير أسماءَ ومحمدٍ . فلما دخلوا قال : مرحباً بصهرَي الأميرِ سلاني ما تريدان أسعِفكما فلم يُبقيا عانياً إلا ألقاه . ولا مُجَمَّراً (١) إلا أقفلاه (٢)

فلما خرجا أثبَعَهُمَا الحجاجُ بمن يحفظُ كلامهما . فلما فارقا الدار ضرب أسماءُ يده على كتفِ محمدٍ وأنشأ يقول :

(١) تجمير الجند : إبقاؤهم في الثنور . والعاني : الأسير .

(٢) أقفلاه : أرحماه .

جزيتك ما أسديتَه يابنَ حاجب
وفاءً كعرفِ الديكِ أوقُتةٍ (١) النسر

في أبيات كثيرة . فعاد الرجل فأنخبر الحجاج فقال :
لله درّ ابنٍ خارجة ! إذا وُزن بالرجال رجَحَ .

أُتي زيادُ برجل فأمّر بضرب عنقه . فقال : أيّها
الأميرُ ؛ إن لي بك حرمةً قال : وما هي ؟ قال : كان
أبي جارك بالبصرة . فقال : ومن أبوك ؟ قال : قد والله
نسيتُ اسمَ نفسي ، فكيف اسمَ أبي ؟ قال : فردّ زيادُ
كُسمه إلى فمه وضحك وختلّى سبيلَه .

مرّ زيادُ بأبي العُريان (٢) فقال : من هذا ؟ فقالوا
زياد بن أبي سفيان . فقال : ربّ أمر قد نقضه الله ،
وعبدٌ قد ردّه الله . فسمعها زيادُ فكره الإقدامَ عليه
وكتب بها إلى معاويةَ ، فأمره بأن يبعث إليه باللف دينار ،
ويعرّ به ويسمع ما يقول . ففعل زياد ذلك ، ومرّ به
فقال من هذا ؟ قالوا : زياد . فقال رحم الله أبا سفيان ،
لكأنّها تسليمتُه ونغمتُه . فكتب بها زياد إلى معاوية
فكتب إلى أبي العريان :

(١) قُتة النسر : مقطع ريشه .

(٢) أبو العريان . شاعر .

مَا لَبِثْتُكَ دَفَانِيرُ رُشِيَّتَ بِهَا
أَنْ لَوْنَتُكَ - أبا العريان - أُلُوَانَا

فَدَعَا أَبُو الْعَرِيَانُ ابْنَتَهُ وَأَمْسَى عَلَيْهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ :

مَنْ يُسَدِّ خَيْرًا يَجِدُهُ حَيْثُ يَطْلُبُهُ
أَوْ يُسَدِّ شَرًّا يَجِدُهُ حَيْثُمَا كَانَ

تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى سَوَّارٍ ، وَكَانَ سَوَّارٌ لَهُ مِبْغَضَا
فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ سَوَّارٌ فِي بَعْضِ خَطَابَتِهِ : يَا بَنَ الْخِثْنَاءِ (١) .
فَقَالَ : ذَاكَ نَحْصَمِي . فَقَالَ الْخِثْمُ : أَعْدَنِي عَلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : خُذْ لَهُ بِحَقِّهِ وَخُذْ لِي بِحَقِّي . فَفَهِمَ .
وَسَأَلَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ .

قَالُوا : لَمَّا حُبِسَ الْحَلَّاجُ (٢) عِنْدَ الْقَشُورِيِّ ،
مَرَضَ ابْنُ لَهُ ، وَاشْتَهَى التَّفَاحَ الشَّامِيَّ ، وَكَانَ لَا
يَصَابُ لِفَوْتِ أَوَانِهِ ، فَتَلَطَّفَ الْحَلَّاجُ وَاحْتَالَ حَتَّى
سَأَلَهُ الْقَشُورِيَّ تَفْسَاحَةَ شَامِيَّةٍ . قَصِدَ بِهَا لِيَعْرِفَ أَمْرَ
الْحَلَّاجِ فِي صِدْقِهِ وَكُذْبِهِ ، وَأَرَادَ أَيْضًا بَلُوغَ مَرَادِهِ فِي

(١) الْخِثْنَاءُ : الْمُنْتَنَةِ الرَّائِعَةُ .

(٢) الْمَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَلَّاجُ ، كَانَ يَقُولُ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ
وَالْحُلُولِ ، وَقِيلَ أَنَّهُ ادَّعَى الْأُلُوهِيَّةَ ، وَافْتَنَنَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، صَلَبَ
ثُمَّ قَتَلَ سَنَةَ ٥٣٠ هـ . وَأَحْرَقَتْ جَسَدُهُ .

ولده . وكان الحلاجُ قد أعدَّ تفاحَةً لذلك فحين سألَه
أولاً بيده هكذا وأعادهما بتفاحَةٍ . وتناولها القشوري
يفلبها ويتعجبُ منها والحلاج يقول : الساعةَ قطعْتُها
من شجرةِ الجنةِ . قال القشوري : إني أرى في موضع
منها عذبا . قال الحلاج غيرَ مُطْرِقٍ ولا مُكْثَرٍ : أما
علمتَ أنها إذا خرجتَ من دارِ البقاءِ إلى دارِ الفناءِ ،
لحقها جزءٌ من البلاءِ . فكان جوابُهُ أحسنَ من فعله
وحيلته .

أتني مصعبُ بنِ الزُّبيرِ برجلٍ من أصحابِ
المختار (١) . فأمرَ بضربِ عنقه . فقال : أيُّها الأميرُ ،
ما أفتحَ بكَ أن أقومَ يومَ القيامةِ إلى صورتك هذه الحسنَةِ ،
ووجهك هذا الذي بسُتْضَاءٍ به . فأتلَّقَ بأطرافك
وأقول : ياربُّ . سلِّ مُصْعَباً لماذا قتاني ؟ فقال : أطلقوه
فقال : أيُّها الأميرُ . اجعل ما وهبتَ لي من حياتي في
خَفَضِ عيشٍ . قال : أعطوه مئةَ ألفِ درهمٍ .

» « «

(١) هو المختار بن أبي سبيد الثقفى ، من زعماء الثائرين على بني
أمية قتلَه مصعب وهو أمير البصرة عام ٦٧ هـ .

فهارس السفر الثاني من نشر الدر

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الأول
٧	كلام معاوية بن أبي سفيان وولده
٢٠	يزيد بن معاوية وولده
٢٩	الباب الثاني
٣١	كلام مروان بن الحكم وولده في الخلفاء
٣٣	عبد الملك بن مروان
٣٨	الوليد بن عبد الملك
٤٠	سليمان بن عبد الملك
٤٣	يزيد بن عبد الملك
٤٤	هشام بن عبد الملك
٤٥	الوليد بن يزيد
٤٧	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٥٠	مسلمة
٥٢	مروان بن محمد
٥٧	الباب الثالث
٥٩	كلام الخلفاء من بني هاشم / السفاح

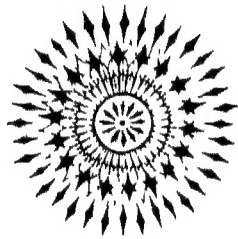
الصفحة	الموضوع
٦١	المنصور
٦٧	المهدي
٧١	الحادي
٧٢	الرشيد
٨٠	الأمين
٨٣	المأمون
٩٣	المعتصم
٩٧	الوائق
١٠٢	المتوكل
١٠٤	المنتصر
١٠٥	المستعين
١٠٦	المعتز
١٠٧	المهتدي
١٠٨	المعتمد
١٠٩	المعتضد
١١١	المكتفي
١١٢	المقتدر
١١٣	الراضي
١١٣	إبراهيم بن المهدي
١١٦	عبد الله بن المعتز

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع	١٢١
كلام جماعة من بني أمية	١٢٣
الباب الخامس	١٣١
نكت لآل الزبير	١٣٣
الباب السادس	١٤٥
نوادير أبي العيناء ومخططاته	١٤٧
من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن	١٥٨
الباب السابع	١٦٧
نوادير مزبد	١٦٩
الباب الثامن	١٧٥
نوادير أبي الحارث جميعين	١٧٧
الباب التاسع	١٨١
نوادير الجماز	١٨٣
الباب العاشر	١٨٧
نوادير المجانين	١٨٩
الباب الحادي عشر	١٩٧
نوادير البخلاء	١٩٩
الباب الثاني عشر	٢١١
كلام الشطار ومن يجري مجراهم ونواديرهم	٢١٣
الباب الثالث عشر	٢١٩
العبي ومكاتبات الحمقى	٢٢١

الموضوع
Library of the Alexandria Library (CC0)
الصفحة

٢٢٧	الباب الاول
٢٢٩	كلام للنساء الشرائف
	فاطمة ابنة رسول الله عليها السلام
٢٣٥	عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)
٢٤١	أم كاثوم بنت علي
٢٤٤	حفصة أم المؤمنين
٢٤٨	أروى بنت الحارث
٢٤٨	رؤيا رقيقة
٢٥٢	هند بنت عتبة
٢٥٤	رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب
٢٥٦	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
٢٥٨	أم سلمة أم المؤمنين
٢٥٩	ملقطات من كلامهن
٢٦١	الباب الثاني
٢٦٣	نكت من كلام النساء ومستحسن جواباتهن وألفاظهن
٣٠١	الباب الثالث
٣٠٣	الحيل واللداع

٥٠٠ ط ١/٥/١٩٩٧



طبع في مطابع وراثة النفاذ

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار العربية ما يعادل

٣٥٠ ل م

سجل المحرر داخل القطر

١٧٥ ل م